كلمة العدد



لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية
السيد الداي ولد سيدي بابا

تنتظم الذكريات العظيمة عند الامم ، خلاصة امجادها ، وزبـدة مفاخرها ، ولب اللباب فيما سجلته — على مدى الدهـر — من مكارم ومحامد ، وما دونته فى سجل التاريخ ، من جليل المناقب والمآثرات .

وعيد العـرش ، الذى تهل علينا طلعته هذه الايـام ، هو فى ذكرياتنا الوطنية واسطة العقد ، وبيت القصيد ، ومدار الفخر ، ومناط الاعتزاز فى أرفع ما نفخر به ، وانبل ما نعتـز بمدلـوله .

عيد العرش ، الذكرى الخامسة عشرة لتربع مولانا أمير المومنين الحسن الثانى على عرش اسلافه المنعمين .

هذه الذكرى الغراء الوضاءة ، التى تطل اشراقتها على الشعب المغربى ، متألقة بمطالع الوفر والخير ، مشعة بمعالم اليمن والاقبال ، ملتمعة بجميل الآمـال ، وعظيـم المطامح ، حافلـة بروائعات المعـانى والدلالات ، على درب التقدم والتطور ، والبناء الحضارى .

تطل على بلادنا ، هذه الذكرى العزيزة الغالية ، وهذا الجو من السعادة والحبور شامل انحاءها ، مكتنف اطرافها ، فى فرحة فياضة ، تعم الشعب المغربى على ما أفاء الله عليه من نعمـه ، وما حبـاه من جزيل آلائه ، وما آتاه سبحانه وتعالى من سابـغ عطايـاه ، وعميـم عوارفه ، تحت قيادة ملك البلاد المفدى ، وعاهلها الشهم ، سيدنا أمير المومنين دام له العـز والتمكـين .

ومن اجل المنن الالهية التى أولاها الله لهذه الامة ، تمكينه لها عز وجل — تحت قيادة أميـر المومنين — من استرجاع صحرائهـا ، واستكمال وحدتها ، واستتمام سيادتها بذلك وحريتها بعد موصول كفاح



متدرعة فى ساحته بالصبر المكين الرصين ، والايمان المتين الركين ، موطدة العزم على الثبات فى مضمار الجهاد ، ثباتا لا يفل غربه ، ولا ينبو حده ، ولا ينضب بوجه من الوجوه مورده .

ولقد كان للامة فى معركتها المصيرية هذه ، من حكمة سيدنا المنصور بالله ، ومن حصافة فكره ، وسديد رايه ، ما جنبها ، مختلف المزالق والعثرات ، وأراها سبل الظفر والفوز بينات واضحات ،

وحقق لها ـ والفضل لله ـ ما تتوخاه من شمل جميع ، ووضع منيع ، ومقـام رفيـع .

وكان الخطاب التاريخى ، الذى ألقاه جلالة الملك من مدينة مراكش فى 16 اكتوبر الفارط ، معلنا فيه ـ حفظه الله ـ عن بدء تنظيم المسيرة الخضراء ، باتجاه الصحراء ، منطلق التيار التاريخى ، الذى وضع الامور فى نصابها العادل ، وفتح الآفاق الرحيبة لانتصار الارادة الوطنية فى استكمال السيادة والحرية ووحدة التراب ، واقـرار صـورة الكيان الوطنى ، فى ملامحها المتكاملة ، المتعينة بها هذه الصورة طبيعة وتـاريـخـا .

كان خطاب 16 اكتوبر ، حـدث الفصل ، الحـدث الحاسم فى تصحيح موازين الحق والعدل والانصاف ، واستصفاء كافة الحوائل التى كانت تعترض سبيل هذا التصحيح .

وكما كان عيد العـرش سنة 1955 ، بشيرا ببـزوغ فجـر الاستقلال ، على ربوع هذه البلاد ، وانهاء عهـد ، مـا كان فى الواقع الا عارضا فى تاريخ امتنا الطويل ، فان الذكرى الجليـلة التى يعيـش الوطن اشراقاتها الآن ، الذكرى الخامسة عشرة لجلوس صاحب الجلالة على عرش اسلافه الاماجد ، قد حلت ، بشيرا بالانتهاء الرسمى للادارة الاجنبية بصحرائنا الحبيبة ، وتمام رجوع الحـق ـ رسميـا كذلك ـ الى اهـلـه وذويـــه .

وفى مواكبة مأثرات التحرير هذه ، التى يخلدهـا المغرب تحت القيادة النيرة لعاهله وقائده العظيم جلالـة الحسن الثانى نصره الله ، تتوالى ـ ضخمة المبنى والمعنى ، رائعة المظهـر والمخبر ـ مأثـرات التشييد والانجاز ، تغدق حسنات التطور والتقدم ، على هذا الوطن ، وتثري باستمرار ، رصيده من وفر ونماء ، وازدهار ورخاء .

وتتجه صحراؤنا الغالية ـ وقـد اضاءت ارجاءها الآن مشاعل الحرية والوحدة ـ وعمت مواطنينا فيها مشاعر الفخر والاعتزاز بالتـآم شملهم مع اخوانهم فى الشمال ، تتجـه الصحراء ـ بفضـل السياسة الرشيدة التى خطها لها صاحب الجلالة ، دام له العز والنصر ـ للدخول فى عهد من النمو والتطور ، يحيل القاحل فيهـا الى خصيب ممـرع ، والذابل الى يانع ناضر ، والخالى منها ، الى مضطرم بحركة الحيـاة ، ودينامية العمل ، حافل بالعمران ، مساكن ومساجد ، ومرافق اقتصادية واجتمـاعية وحضـارية .

ومما يسجل من مكارم سيدنا الامـام امير المومنين ، وايـاديه البيضاء على رعاياه الاوفياء ، تفضله ـ حفظه الله ورعـاه ـ بتوجيه أوامره المولوية ، لاقامة مسجد كبير بمدينة العيـون ، ومعهـد اسلامى ملحق به ، وذلك كفاتحة مباركة ميمونة لانطلاقـة اسلامية زاهـرة فى صحرائنا العزيزة ، تتفتح بها آفاق الحياة الروحية والثقافية الدينية هناك امام المومنين ، بعد تجمد دام أكثر من نصف قـرن ، ويطيب جوهـم

الاجتماعى بنفحاتها الزكيات العطرات ، ويتصل فى ظلها ، ماضى اجدادهم الدينى والعلمى الاصيل ، بحاضرهم ومستقبلهم المشرق فى حظيرة أمتهم المغربية .

ومن مآثرات مولانا جلالة الملك المفدى فى هذا المقام ، عنايته السامية — أدام الله عزه وتأييده — بتشجيع احياء القيم الاسلامية فى شتى انحاء الصحراء ، وانشاء معاهد وكتاتيب قرآنية لهذا الفرض ، تقوم بتلقين القرآن وأوليات الدين لناشئتنا — فى الطور ما قبل الابتدائى هناك — حتى يشبوا على ما شب عليه آباؤهم واجدادهم من تمسك بالحنيفية السمحة والالمام بتعاليمها ، وينطبع سلوكهم منذ نعومة الاظافر على سوي سننها ، وقويم هديها .

ان مكارم مولانا الامام جلالة الحسن الثانى ومحامده ، قد صنعت لهذا الوطن مجدا أثيل الاسس ، شامخ الذرى ، وبوأته من منازل العزة والكرامة أسناها ، ومن درجات الخير والرغد اسماها ، واحلته من رفيع المكانة ، ما علت به هامته بين الاوطان ، وشمخ به قدرا وقيمة .

وهاهي الذكرى الخامسة عشرة لجلوس مولانا الحسن الثانى أعز الله أمره ، على عرش اسلافه الاكرمين ، تهل على بلادنا ، فيفتر معها ثغر الحياة عن مزيد من اشراقات البشائر ، وباسم الامانى والآمال ، ويتجلى فى ظلالها المزيد من ثمرات الكد والعمل ، وانجازات البناء والتشييد.

فبقلوب ملؤها فيض المحبة والاخلاص لسيدنا المنصور بالله ، وعميق الاحترام والاجلال لمقامه العالى بالله ، والتشبث باهداب عرشه الماجد .

تغتنم أسرة الاوقاف والشؤون الاسلامية هذه المناسبة العزيزة على قلوب جميع المواطنين ، مناسبة عيد العرش المجيد ، فتتقدم الى مولانا أمير المومنين بأجمل عبارات التهانى ، وأخلص آيات التبريك ، داعية البارى عز وجل ، أن يحفظ هذه البلاد فى شخصه الكريم ، وان يمتعها بطول عمره الغالى ، ويديم عليها نعمة قيادته الرشيدة ، المتبصرة الحازمة ، ويزيد آفاقها تنويرا واشراقا بسامى حكمته ، ونير فكره .

وضارعة اليه عز وجل ، أن يبارك اعمال العاهل المفدى ، ويوفق جهوده ، ويجعل مطالع الخير واليمن والاقبال مقرونة بخطواته ، حتى يرى فى امته ، التى وحد كيانها ، وجمع شملها ، واعلى شانها ، ما يبتغيه لها من موفور العز والسؤدد ، وسابغ الوفر والخير ، وشامل الرفاهية والازدهار .

كما نسأله — تبارك وتعالى — أن يحيط برعايته صاحب السمو الملكى الامير الجليل سيدى محمد ، وصنوه الامير المحبوب ، مولاى الرشيد ، ويكلأهما بكريم عنايته ، وان يحفظ كافة افراد الاسرة الملكية الشريفة ، وان يرى سيدنا الامام ما يسره فى شعبه الوفى ، انه — سبحانه وتعالى — سميع الدعاء ، مجيب الرجاء .

الداي ولد سيدى بابا



المغرب المتطور

في ظلال الوحدة والتحرر

تقويم ميداني لسياسة الحسن الثاني

للأستاذ عبد الله كنون

من حقنا نحن المواطنين والطبقة الواعية بالخصوص ، والتي اسهمت في الكفاح الوطني منذ البدء ، خصوصا من خصوص ، ان نلاحق الحكم ورجاله ونسجل ما قام به من اعمال لمصلحة البلاد ، كلما سنحت الفرصة وواتت المناسبة ، اداء لما يجب علينا من النصح له ، واستمرارا في التعاون على حمل الامانة التي تستهدف تقدم الشعب ورقيه وخروجه من حالة التخلف الى حياة النمو والازدهار .

وليس كمناسبة مرور خمسة عشر عاما على اعتلاء جلالة الحسن الثاني العرش المغربي ، فرصة للقيام بهذه العملية ، واجراء تقويم ميداني لسياسته العامة في هذه المدة ، التي مرت بغاية السرعة ، وان كانت منجزاته واعماله عند الاستعراض توحي بانها مما لا يتحقق الا في حقب طويلة من الزمن .

ولعل تحديد نقط الكلام في هذا الصدد ، يكون اسهل لعمل تقويم مجز في الموضوع ولا سيما في مقال لا ينبغي ان يتجاوز الحيز المتعارف عليه . فلينحصر كلامنا في مجالين ، نظنهما يستوعبان جميع المنطلقات لسياسة العاهل الكريم ، وهما بناء الاستقلال وتحقيق الوحدة .

سالني استاذ كبير في بلد كبير عن طبيعة الحكم في المغرب وما يقال من انه حكم فردي ، ولماذا لا يقرب قادة الفكر واقطاب السياسة ، ويستعين بخبرتهم ومقدرتهم في تسيير الامور ؟ فقلت له وماذا تعني بالحكم الفردي ؟ اهو هيمنة رئيس الدولة على الجهاز الحاكم ومراقبته من اعلى للاطر التي تتصرف في مقدرات البلاد ؟ قال هو بالذات . قلت وهل الحكم عندكم يجري بخلاف ذلك ، اعني في غياب الرئيس وعدم تدخله في مخططاته والمشرفين عليها ؟ قال لا بل هو الكل في الكل ! .. قلت فما هو وجه الاستغراب اذن لنظام الحكم عندنا ؟ قال ان عندنا مجلسا وطنيا يرسم ويوجه وتكون له الكلمة في اصدار القرارات الاخيرة . قلت في كل البلاد العربية والاسلامية او جلها ، مجلس وطني ، ولكن الواقع ان رئيس الدولة او رئيس مجلس الثورة او الضابط الذي قام بالانقلاب هو الحاكم بامره ، والمجالس المسماة بالوطنية او الشعبية او غير ذلك من الاسماء المقررة ، التي توجد بجنبه انما هي وكالات للدعاية والنشر ، تقوم بتزكية الوضع الراهن ، وان كانت تزكيتها موضع شبهة من الجميع .

قال فما هذه الدعاية المنتشرة هنا وهناك ضد الحكم في المغرب ؟ قلت هي دعاية الانظمة التي قامت على برامج طويلة عريضة في الثورة على العهد البائد وتدشين عهد التقدم والاشتراكية ومحو آثار الرجعية والتخلف وما الى ذلك من الاقاويل الضخمة فلم تحقق نجاحا في شيء ولم تبق على ما كان فيما تسميه العهد البائد من رفاهية واطمئنان ، فهي تغطي فشلها بالدعاية ضد كل نظام مشابه يتلهف الناس الى رجوعه .

قال والمعارضة الداخلية ما تقول فيها ؟ قلت وأنتم اليس عندكم معارضة ؟ قال لا . قلت هل انتم بحال من السعادة انعدمت معها المعارضة ام ما ذا ؟ فضحك وقال يا اخي وهل مع كم الأفواه وانعدام الحريات العامة معارضة ؟ !

قلت الآن يمد ابو حنيفة رجليه ! ان الحكم الذى يسهم بقيام المعارضة ، والمعارضة الصريحة التي تتناول احيانا خصائص النظام نفسه لا يصح ان ينعت بالحكم الفردي ، والحكم الذي ينص دستوره على مشروعية تعدد الاحزاب ومنع نظام الحزب الواحد وضمان الحريات العامة والنقابية ، وتمارس فيه هذه الحقوق على اوسع نطاق لا يكون حكما فرديا .

ومنذ الاستقلال شاركت الاحزاب السياسية كلها فى الحكم ثم انسحب بعضها وقام بالمعارضة ، وانشيء مجلس استشاري للحكومة شاركت فيه جميع الهيئات الوطنية ، وانشيء بعده مجلس للنواب بالانتخاب الحر ولكنه اغلق مرتين لاسباب لا داعي لذكرها .. هذا مع قيام المجالس الاقليمية والمحلية باستمرار وبالانتخاب الحر كذلك .

نعم ان الاحزاب السياسية توجد الآن فى المعارضة ولكن الكثير من رجال الحكم هم من المنتمين اليها فهى تشارك فى الحكومة بطريقة غير مباشرة ، وعلى كل حال فان الامر على غير ما تتصورون هنا ، وهو افضل بكثير مما يجري فى كثير من البلاد العربية والاسلامية التي يهمنا امرها وان كانت بلاد اخرى غير عربية ولا اسلامية مما يدخل فى هذا العموم .

قصدت الى تسجيل هذا الحديث الذي جرى بيني وبين ذلك الاستاذ الصديق ، وان كان قد مر عليه اكثر من سنة ، لانه ما يزال صالحا لتقويم الوضع السياسي فى بلادنا ، فهو ليس تلك الطوباوية التي يتحدث عنها الفلاسفة والمفكرون وليس هذه الميكيافيلية التي يندد بها بعض الصحفيين ومن يحركهم من السياسيين .

وما ذا عن مشاريع التنمية وبناء الاستقلال ؟

ان مجال القول فى هذا الموضوع ليتسع جدا حتى اننا نصرح بانه لا يمكن استيفاؤه فى عدة مقالات ، بله جزء من مقال واحد ، وان عهد الحسن الثاني بنتائجه ومعطياته لهو اعظم دليل على نجاح سياسة ورشاد حكمه ، فان صحة النتائج بصحة المقومات وسلامة البناء بسلامة الاسس التي قام عليها . وقد خطا المغرب فى ايامه خطوات ثابتة فى دعم استقلاله السياسي كان من اولها اغلاق القواعد الاجنبية التي كانت لبعض الدول الكبرى فى بلادنا واجلاء آخر جندي اجنبي عن التراب المغربي وبناء سياسة المغرب الخارجية على عدم الانحياز والاحتفاظ بأطيب العلاقات بينه وبين سائر الدول مع مساندة الحركات التحريرية فى انحاء العالم بقطع النظر عن اتجاهاتها وانتمائها ، وهذا الى تبني سياسة التضامن الاسلامي والجامعة العربية والوحدة الافريقية ، فلن ينسى احد ان اول مؤتمر للقمة الاسلامية عقد فى المغرب بدعوة من جلالة الحسن الثاني ، كما لا ينسى الناس المؤتمرات العربية والافريقية التي عقدت فى المغرب بدعوته ورياسته وما كان له فيها من مواقف ايجابية فى احكام روابط الصداقة والتصالح بين هذا الفريق وذاك .

والعمل الذي يسجله التاريخ لجلالة الملك الحسن الثاني بأحرف من نور هو مشاركته فى حرب الكرامة العربية بكتيبتين من الجيش الملكي ، احداهما بعثها للجولان قبل اندلاع هذه الحرب لاستشعاره بما تبيته اسرائيل لسوريا الشقيقة ، فرابطت هناك شهورا وخاضت المعركة الى جانب الجيش السوري المظفر ، والثانية بعثها الى سيناء فقاتلت فى صفوف القوات المصرية وابدت من البطولة ما تحدث به الجميع ، وكان هذا العمل اعظم مبادرة فى التضامن العربي قام بها بلد شقيق .

اما فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد حقق المغرب فى هذا العهد الميمون نجاحات كبيرة بهذا الصدد ، وكل من يعرف كيف كان المغرب على عهد الحماية يستورد كل شيء ، يدرك الفرق العظيم بين ذلك العهد المظلم وعهد الحسن الثاني الذي اصبح المغرب فيه يصدر كثيرا من منتجاته المصنعة فضلا عن المنتجات الفلاحية التي تطورت بشكل محسوس ، فصادراتنا الآن من الفوسفاط ومشتقاته الكيماوية ومن النسيج ومن بعض انواع سيارات الشحن والمعادن والحبوب والحمضيات والخضروات والمعلبات وغيرها ، تعمر الاسواق الاجنبية فى الشرق والغرب ، وانتاجنا فى بعض

منظر بديع من مدينة العيون امام قصر البرادو

الصنائع كالسيارات التي تعتبر من الصنائع الرائدة في اقتصاد المغرب كما جاء في احدى النشرات الاقتصادية الاجنبية ، وصناعة اللدائن والادوات الكهربائية والحدائد والاليمنيوم وقطع الغيار لكثير من انواع المكائن والراديو والتلفزيون والاثاث والفلن ومنوعاته والدواء وغير ذلك ، قد صار يحقق الاكتفاء الذاتي في عديد من القطاعات الاستهلاكية والترفيهية

ومن أعظم ما امتاز به برنامج الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية بناء السدود على الانهار المغربية التي كانت مياهها تضيع هدرا فأصبحت تعطي الخير والنماء للارض وتسهم في انتاج الطاقة الكهربائية التي تزداد الحاجة اليها يوما عن يوم للتطور الصناعي الذي تشهده البلاد .

ولا احتاج الى التنويه بشبكات الطرق الممتازة التي تربط انحاء البلاد بعضها ببعض وما يدخل عليها تحسين كل يوم وتقدم وسائل المواصلات البرية والجوية والبحرية وتزيين المدن وانشاء الحدائق والملاعب الرياضية والمصايف الممتازة فان ذلك كله معلوم ومشاهد .

وفي الميدان الاجتماعي انتشر التعليم بكيفية تكاد تجعله عاما وعربت بعض المواد فيه كالفلسفة والتاريخ والجغرافية ، والمنتظر تحقيق التعريب الكامل لجميع مراحل التعليم والادارة ، كما عرب القضاء تعريبا كاملا وهو مثل يحسن ان يحتذى في تعريب ما تقع المطالبة الملحة بتعريبه لان النتائج التي اعطاها تعريب القضاء كانت مرضية جدا .

واعتنى بالتعليم الديني فاستبعدت فكرة ادماج جامعة القرويين التي كان مصيرها هو مصير جامعة الزيتونة ، وانشئت بها ثلاث كليات ثم اضيفت اليها كلية رابعة هي دار الحديث الحسنية ، وما ينتظر لاحياء هذا التعليم وعودة ماضيه الزاهر هو بعث الطور الاول منه ، وامداد الطور الثانوي بما يكفل نهوضه واستقلاله .

وباشارة فقط الى الحياة الدينية نقول : انشئت وزارة للشؤون الاسلامية اضيفت فيما بعد الى وزارة الاوقاف وهي تزاول نشاطا مهما في تنظيم دروس الوعظ والارشاد وتوجيه خطباء المساجد وتوعيتهم بما يجعلهم يسايرون المجتمع في تطوره وتطلعه ،

لتثقيفهم وتربيتهم التربية الاسلامية الصحيحة ، وذلك في مختلف المناسبات ولا سيما في شهر رمضان المعظم ، وتقوم وزارة الاوقاف الى جانب ذلك ببناء عشرات المساجد في المدن والقرى التي يتزايد سكانها على الدوام ، كما تقوم بترميم المتداعي منها واصلاحه وتجديده وتعيين الموظفين الدينيين اللازمين له ، مما يدل على حياة دينية متنامية على خلاف ما يردده بعض المتشائمين والمنتقدين .

ولا يفتقر المجتمع الا التفاتة سنية الى بعض مظاهر الانحلال الخلقي والمجاهرة التي قال النبي (ص) فيها (كل امتي معافى الا المجاهرين) فتصدر قانونا بردع هؤلاء المنحرفين لتعم العافية العاكف والباد .

وننتقل الى الحدث العظيم الذي سماه كثير من الملاحظين السياسيين والصحفيين حدث العصر ، وهو ما قام به جلالة الحسن الثاني من جهود متواصلة لتنفيذ خطته الحكيمة لاسترجاع الصحراء المغربية واستنقاذها من براثن الاستعمار الاسباني ، وهي خطة مدروسة ابتدات باسترجاع ايفني وطنطان ، ولما اصطدمت بتعنت الاسبان وعنادهم ودسائس الذين يحطبون في حبلهم ، قابلها ببرنامجه الدقيق المحكم المرتبط الحلقات ، فكان عرض القضية اولا على المنتظم الدولي ولجنة تصفية الاستعمار ، والمراحل التي مرت بها القضية في هذه الفترة معروفة ، ثم انتقل بها فجأة الى محكمة العدل الدولية التي قضت بعد طول النظر ومحاولة الخصوم عرقلة اعمالها ، بحق المغرب في صحرائه وارتباطها به عبر التاريخ بالطاعة والولاء ، فلم يكن الا كلا ولا ، واذا الحسن الثاني يواجه العالم باعجوبة المسيرة الخضراء التي كان أمر تدبيرها واعدادها اعجب منها ، ومن غير تردد اصدر اوامره المطاعة في أكثر من ثلث مليون من ابناء شعبه الاشاوش ، باكتساح الصحراء ، انتزاعا لحقه المغتصب وتوحيدا لترابه الممزق ، بعد ان اعترفت له بهذا الحق اكبر محكمة في العالم ، واعترافها هذا يتضمن اعتراف الرأي العام الدولي الذي تمثله ، وذلك مما زاد ايمان الشعب المغربي بنفسه واعطاه الحرية في التصرف لاخذ حقه ولو بالقوة .

ولكن عبقرية الحسن الثاني ابتكرت له هذا الطريق السلمي اللاحب الذي سار عليه وهو آمن



ألف سلام عليك أيها العلم المقدس :
تجسمت فيك روح الوطن المحبوب ، فبانت تنشد أغاني الشرف ،
وأناشيد الحمية ، كلما حرك الهواء طياتك ، وتمثل صور التفاني
والتضحية كلما تلاعبت أشعة الشمس بألوانك ...
أول مغربي يطل برفع العلم ((بالطاح))

مطمئن بأن شرا لن يصيبه ، وآمن معه بذلك شعوب شقيقة وصديقة ساهمت بوفودها فى المسيرة المظفرة، وحقت الكلمة على المستعمرين القاصدين فتحولت قوتهم الى ضعف وعنادهم الى خضوع والقوا السلم ، وكفى الله المؤمنين القتال .

والالطاف والمفاجآت التي صحبت المسيرة ، بما يدخل فى باب الكرامات ، وهى مما يعرفه الجميع لاننا عشناها وشاهدناها فلا نطيل بها ، ولكننا نستخلص منها عبرة هي نفس العبرة التي استخلصها المعتمد بن عباد من تحرك يوسف ابن تاشفين لمعركة الزلاقة فى ساعة كانت نحس فيما قرره منجمو المعتمد ، فاشفق هذا من تحرك يوسف وهم أن يحذره ولكنه هابه ، فما ان تهيأ جيش يوسف للقتال والمعتمد فى غمرة اشفاقه ، حتى اخبره منجموه بان الطالع قد تغير وصار النحس سعدا فقال المعتمد فى يوسف : هذا رجل مخدوم!

وما احق جلالة الحسن الثانى أن يقال فيه مثل هذه الكلمة : . .

هذه لمحة خاطفة عن سياسة الحسن الثاني العامة فى ادارة دفة الحكم ، وهي تقويم ميداني لا ينقصه الا ما يسمى بالارقام والنسب المئوية ، التي تبين مبلغ تصاعد احجام التنمية فى القطاعات المختلفة التي اشرنا اليها عما كانت عليه قبل ، ولكننا لم نستوعب الكلام على هذه القطاعات ولم نذكر قطاعات اخرى وما نالته من عناية وراته من تطور كقطاع الصحة والتجارة والسياحة وغيرها ، ومع عدم الشمول لا مكان للارقام ، ولكن القناعة حينئذ تكون اقوى ، فالكتاب كما يقال يقرأ من عنوانه .

وتحية لجلالة الملك المعظم فى عيد جلوسه الخامس عشر ، ودعاء له بطول العمر ودوام الصحة والعافية ، ومصاحبة التوفيق فى اعماله ، والنجاح فى مساعيه ، التي تهدف الى اسعاد المغرب وتقدمه وازدهاره ، واعلاء كلمة الله ونصرة الاسلام والعرب ، وكل عام وجلالته بخير .

طنجة : عبد الله كنون



تحية للعرش

الذي ابتدع المسيرة الخضراء
وانتزع الحواجز وفتح أبواب الصحراء



بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لجلوس امير المومنين صاحب الجلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره ، على عرش اسلافه الغر البهاليل ، تلك الذكرى التي يهتز الشعب المغربي فرحا للاحتفال بمبانيها ، ويعتز شرفا باستقبال معانيها .

نحي العرش العلوي الكريم ، تحية مصحوبة بالسلام والتسليم ومشفوعة بالولاء والتعظيم ، ونشكر ايمانه الصحيح ، وجهاده الصريح ، وموقفه الفصيح ، ونذكر رجاحة رايه ورباطة جاشه ، وشجاعة جيشه ، ونهنيه باختراع مسيرة فتح الخضراء ، وبانتصاره فى استرجاع ربوع الصحراء .

اما الباطل فقد أدبر وتولى ، بعد ان ظهر الحق وتعلى ، وعاد الغاصب الى رحله ، وحاق المكر السيء باهله ، ورجع السهم الى النزعة ، والحق الى العصبة ، فحمدا وشكرا لله ذي العظمة = وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر =

وبعد ، فقد جاء فى سورة البقرة هذا النص القرآني العظيم ، والوحى السماوى الحكيم : = يوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا = والحكمة يراد بها والله أعلم العلم النافع ، والعمل الصالح ، والحذقة والمحالة ، اي جودة الفكر والنظر ، وقوة البصيرة والبصر ، ودقة التصور والتصرف ، والقدرة على التشكل باشكال الظروف .

وذلك ما يجب أن يتوفر عليه ذوو السياسة والرياسة الذين يصرفون امور الدولة ويأخذون بمقالدها ، ويسهرون على مصالحها ، ويفكرون فى مستقبلها ومشاكلها .

واذا ثبتت الالمعية والعبقرية ، وهما يعالجان مكر العباقية ، وكان المطلب مطلب حق وعدل والمسعى مسعى عزم وحزم ، والمرجع مرجع جد وصدق ، وهو الله الذى ترجع اليه الامور ، وهو الله العليم بذات الصدور ، — فلا جرم أن ذلك يشد عضد الانسان ، ويقوى جانبه ، ويفيده كثيرا فى قضايا النزاع ، وفى حالات الدفاع ، فيكون للقضية وقع شديد ، وأثر بالغ فى نفوس الحاكمين وغير الحاكمين ، من الملاحظين والسياسيين ، وحتى اذا طاشت نفس بعض المسئولين والمستشارين فى المنظمات السياسية ، وفى المحاكمات العدلية ، وزاغت عن طريق اليمين ، والحق المستبين ، فان قوة الايمان وسلطة الحق ترهبها وترعبها ، اذ لا شيء أقوى من الحق ، ولا شيء أضعف من الباطل .

واذا توقف مطلب الحق فانما ذلك لعدم وجود من يقف بجانبه ، أو وجد ولكنه لا يغنى شيئا ولا يجدى نفعا ، اى لا يملك شدا ولا ارخاء ، وانما هو حوبة ولعبة ، —

والناس الف منهم كواحد
وواحد كالالف ان أمر عنا



جلالة الملك خلال استقباله حفظه الله لاعضاء وفد صندوق التضامن الاسلامي برئاسة الدكتور امادو كريم نغاي بحضور السيد عبد الرحمن التهامي وزير الصحة العمومية الطبيب الخاص لصاحـب الجلالـة .

اعضاء وفد صندوق التضامن الاسلامي في زيارته لضريح مولانا محمد الخامس نور الله ضريحه

واذا تأكد وجود هذه العناصر القائمة على توفر الهمة والحكمة ـ فانها تقرب باذن الله كل قصي بعيد ، وتيسر كل عيش سعيد ، وتدفع كل خصم عنيد ، وشيطان مريد ،

واذا كانت القوة لها اثرها ونارها عبر الأجيال والقرون ، فانها في هذا العصر الذي ربط نفسه بالقوة والمادة ، وتخلى عن القيم والاخلاق قد تميزت بمميزات تقنية وفعلية ، وتطورت الى ابعد حدود التطور ، حتى عادت تنذر العالم بالويل والثبور .

ونحن في هذا العالم الذي يتزايد ظلمه وفساده ، واصبحت الهياكل السياسية ، مجرد مظهر فارغ ـ اشد الناس حاجة الى القوة المادية مضافة الى القوة المعنوية لقوله تعالى : = واعدوا لهم ما استطعتم من قوة = مادية ومعنوية .

وهذا النص الرباني لا يخص الكافر والفاجر ، بل يشملهما ويشمل الصائل والجائر ، فانه يتحتم دفعهما ويتعين قمعهما ، اذا كان الظلم لا يرتد الا بذلك لقوله تعالى : = ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم = ولقوله صلى الله عليه وسلم : المومن القوي خير من المومن الضعيف ، اي المومن الرهيب خير من المومن الرعيب .

وان القصد والجهد في الحق والعدل ، لا يخيب صاحبهما ولا يضيع طالبهما اذا كان قويا في نفسه ، وسويا في امره .

واذا فلا غنى عن قوة الايمان وقوة السنان ، وحكمة السلطان .

واذا كان السيف يلاقي السيف في ميدان الابطال ، فان الراي يناجي الراي من قبل في هذا المجال .

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو اول وهي المحل الثاني

وتجربة المسيرة التي توفق اليها القائد الحكيم ، والرائد المستقيم ، ذو الراي الحصيف والعقل الشريف ، كانت شرعية ومنطقية ، والهامية ، تؤيدها الحكمة والبصيرة وواقع التاريخ ، وكانت رحلة ودعوة وهجرة الى الله ورسوله ، والهجرة الى الله ورسوله تورث العز والمجد كما في حديث : هاجروا تورثوا ابناءكم مجدا . فهي مسيرة تشبه الى حد ما مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من المدينة المنورة الى مكة المكرمة للطواف ببيت الله الحرام والسعي بين الصفا والمروة ، فاعترض هذه المسيرة المباركة المشركون ، ووقفت بالحديبية وقوف المغبون ، وبعد اخذ ورد ترتبت عليها بيعة الرضوان تحت الشجرة ـ على الدخول الى مكة حربا ـ ولما علم المشركون القرار الذي قر عليه راي المسلمين اجروا معهم الصلح على ان يؤخروا عمرتهم الى العام القادم ، فاخروا ورجعوا بعد نحر هداياهم ، ثم اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بنزول سورة الفتح ـ وان الله يعدهم بمغانم كثيرة ، وفتوحات عظيمة اهمها فتح مكة الذي انفتح به باب الاسلام على مصراعيه ، واخذت الوفود تتوارد عليه ، وكان حظ المسلمين من هذه المسيرة الكريمة ، هو الفتح الظاهر ، والنصر الباهر ، والغنم الكاثر .

وهكذا كان شان المسيرة الخضراء التي حررت اقاليم الصحراء ، بايمانها القوي الشديد ، وبقصدها الصحيح الاكيد ، فما افشل الله قصدها ، ولا خيب سعيها ، لانها مسيرة الحق والعدل ، ومسيرة العزم والحزم ، ومسيرة التوكل والتوسل ، وقائدها قائد غيور محنك يعرف ما ياتي وما يذر ، وما يقدم وما يؤخر ، وبذلك جعلها الله وسيلة للوصل بين شمال المغرب وجنوبه ، وذريعة للفصل بين الحق والباطل ، وقوة مهيبة لقطع الطريق على الماكرين والغاصبين .

ذلك ان الصحراء المغربية لها صلات تاريخية ، وبينات طبيعية ، كما حكم بذلك رجال القانون ، وشهد به طابع السلالة المسنون .

ورغم هذه الدلائل والشواهد فان المستعمرين الدوا وعاندوا في تسليمها ، وان الماكرين تآمروا معهم على تقرير مصيرها ، ولم يكن ذلك محبة في حماية الصحراويين ذاتهم ، ولا رغبة في صيانة مصالحهم ، بل كان ذلك لتحقيق غرضهم وطمعهم ، ولتبرير موقفهم وباطلهم ، والواقع اقوى حجة واكبر شاهد ، الا ان الحق اذا قام على رجليه ، ونفض التراب عن جناحيه ، واعلن وجوده ونفوذه لم يستطع الباطل ان يتقدم امامه = وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا = ونحو هذا قوله تعالى :

أعضاء وفد صندوق التضامن الاسلامي في جلسة مع وزير المالية

الدكتور امادو كريم نقاي الامين العام للمؤتمر الاسلامي يستقبل من طرف عامل الدار البيضاء
[illegible]

= قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيـد = اى ليست له بداية ولا نهاية وذلك كناية عن خفائه وذهابه ، وان ترتر بارجافه وارهابه ، واذا صعد اهل الباطل باطلهم، واوضعوا فى الفتنة وسخروا أموالهم وسلاحهم ، فانه سيبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن =

وحقا ان المبادرة السلمية التى أوحى بها العاهل الكريم، كانت فى واقع الأمر مبادرة رائعة وقوة فنية ومعنوية ، وخطوة حاسمة ايجابية فى تحرير الصحراء المغربية ، ولقد بلغت هذه القوة بحمد الله غايتها وادركت نهايتها ، حيث نشأ عن وجودها التفاهم الجدى ، والتفاوض الرسمى الذى ادى الى ذلك الاتفاق القائم بتاريخ : 14 نونبر 1975 ــ وقد تضمن صك الاتفاق افراغ المستعمر للصحراء ، وتسليم ادارتها لسلطة المسيرة الخضراء ، وبجانبها موريطانيا جارة الصحراء ، فى وقت معين وفى أجل مسمى ، وتم ذلك بالمصادقة عليه فى منابر هيئة الامم المتحدة، بينما كانت بعض الحكومات ذات النزعات او النعرات ــ تتسرع الى التحريش والتحريض ، ضد المسيرة التى صاحبها التسديد والتاييد ، ــ وتتذرع بأنها قوة غزو وعملية هجوم لتحريك مجلس الامن وتأليبه على حبسها وسحبها ، ولكن الله حمى الحق ورمى الباطل ، فباءت تلك السعايات المغمومة ، والتدخلات المسمومة بالفشل الذريع ، والخزى الشنيع ، وظلت المسيرة فى طريقها ، تعاهد واجبها ، وتتابع خطوطها الى أن وصلت حدها ومنتهاها ، ولله الحمد والشكر .

وأيا ما يكون فقد ادهشت عقول السياسيين ، وغيرت وجهة نظر المستعمرين ، بما تجمع لها من نظام ادارى واتجاه سياسى ، وحماس وطني كان له بالتكبير لفظ وصياح ، ولم يكن له اي مادة من السلاح ، ــ وابانت ان المغرب شعب ناضج وناهض ــ ينافح عن حقوقه الطبيعية ومبادئه الاساسية ، ــ ويوازن بين ظروف الظلم وظروف السلم ، كما انه شعب وادع وهادىء لايبتئس ولا ينتقص ، غير انه اذا اهينت كرامته ، او هددت سلامته ، او اصيبت مكتسباته لا يسعه الا ان يجمع مجتمعه ، ويثور ثائره ، حتى ياخذ ثأره ، وينصر داره ، والاجتماع طبعه ، والانتصار شأنه ، وبخاصة عند اختلاف الصيحات والجوائب ، وتحرك المؤنسات والكتائب

وكثير من السطحيين المغرورين الذين يبحثون عن العورات ، ويتلقطون الشائعات تأخذهم المظاهر والمساطر ، وتزيدهم الاحقاد خرافات واساطير ، فيحكمون ان هناك شيئا وانه خلاف متمكن ومتحكم .

وما هو فى الواقع الا اختلاف فى الراى وتراجع فى الامر لا يلبث ان يزول كسحابة الصيف ، على ان ذلك شيء يهيء للدخول فى المحاورات ، وتحمل المسؤوليات وينبىء عن تحقق الوعي وتوفر الادراك ، الا ساء ما يحكمون .

وان الثقافة والمتانة التى عبرت عنها المسيرة المتوجة بتاج العز وأكليل النصر قد اوضحت لكل ذي عينين مدى ما بين العرش والشعب من تجاوب وترابط فالعرش لا يالوا جهدا فى العناية بمصالح الشعب تلك العناية التي تتجلى فى التخطيطات الدائمة والاهتمامات القائمة ــ لرفع مستواه الثقافى والمادى على السواء ، ولتحرير وتخليص ما تبقى من الاجزاء ، والشعب يدين للعرش بالولاء والوفاء ، وافصح دلالة تؤدى هذا المعنى مسيرة الصحراء ، التى استجابت فورا للنداء ، والتمرت بالامر الى الامام ، وانتهت بنهى ذلك الامام ، فعندما نادى جلالة الحسن الثاني اعزه الله بتحركها وانطلاقها تحركت وانطلقت فعلا ، ولما اشار بالوقوف والرجوع الى رباطها وقفت ورجعت حينا .

وان اثبات هذه الطاعة والاستجابة عن شيء فانما تنبىء ان المغاربة يدينون بالطاعة لله ورسوله ولاولى الامر الذين يطيعون الله ورسوله ، ويتعلقون بشعوبهم تعلقا مستديما ، ويتصرفون لصالحهم تصرفا مستقيما ، ولذلك تراهم يتداعون لتلبية من دعاهم لما يحييهم كالمولى محمد الخامس رحمه الله الذى خدم شعبه وحرر وطنه من ظلمات الاستعمار ، وغمرات الاغمار ــ والمولى الحسن الثاني حفظه الله الذى حرر الصحراء من تآمر الغاصبين ، وتناور الطامعين ، فتولى امرها وجاوب اهلها ، وقررت الصحراء مصيرها .

وهناك ظاهرة أصبحت تروج فى السياسة ، عند عرض القضايا على التصويت فى المنظمة فيسلكون مسلك الصموت ، ويلتزمون الهدوء والسكوت ، وهذا السلوك خذلان للحق الذى ربط الله نصر المومنين بنصره وهدد الذين ينقضون العهد بقوله = وقفوهم انهم مسؤولون مالكم لا تناصرون =

وغني عن القول ان الصراحة والنصاحة من صلب الدين ، ومن واجبات الاسلام على المسلمين ، فانه لابد وأن يكون احد الجانبين محقا والآخر مبطلا ، وبعيد أن يكون الكل في حق او في باطل ، فاما أن تناصر الحق بحسب رأيك واجتهادك فتكون قد خدمت الحق ونصرته ايا كان محله ومكانه ، ولذلك جزاؤه ومثوبته ، واما ان تناصر الباطل عمدا بما يوافق مصلحتك ومنفعتك فتكون قد عرفت الباطل ونصرته ، — ولذلك مسؤوليته وعقوبته ، لقوله تعالى = ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم = ولقوله صلى الله عليه وسلم : ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، واما السكوت فهو ضعف وخنوع ، وجبن وفتور ، وهو مضرة للحق ومنفعة للباطل واكثر من ذلك هو في معنى التزكية للمنكر والنطق بالباطل .

وموقف الاسلام في هذا الموضوع واضح وصريح من قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ، ونصر الظالم كفه عن ظلمه ، وايقافه عند حده ، ونصر المظلوم القيام بجانبه ، والدفاع عن حقه ، وعلى غرار هذا تكون الوساطة ايضا باقناع الظالم من الجانبين ، وكف جماحه وطغيانه ، = وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين = ومن المفهوم ان الاسلام لا يقوم على اعتبار المصالح الشخصية والمنافع الذاتية ، وانما يقوم في التربية والاجتماع على القناعة والعدالة ، ونصر الحق وانصاف الحكام ، ووضع العلاقات موضع التكافؤ والاحترام ، وعلى سياسة الوحدة وامانة الذمة ، وكفاءة الدولة ، وبدور في المال والاقتصاد على نشاط العمل ورواج السوق ، واستغلال الاراضي المنجمية والفلاحية ، ومحاربة الغش والربا في القروض والمبادلات التجارية ، ومراقبة المال الذي هو قوام حياة الناس ، فلا يتولاه السفهاء المبذرون ، ولا يتناوله المرابون والمبطلون ، وبذلك تعيش الامة الاسلامية بعضها الى بعض في سلام وامان ، وفي تكافل مطرد ، وتعاون مستمر ، فلا يوجد طغيان بربري ، ولا ظلم عبقري .

هذا وانه من اوجب الواجبات — الحفاظ على الحق المكتسب الذي لا خلاف فيه ولا جدال — والاحتفاظ بهذه الطاقة الشعبية ، والقدرة الجماعية — التي اكتشفتها العقول المستنيرة ، بعد ان اكتنفتها الظروف المغيرة — والتي كانت مثالا حيا في تقدير الجهود النضالية التي تتطلبها — معركة الدفاع والنزاع عن الحق والسيادة — ومعركة التقدم والتطور من اجل السعادة ، — واستغلالها في الحملات العدائية والخلايا العسكرية ، — وفي القيام باعمال التهديد والتامين واذا عصفت عواصف الظلم والتعدي ، وبدرت بوادر الضغط والتحدي ، ومساهمتها كذلك في المصالح الادبية والمادية ، وفي الاجراءات السياسية والانتخابية التي اظل ابانها ، واقترب عدانها ، فان كل ما هو آت قريب ، وان كل يوم من هذه الايام جديد لاسيما وقد ظهرت درجة نضجها ووعيها ومدى قدرتها على مواجهة التيارات والمفاجئات ، اذ بفضل هذه القوة التي مثلت الشعب بكامل هيئاته وطبقاته امكن ان يوضع حد لمشكل الصحراء الذي دام اعواما وسنين وهو يتردى في هوات المستعمرات والمستكبرين ، ويمكن ان يضع حد آخر وبشكل آخر للمتربصين والمتآمرين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، والذين يظنون بهم ظنونا سيئة وخاطئة لا وجود لها البتة .

وهؤلاء هم الذين انقلبوا ظهرا لبطن وجعلوا من انفسهم خصوما وقد بذلوا وما زالوا يبذلون اقصى جهودهم لمناهضة المغرب ومناوءته على تحرير ارضه، وتجميع شمله ، اذ لا يروقهم ان يسترجع هذا البلد صحراءه ويستجمع ترابه ، تحببا للمهيمنين والمسيطرين ، وتقربا من المتجبرين والمستعمرين الذين ملئوا الارض شرا وحربا وخوفا ورعبا ، وحسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ،

على ان خلافهم المشهور ، وكلامهم المنشور لا يتناسب مع الفكرة الحكيمة ولا يتجاوب مع الفطرة السليمة لانه لا يستند الى معيار ومقياس ، ولا يتركز على اساس ، وانما هو من فضول اللسان وخواطئه ، ومن باب رمي الكلام على عواهنه .

وهم الذين يتلذذون في اندية التوادي ، باعلاء المخزيات والضوادي ويتوسعون في اهداء الشتائم والنمائم ليل نهار ، لهذا البلد المحسن الجار .

وذلك من شأن العاجز عن اقامة الحجج ، بدلا من ركوب اللدد واللجج ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقال : سباب المسلم فسوق ، ونعوذ بالله من الفسوق

جلسة وفد صندوق التضامن الاسلامي مع وزير الاقتصاد الوطني والمالية

والعقوق ـ وهم الذين يستصرخون ويتظاهرون انهم مهددون ، لانه نفد صبرهم وعز عليهم ان يروا البلد الذي لا يمكن ان يهددهم ، وانما يمكن ان يحسن اليهم، كما احسن من قبل ـ عز عليهم ان يروه يزاحمهم او يشاركهم في الزعامة التي يحلمون بها حسب ظنهم وتقديرهم الخاطىء ـ وهذا الاستصراخ لا محل له من الاعراب لتصوع الحق وظهوره ، ولفجور الباطل وغروره ، فان الحق ابلج ، وان الباطل اعوج ـ وتعالى الله ان يعين ظالما او يقر باطلا ، ـ وهم الذين طوعت لهم انفسهم ان ياتوا اعمالا لا تكسبهم حمدا ، ولا تورثهم مجدا ، وانما تسيء الى مجتمعهم وتاريخهم ـ فتراهم يطردون اخوانهم المغاربة الذين شاطروهم في استقلال بلادهم ، وتضامنوا معهم في معارك حريتهم ، وتراهم يستولون على اموالهم وممتلكاتهم ، ويفرقون بينهم وبين ازواجهم وبين الآباء والامهات واولادهم ، وذلك بصورة همجية ووحشية ، يندى لها جبين الانسانية ، ويخجل منها خلق الديمقراطية ، ودين التقدمية ، التي يتبجحون بها ، ويتشدقون من اجلها ، والنبي صلى الله عليه يقول : لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفسه ، ويقول : من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبائه يوم القيامة ، واين هذا المذهب في نظامه ، من مذهب الاسلام في اخلاقه ، واين هذا العمل الشاذ الذي ينسف قاعدة الوحدة والامان ، من العمل البناء الذي يرفع أسس الاخاء والايمان ، وهم الذين يهيئون بارجافهم ويتهيئون بانفسهم لاثارة وحشة متماحلة وفتنة متطاولة قد تجر الى اوخم العواقب واعظم الويلات ، وقد يكونون اول من يتأثر بها ـ كما يقول المثل السائر : من حفر حفرة لاخيه سقط فيها . ـ وهم الذين يلبسون الحق بالباطل ويهددون هذا الجار الأمين ، = ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين =

ولشد ما جنوا على هذا البلد الذي هو مقر العساكر ، ومدق الحوافر ، كما هو كريم المحاتد مستند الى المجد الواتد ، وقد قال سبحانه في حق من زاغ عن الحق = اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير = وعلى كل حال فمن واجب السياسة وبالغ الحكمة التيقظ والتحفظ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اخوك البكري فلا تأمنه . ولقوله ايضا : احترسوا من الناس بسوء الظن . وفي المثل العربي : تاصع أخاك الخبر وكن منه على حذر . والظلم ظلمات كما قال صلى الله عليه وسلم . = وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون =

الرحالي الفاروق

الحسن الثاني

وثقافة الاسلام بين أقطاره



الدعوة الى الله هي مهمة الرسل والانبيـاء ، وعلماء الدين هم ورثة الانبياء كما هـو نص حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، يحملون امانة تبليـغ الدعوة الى امتها ، يستجيبون لتبليغها كمـا امتثل الرسول الأمر بتبليغها منذ خاطبه المولى سبحانه وتعالى بقوله « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتالي هي احسن** » ويزيد طموح العلمـاء لنيل احسن رتبة في ميدان تبليغ الدعـوة عندمـا يستمعون للآية التي تقول « **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ، وعمل صالحا ، وقال : انني من المسلمين** » .

وتطبيقا لتوسيع ميدان الدعوة في نفس المجتمع البشري وللتعريف بمبادىء الاسلام ومزاياه واشاعة لثقافته بين أكبر عدد ممكن من المسلمين ، جـرت عادة ملوك المغرب المخلصين بعقد مجالس علمية عامة تحضرها الجماهير الغفيرة من العلماء والطلبـة الشادين في العلم زيادة على الوزراء والامـراء والقواد والباشوات ورؤساء الادارات والاعيان ، ويتولى اكابر العلماء في هذه المجالس تفسير آيات من كتاب الله القرآن الخالد ، وآحاديث ثابتة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيحصل التبادل الثقافي بين جمهور العلماء ، وخصوصا اذا اتوا من اقطار اخرى ويعم التعرف على مبادىء الاسلام الحنيف فتشمـل هدايته وتعم عائدته ؛ وفي العصر الحاضر ازدادت جماهير المستفيدين من عقد هذه المجالس العلمية الارشادية الهامة بواسطة الاذاعة عمومـا ، والتلفزة الناقلة للصوت والصورة معا عبر الاثير والتي تصل الى الآفاق البعيدة لتسمع ملايين البشر فتعـم الفائدة ، ويتعرف كل المستمعين والناظرين ما عند الامم الاخرى من علم وثقافة ومبادىء وسلوك ؛ واذا كانت الاذاعة والتلفزيون في مختلف الامم يوجهون الجمهور الناظر والمستمع الى الروايات الهزلية واغاني المجون والتمثيل الخليع والصراع حـول الاجرام وكيفية السرقات في كثير من الاحيان دون رقابة اخلاقية نزيهة في كثير من الامم ؛ فان استغلال هذه الاذاعة والتلفزيون في نشر ثقافـة الاسـلام والتعرف على شريعته ، وعقيدته واخلاقه وادابه هي من الاهمية بمكان ؛ خصوصا في هذا العصر الـذي اخذت المبادىء الهدامة تغزو المجتمعات الاسلامية باسم الحرية التي بلغت الى حد الاباحية والتي بلغت جحود الخالق وعدم المبالات بكرم الاخلاق لتسلب ان الاسلام اعز ما يهذب نفوسها ويطهر ارواحها مـن مكارم شريعتها الاسلامية السمحة وادابهـا المثالية السامية ؛ وان التاريخ ليحدثنا عن المجالس العلمية التي كان اعاظم ملوك المغرب يترأسونها بانفسهـم بل ويلقون الدروس العلمية بها ان كانت ثقافتهـم تؤهلهم لهذه المهمات العلمية .

ولعل احياء امير المومنين مولانا الحسن الثاني حفظه الله لهذه السنة الحميدة في هـذا العصر

المادي ومشاركته العلمية العبقرية فيها بمعاريفه وتوجيهاته يكون خير قدوة لغيره من ملوك ورؤساء المسلمين في المشرق والمغرب فيستدعون لها انبه العلماء المشهورين في العالم الاسلامي كما يفعل حفظه الله ليفيدوا جماهير المسلمين بما عندهم من علم وثقافة حتى تحيي هذه المدرسة التي تزعم اسرها ملك المغرب العبقري اقتداء بالملوك السابقين واجداده المنعمين قدس الله ارواحهم في ذلك ايضا احسن دعوة الشباب المسلم للتعرف على مزايا الاسلام والعمل على تطبيقها في المجتمع ، وخصوصا بين الشباب الذين لم يتثقفوا ثقافة اسلامية بل تشبعوا بالثقافة الاجنبية المادية الصرفة التي لا تعير اهتماما للروحيات وتزداد الثقافة الاسلامية اهمية بالنسبة للذين يتحملون مسؤولية ادارية وتوجيهية في مجتمع يدين بالاسلام ويريد النهوض في العصر الحاضر على اساسه .

ويجمل بنا في هذا الموضوع ان نسوق بعض الامثلة لهذه الدروس الدينية السامة التي كان يلقيها اكابر العلماء بين ايدي ملوك المغرب وفي قصورهم وبمشاركة المثقفين من الملوك انفسهم .

استدعاء العلماء المغرب وهجرتهم اليه :

ومن المعلوم ان المغرب العربي كان موحدا في عهد المرابطين والموحدين ومدة في عهد المرينيين بل كان موحدا مع الاندلس في عهد الدولتين الاولتين والاسلام ، كان في هذه العصور هو الرائد والقائد وتحت رايته ساد الاسلام في هذه الربوع وحقق انبل المقاصد عندما طبق على وجهه حيث كان ملوك المغرب يعتمدون علماء الدين في تصرفاتهم يستدعونهم الى المغرب من الاندلس وغيرها زيادة على العلماء المحليين يقربونهم ويستشيرونهم ويفسحون المجال امامهم لنشر عقائد الاسلام وشريعته العملية واخلاقه وادابه ، فبطل وقعة الزلاقة بالاندلس يوسف ابن تاشفين رحمه الله كانت حضرته غاصة بالعلماء ، وخصوصا اهل علم الفقه والدين يقول عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب : **وحين ملك امير المسلمين جزيرة الاندلس واطاعته باسرها ولم يختلف عليه شيء منها عد يومئذ في جملة الملوك واستحق اسم السلطنة وتسمى هو واصحابه بالمرابطين وصار هو وابنه معدودين في اكابر الملوك لان جزيرة الاندلس هي حاضرة المغرب الاقصى وام قراه ومعدن الفضائل منه فعامة الفضلاء من اهل كل شان منسوبون اليها ومعدودين منها .**

ثم يقول صاحب المعجب : **فانقطع الى امير المسلمين من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار** . ويقول ، ايضا : واشتد ايثاره لاهل الفقه والدين وكان لا يقطع امرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء فكان اذا ولى احدا من قضاته كان فيما يعهد اليه الا يقطع امرا ولا يبث في صغير من الامور ولا كبير الا بمحضر اربعة من الفقهاء **فبلغ الفقهاء في ايامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس** ويقول عبد الواحد المراكشي في خصوص استدعاء يوسف بن تاشفين للكتاب ولم يزل امير المسلمين من اول امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له صاح يجتمع لملك .

وبذلك تعلم ان الشمال الافريقي كله من طنجة الى برقة وحدود مصر مع الاندلس هذه الوحدة المتكاملة بين هذه الاقطار الاسلامية كلها كان علماء الدين يسيرونها بتطبيق شريعة الاسلام ونشر دعوته التي اثمرت عدالة اجتماعية قل نظيرها في كثير من الاعصار .

وقد زادت تعاليم الاسلام انتشارا وشيوعا بعد تمكن دعوة الموحدين وان كانت مشوبة في اولها بالمهدوية المعلومة ، كما ازدهرت العلوم حتى الفلسفية في هذا العهد الموحدي ابتداء هذا منذ مؤسسه الاول عبد المومن بن علي يقول عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب : وكان عبد المومن مؤثرا لاهل العلم محبا لهم محسنا اليهم يستدعيهم من البلاد الى السكون عنده والجوار بحضرته ويجري عليهم الارزاق الواسعة ، ويظهر التنويه بهم والاعظام لهم وقسم الطلبة طائفتين طلبة الموحدين وطلبة الحضر هذا بعد ان تسمى المصامدة بالموحدين لتسمية ابن تومرت لهم بذلك لاجل خوضهم في علم الاعتقاد الذي لم يكن احد من اهل ذلك الزمان يخوض في شيء منه ؛ وكان عبد المومن في نفسه سري الهمة نزيه النفس شديد الملوكية كانه ورثها كابرا عن كابر) .

عادة الموحدين فى مجالسهم العلمية

يقول عبد الواحد المراكشي فى كتابه المعجب : وقد جرت عادتهم بالكتب الى البلاد واستجلاب العلماء الى حضرتهم ، ونذكر على سبيل المثال ثلاثة من رؤساء العلماء كانوا يلقون الدروس امام الملوك والجمهور **اولهم الشريف التلمساني** .

قال الشيخ احمد بابا التنبكتي فى كتابه تطريز الديباج فى ترجمة العلامة احمد الشريف التلمساني انه رجع لتلمسان وانتصب للتدريس وبث العلم ، فملأ المغرب معارف وتلاميذ الى ان اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ثم ملك ابو عنان تلمسان بعد مهلك ابيه سنة ثلاثة وخمسين فاختار الشريف مع من اختار من العلماء لمجلسه العلمي ورحل به لفاس فتبرم الشريف من الغربة فغضب السلطان لذلك وفى نفس الترجمة نقل الشيخ احمد بابا قول الشيخ ابي يحيى المطغرى : لما اجتمع العلماء عند ابى عنان امر الفقيه العالم المقرىء باقراء التفسير فامتنع منه وقال الشريف ابو عبد الله اولى منه بذلك فقال له السلطان تعلم انت علوم القراءات واهل تفسيره فاقراه قال له ان ابا عبد الله اعلم بذلك مني فلا يسعني الاقراء بحضرته فعجبوا من انصافه ففسر ابو عبد الله بحضرة العلماء كافة فى دار السلطان ونزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصيرة فاتى بما ادهش الحاضرين حتى قال السلطان عند فراغه : **انى لارى العلم يخرج من منابت شعره** وجاء اليه القاضي القشتالي بعد خروجهم ، فطلب منه تقييد ما صدر منه ذلك اليوم فقال انه من كتاب كذا وكذا وذكر كتبا معروفة عندهم فعلم القاضي ان الحسن للشيخ ، وان الامر غير مكتسب ثم قال الشيخ احمد بابا عن ابي عبد الله المذكور : فسر القرآن خمس وعشرين سنة بحضرة اكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة لا يتخلف منهم احد عالما بقراءته وروايته وفنون علومه من بيان واحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها مع اقامته فى الحديث وفقهه وغريبه ومتونه ورجاله وانواع فنونه الى الامامة فى اصول الدين الخ .. وذكر له فضائل كثيرة رحمة الله عليه .

اما العلامة المقرى الذى امره السلطان ابو عنان باقراء التفسير بحضرته فقال ابن خلدون فى حقه حسبما فى تطريز الديباج اخذ المقرى العلم بتلمسان عن ابى عبد الله البلوى ثم لازم بعده شيخنا الابلى وابني الامام واستبحر فى العلوم وتفنن ولما نقض السلطان ابو عنان بيعة ابيه ندبه لكتابة البيعة فكتبها وقراها على الناس فى يوم مشهود وارتحل معه لفاس فعزل قاضيها الشيخ المعمر ابن عبد الرزاق وولاه فلم يزل قاضيا بها حتى سخطه لبعض النزعة الملوكية فعزله كما ذكر صاحب تطريز الديباج بعثه سفيرا للاندلس فامتنع من الرجوع فانكر السلطان على صاحب الاندلس وخلاصة القضية شفاعة صاحب الاندلس فيه وارسله مع وفد بعد كتابة السلطان امانا له ثم تركه عاطلا من الولاية ثم ولاه قضاء العسكر الى ان مات رحمه الله .

ومما ذكر عنه مما يناسب هذا المقام فى موضوع الدروس العلمية امام المالك انه كان يقرا بين يدى السلطان ابى عنان صحيح مسلم بحضرة اكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى حديث الايمة من قريش قال الناس ان افصح بذلك استوغر قلب السلطان وان روى وقع فى محظور فجعلوا يتوقعون ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور : ان الايمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر وقال لا عليك فان القرشي اليوم مظنون وانت اهل للخلافة اذ توفرت فيك بعض الشروط والحمد لله فلما انصرف لمنزله بعث له السلطان الف دينار وقال الونشريشي وهذا مستوفى نسيج شيوخنا العلامة النظار ابو عبد الله ابن مرزوق ترجمته فى كتاب سماه النور البدرى فى التعريف بالفقيه المقرى ، وكان المقرى منزلة عظيمة بين العلماء وله عدة تآليف وذكر الشيخ احمد بابا التنبكتي ايضا نقلا عن ابن خلدون فى ترجمة الحافظ السطي قوله واختاره السلطان ابو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته وكان ابو الحسن لدينه وسراوته وبعد شأوه فى الفضل يتشوق لتنويه مجلسه بهم فقدم السطي معه تونس وشهدنا وفور فضائله وكان فى الفقه نبيها لا يجارى حفظا وفهما قال ابن خلدون وكان اخي محمد يقرا عليه تبصرة اللخمي ويصححها عليه من املائه وحفظه فى مجالس عديدة وكان هذا حاله فى اكثر ما يعانيه من الكتب وحضر مع السلطان ابى الحسن واقعة القيروان وخلص معه الى تونس واقام معه بها نحو من سنتين ، ثم غرق فى سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم وذكر الشيخ احمد بابا انه كان مدرس حضرة ابى الحسن ومفتيه

وخطيبه مقبلا على ما يعنيه لا تراه الا مكبا على النظر والقراءة والتقييد حتى في مجلس السلطان ، ثم قال وناهيك من جلالته انه لما وصل تونس طلب منه ابن عرفة قراءة الحوفية (يعني كتـاب فرائض التركات المشهور) فقال بلغني انك قرأته على ابن عبـد السلام الربعي شيخ الجماعة بتونس ابن عبد السلام شيخ ابن عرفة المشهور . فقال له رأى ابن عرفة للشيخ السطي نعم ولكن وقق عليه منه مواضع قال ابن عرفة فقـال لي ليس لي وقت الا ساعة خروجي من عنـد السلطان قال فكنت انتظره عند الزوال حتى يخرج من عنـد السلطان فاذا خرج قرات عليه حتى اذا وصلنا الى تلك المواضع التي توقف فيها ابن عبد السـلام مـن المناسخات والاقرارات فقررها لـي اقـرب ما كان واحسنه انتهى ، نقله الرصاع تلميذ ابن عرفة في كتابه لشرح تعاريف ابن عرفة ، وبهذه النقول نعرف ما كانت عليه عادة ملوك المغرب في تعميم الثقافة الاسلاميـة وامرها لاكابر علماء المغرب العربي بعقد مجالس علمية بين ايديهم بحضور الوزراء وكبار موظفي الدولـة والامراء والعلماء وعلية طلبة العلم كما نتيقن ان احياء امير المومنين مولانا الحسن الثاني لهذه السنة الكريمة هو احياء لطريقة عظماء ملوك المغرب واسلافـه الامجاد، ونرجو ان يقتدي ملوك ورؤساء العرب في عقد المجالس العلمية لتعميم ثقافة الاسلام اقتداء بامير المومنين مولانا الحسن الثاني زاده الله توفيقا وبلغه كل ما يرجوه لشريعة جده المصطفى عليه السلام .

ونقرا في تطريز الديباج في ترجمة فريد عصره الامام محمد الابلي انه لما لقي السلطان ابو الحسن عند فتـح تـلـمـسـان ابـا مـوسى ابـن الامـام اثـنـى عـلـيـه (اي عـلـى الابـلـي) ووصفه بتقدمه في العلوم وكان يعتني بجمع العلماء لمجلسه فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء فعكف على التدريس والتعليم ولازمه حضرا وسفـرا وحضـر معه وقعة طريق القيروان قال ابن خلدون لازمته واخذت عنه فنونا ثم طلبه ابو عنان بتلمسان فنظمه في علماء المشيخة وكان يقرا عليه حتى مات بفاس سنة 757 .

وكذلك الشأن في المجالس العلمية في عهـد الدولة السعدية يقول الاستاذ العميد الرحالي الفاروق حفظه الله في بحث له : لما بويع الخليفـة احمـد المنصور الذهبي وخرج من فاس سنـة 989 (اي هجرية) كان العلماء والطلبة يقراون بين يديه الجامع الصحيح للبخاري وفي عصره ازدهرت الحركة العلمية واصبحت دراسة الحديث بالقصر الملكي تاخـذ صبغتها الرسمية فكان رحمه الله يعقـد المجالس لهذا الغرض خلال شهر رمضان المبارك ويستدعـي لها العلماء من فاس ومراكش ويشاركهم بحديثه .

اما في عهد الدولة العلوية الشريفة فازدهرت العناية في هذا الشان حتى ان المولى اسماعيـل اقام فتح الامام ابن عبد الله المجاصي تفسيـر القرآن الكريم بقصره الخاص واستدعى له العلماء واكرمهم ومن تواضعه اخذ يصب الماء على ايدي العلماء وتولى توزيع الجوائز عليهم .

وكذلك شان المولى محمد بن عبد اللـه العلوي حيث يستقدم العلماء لحضرته وينتقي منهم طائفـة لمجلسه وكان على راسهم الشيخ التـاودي الـذي كان له مكانة خاصة في المجالس العلمية حتى انـه الف حاشيته القيمة على صحيح البخاري المطبوعـة بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1328 هجرية زيادة على عناية المولى محمد بن عبد الله بوضع قانون للتعليم ولنشر مواده على الخصوص والعموم قـال الاستاذ ابرحالي الانف الذكر في حق المولى محمد بن عبـد الله : (ولم يكتف هذا الملك الهمام بدراسة الحديث وعقد المجالس بل اشتغل بالجمع والتاليف واعتكف على دواوين الحديث فالف في الموضوع كتـاب الفتوحات الالاهية الصغرى وكتاب الفتوحات الالاهية الكبرى وكتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج عن ستة مسانيد) وذكر ابو القاسم الزياني فـي كتابه الترجمانة الكبرى ان السلطان المولى محمد بن عبد الله اوصاه عند رحلته ان يشتري مسنـد الامام ابي حنيفة ومسند الامام الشافعي ومسند الامام احمد بن حنبل والطريقة المحمدية المختصرة من الاحياء فاشتراها له ، ونظرا لطموح المولى محمد بن عبـد الله وعبقريته وسلفيته ورغبته الشديدة في تنظيـم التعليم ونشر المعارف بالمغرب اقترح كاتب هـذه السطور على الاستاذ الجليل السيد الحسن العبادي السوسي ان يجعل موضوع رسالته لنيل شهادة دار الحديث الحسنية في حياة المولى محمد بن عبد الله تقديرا لاعماله الجليلة في مختلف الوانهـا العلميـة والسياسية والاجتماعية فجاءت في غاية الاهميـة وقد كتب كاتبه محمد الطنجي نبذة عن حياة المولـى محمد بن عبد الله العظيمة في العدد الرابع من مجلة دعوة الحق من سنتها الثانية عشرة .

وفى عهد المولى سليمان قدس الله روحه ازدادت العناية بعقد المجالس العلمية وكان رحمه الله يحضرها ويشارك بدروسه العلمية القيمة فيها وقد سجل خطبته المشهورة التي كان الخطباء يخطبون بها يوم الجمعة التى موضوعها الحض عن لزوم السنة والتحذير من البدعة مما يدل على عقيق تفكيره وقوة سعيه فى التمسك بالسلفية التى هى ميزة المتضلعين فى علم الحديث .

واستمرت العناية بالمجالس العلمية كذلك فى عهد المولى عبد الرحمن بن هشام وابنه الهمام المولى محمد بن عبد الرحمن .

وكذلك استمرت العناية بالمجالس الحديثية فى عهد الملك المصلح المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن .

وفى عهد المولى عبد الحفيظ استمرت المجالس الحديثية بالقصر الملكي وصادف ذلك **قيام الحافظ ابو شعيب الدكالي بالدعوة السلفية واحيائها بشكل عام فى المغرب مما كان له اجمل الاثر فى الحياة الفكرية والسلفية بالمغرب** وكذلك العلامة المحدث السلفي شيخنا سيدى عبد الرحمن بن القرشي رحمه الله وقد اعتنى السلطان المولى عبد الحفيظ بطبع عدة كتب فى السيرة النبوية والحديث والتفسير وتراجم الصحابة كتفسير ابي حيان واحكام ابي العربي والاصابة الحافظ ابن حجر ومعه كتاب الاستيعاب للحفاظ ابن عبد البر وسيرة ابن هشام ومعها الروض الانف وعدة كتب فى اللغة العربية .

ومن المشاركين فى هذه الدروس الحديثة والتفسيرية شيخ الجماعة بفاس السيد احمد بن الخياط والعلامة السيد المكي البطاوى الرباطي وغيرهم ، واستمر هؤلاء فى عهد المولى يوسف رحمه الله على ما كانوا عليه من المشاركين فى المجالس العلمية اما فى عهد بطل تحرير المغرب المولى محمد بن يوسف قدس الله روحه فكان الشيخ سيدى المدني بن الحسني وشيخ الاسلام السلفي وشيخنا سيدى محمد العربي العلوى والعلامة السيد محمد الحجوى الثعالبي غرة هذه المجالس العلمية المشاركين بمعارفهم الواسعة فيها .

واذا احيى امير المومنين الحسن الثانى نصره الله هذه المكرمة العلمية بكيفية اعم واشمل واستدعى لها علية ونخبة علماء الاسلام من اقطاره فانما يبرهن بعبقريته ويشارك بمعارفه وتوجيهاته على اصالة المغرب وعريق حضارته ويربط ماضى المغرب الفاخر بحاضره الباهر ولرجو ان يكون بعمله هذا كما اسلفنا خير قدوة لملوك المسلمين ورؤسائهم فى الاقتداء به لاحياء الثقافة الاسلامية السامية واشاعتها فى عهد الاذاعة والتلفزيون بين ملايين البشر فى المشرق والمغرب والله ولي التوفيق .

تطوان : محمد الطنجي



شجرة الحب والحكمة

للأستاذ عبد العلي الوزاني

صحراؤنا ، بساطنا المسجدي الذي سحب من تحت اقدامنا على حين غفلة . ومهدنا القديم الذي تقلبنا فيه ، ومنه خرجنا الى الدنيا نبتغي عندها بعيد المرامي والاغراض . في جنباتها ضربنا خيامنا ، وعلى رمالها تهادت ناقاتنا ، وفوق تبرها تبارى فرساننا ، وفي حرارتها اشتدت اعصابنا . في دمائنا شعلة من شمسها ، وفي عيوننا قبس من نورها ، وفي رؤوسنا اثر من شموخها . في صدورنا اليها حنين ، وبين جنوبنا لها شوق ، وفي خيالنا منها اطياف وذكريات . لقد تركنا فيها نخيلا نحن غرسناه ، وبيتا نحن أقمناه، ومجدا نحن شيدناه ، وجلالا نحن خلقناه . اجدادنا الاشاوس يرقدون تحت اديمها ، وحوافر خيولنا محفورة فوق رمالها ، وناقاتنا تالهات بين ربوعها . كم غزوة غزوناها من حضنها الحصين ، وكم عدو دافعناه عن ركنها الركين . ! وكم خفقت لنا فوقها من رايات . ! وكانت لنا عند اعدائها من ثارات .. !

وهبتنا من رمالها الذهبية سمرة اللون ، وحمرة التراب ، وسخونة الدماء ، وتوهج النظرات . فجلودنا بعض من اديمها ، وترابنا قطعة من قماشها ، ودماؤنا قطرات من بحرها . فهي منا بمثابة الام ، ارضعتنا ثديها زمنا ، فلما شببنا عن الطوق ، ابتغينا غنى عنها، وضربنا في الارض ، نؤسس الملك ، ونشيد الحضارة، وننشر الاسلام . ولكن الام كانت دائما هناك ، بصبرها الجميل ، وانتظارها الطويل ، ووقائها المنقطع النظير، في شوق الى عودة الغائب من ابنائها ، كما تعود النسور الى اوكارها ، بعد تحويم وتحليق . ونحن لم ننس الام الرؤوم ، والصابرة الكتوم . الم نستعض عن لقائها برسمها على اللوحات ، ووشم نخيلها على السواعد والراحات ؟ وتطريزه على المناديل وغرسه في الميادين والساحات ؟ ولكن ذلك لا يغنينا عن اللقاء مهما شط المزار ، وتباعدت الديار . فلنا هناك اخوة كرام طالما صاحوا : واذلاه .. ! واخوات عزيزات طالما صرخن : وامعتصماه .. ! ولكل كارثة معتصم، كما لكل جائحة منتقم ...

عندما ارى عمائم شيوخنا اذكر الصحراء ، وعندما تطالعني برانسهم العريضة اذكر الصحراء ، ولما القى نخلة فارعة القامة اذكر الصحراء ، وحينما اسمع نواح ناي ، او ارى قافلة جمال اذكر الصحراء. فنحن لم نستطع بعد مغادرة الصحراء ان نزيل كل آثارها من حياتنا ، فاحتفظنا منها باشياء كثيرة ، تذكرنا بها في كل حين . فهي صور في كتب التلاميذ، ودروس على السنة الاساتيذ ، ووبر في جلابيب الرجال ، ورسوم في حناء النساء ، واغرودة في افواه المغنين ، وكلمات في قصائد الشاعرين ، ورسوم في لوحات الرسامين .

من قبيلة الصحراء انحدر وجودنا ، واليها يرد ابطالنا ، فطارق واخوته ، وابن تاشفين وزمرته ، انجم الاقطار ، وجمرو الامصار ، كانوا هدية الصحراء الى الاجيال ، وحظها من الزعماء والاقيال . لم يتركوا الصحراء قلى وقطيعة ، وانما تركوها

لتحقيق آمال كبار ، اذ كانوا على موعد مع التاريخ ، ليغيروا اتجاهه ، ويوجهوا احداثه ، ويدلوه على اية صورة يكون . مضوا عن الصحراء ، كما يمضي الفرسان عن قريتهم الى عمل ينجزونه ، او رزق يصيبونه ، ثم يعودون اليها وايديهم عامرة ، وقلوبهم مطمئنة . ولكن الفرسان في احدى المرات خرجوا ولم يعودوا ، بعضهم لقي حتفه ، وبعضهم الف الغربة والضرب في الآفاق ، وبعضهم قعدت به عن العودة اوطار الفؤاد ، وبعضهم لقي نجاحا اغراه بمواصلة السير ، والامعان في انتزاع المزيد من اكاليل الغار . ومات الفرسان متساقطين واحدا بعد الآخر ، ولكن ابناءهم عرفوا الاصل القديم . شموه في ثيابهم ، واستشعروه في اسمائهم والقابهم ، وتحسسوه في تقاطيع وجوههم ، فعاشوا دائما على حلم العودة . لم يثنهم عن ذلك نعيم الحضارة ، ولا خفض العيش ، ولا رقة الجانب . ففي ابن الصحراء خصال حميدة ، منها حفاظه على جوهره النقي الكريم ، مهما جارت عليه انواع الطلاء ، وصنوف المساحيق . فهو قادر على ان يخلع عنه كل زيف ، ليعود صديق النخلة ، ورفيق الواحة ، ورجل العشيرة . لكن حال بيننا وبين صحرائنا هول جسيم ، وكيد من الشيطان الرجيم . كما يحال بين الطير وعشه ، او بين المرء ونفسه ، او بين الماء ومصبه . صدنا عنها قوم شأننا معهم هو العجب العجاب ، والحديث الشيق المستطاب ، ولو ان فيه لذعة الم عميق ، وفتحا لجرح مندمل عتيق . فهم يا سيدي شركاؤنا في فصائل الدم ، ونظراؤنا في مذاهب الحضارة . نساؤهم كن نساءنا ، ما بين امهات وبنات واخوات وزوجات . اعطيناهن الاسم واللقب ، واللغة والادب ، والحسب والنسب ... ونصبناهن اميرات على القصور ، يسطعن فيها كالبدور ، وبوأناهن عمادة البيوتات ، وانجبنا منهن ابطال الفتوحات . حملنا اليهن نفائس الجواهر ، وطوقنا اعناقهن بحلى المفاخر ، فجررن علينا ذيول الخيلاء ، وصلن على الوزراء والكبراء . قوم كسوناهم ثيابنا ، واطعمناهم طعامنا ، وقاسمناهم دماءنا ، وآكلناهم على مائدة واحدة ، واشركناهم في العيش والملح . ثم حدثت صروف من الدهر مزقت الشمل الجامع ، ونثرت العقد المنتظم ، فغربوا وشرقنا ، واغاروا وانجدنا ، وانتهى شأننا معهم الى حرب طويلة النفس ، تقابل فيها الاصهار ، وتبارز الاخوة الاحرار ، حتى سالت الدماء انهارا بعد انهار . وبعد مرور زمن طويل ، خف وقع الكارثة ، وهدأت اعصاب المقاتلين ، وطويت الحزازات في لفافات من المجاملة والادب الدبلوماسي ، وعادت الصلات من جديد ، ولكن في شكل آخر .

وظل المغاربة باستمرار يحلمون بالفردوس المفقود ، يبكونه بارق الشعر ، ويذوبون عليه حسرة وكمدا . وحق لهم ذلك ، اذ تركوا هناك حضارة كاملة بهرت العالم ، وتألقت في سماء اوربا كوكبا ساطعا عدة قرون . وخلفوا وراءهم رفات الاجداد ، وذخائر الفكر ، وفنون العمارة ، وباسقات الاشجار ، وناضجات الثمار . ولن ينسوا البلاد التي بنوا قصورها وابراجها وقناطرها قطعة قطعة ، وطوبة فوق طوبة ، ومزجوها بعرقهم ودموعهم . وكان خليقا بقريبهم ان يرعى حرمة المصاهرة والمداخلة ، وواجب الزمالة والمصاحبة . لو تامل وجهه لراى فيه ملامح من وجوهنا ، او قلب يديه لوجد لها شبها بأيدينا ، وفحص داره لالفى فيها نقوشا من فننا ، ورسوما من صنعنا ، وحجارة من ارضنا . خليقا به ـ واظنه فاعلا ـ ان يذكر ايام العشرة الطويلة ، ايام كنا نتبادل المواقع والمنافع ، ونشدو بين الخمائل والمرابع ، وقد ائتلف الصليب والمصحف ، وتجاورت الكنيسة والمسجد ، وتصادق الراهب والامام ، وتعانق الشرق والغرب ، ورقصت الاسبانيات على انغام الموسيقى العربية ، وتغنين الشعر العربي انغاما شجية ، وقد ازدانت بهن قصور الخلافة ، وطابت لياليها الساهرات ، يمرحن فيها ساحرات مائسات . لقد ذهبنا اليه يوما حاملين الثقافة والحضارة ، ومبشرين بالفضيلة والديانة ، ورافعين لواء الحرية والعدالة ، فحكمنا حكم القادرين العافين ، وتصرفنا تصرف الاكفاء العارفين ، حتى ارتفعت على ايدينا صروح العلم ، وتألقت آيات العمران ، وهدأت بلابل الرعية ، وعرف المحكوم من عيشة كل رضى جميل . وتقلبت بنا وبه الايام ، فتقلص ظلنا بعد امتداد ، وغربت شمسنا بعد اشراق ، وعادت خيولنا الى الحقول ، مرخاة العنان ، تنشد الراحة بعد جهاد تصبب فيه عرقها غزيرا ، ورجعت سيوفنا الى اغمادها لترقد فيها طويلا حتى علاها الصدا ، وصرنا لا نريد من دنيا الا ان نعيش هادئين وادعين ، ننعم بوحدة الوطن ، واجتماع الشمل ، وحسن الجوار ، وبقية من عز فارس قديم ، اتعبه السرى وانهكه طلب المعالي بغير حدود ، ولكنه كالاسد العجوز ، اذا ذهب عنه الشباب والفتوة ، فقد بقيت له هيبة تفرض له حرمته ، ونخوة توجب له كل تقدير واعجاب .

السيد ((اولوف ريدبيك)) المندوب الاممي ومبعوث السيد فالد هايم وهو يدخل بباب
مطار مدينة العيون تحت لافتة كتب عليها : ((الوحدة هو المصير الذي اختاره اهل الصحراء))

ومن اجل اننا طلاب امن ، وعشاق سلام ، وعاشقون للحرية ، حريتنا وحرية الآخرين . قمنا بمسيرة خضراء ، عندما اردنا استرجاع حقنا في ارض لنا قديمة ، نملك وثيقة ملكيتها ، ونمسك بكل مفاتيح بيوتها ، ونحفظ اسماء كل نخيلها ، ونروي اخبار كل قبيلتها .

ومن الناس من يسير ، فلا يزيد على ان يدور حول نفسه ، كما يدور عقرب الساعة في قطر الميناء ، او كما تدور الاسماك في آنية من زجاج ... خطوات مكررة معادة ، وعود على بدء ... وبذلك يكون السير عملا آليا ، تتحكم فيه العادة ، كالسير اثناء النوم ، او كسير الاعمى في طريق الفته قدماه من عشرات الاعوام ، او كسير الاطفال من الدار الى المدرسة ، ومن المدرسة الى الدار ... حتى تنعقد المودة بينهم وبين كل حصاة او حائط في الطريق .. واكثرية الناس هكذا تسير .. ومن ثم لا يكون في سيرها ابداع ، ولا مغامرة في ارض مجهولة . والناس يستريحون عادة لهذا الضرب من السير ، لانه لا يكلفهم سرعة تفوق سرعتهم العادية ، ولا يزج بهم في طريق مجهول المصير ... وقد يقضون اعمارهم بكاملها وهم يسيرون ، كل في اتجاه واحد ، يذرعه ذهابا وايابا ، الى ان تخور قدماه ، ويمشي العياء في مفاصله ، فيتهاوى يتخطفه المرض ويتربص به الموت ..

ولكن قد يكون لبعض الشعوب موعد مع التاريخ .. يتحول فيه سيرها الى مسيرة .. والفرق بين السير والمسيرة ، ان السير غالبا ما يكون حركة عادية ، غير هادفة ، ولا منظمة ، ولا مكثفة ، على حين ان المسيرة حركة غير عادية ، لا تعرف التردد ، ولا تميل نحو الدروب والمنعطفات ، وانما هي ماضية قدما نحو هدفها المنشود ، يدفعها من ورائها تصميم على ارادة الحياة ، ويجذبها من امامها امل عظيم في الغد المشرق المأمول .. ولا بد ان تكون مسيرة جماعة مكثفة ، تدافعت نحو الطريق الصعب المحفوف بالخطر ، المحاط بظروف تحمل حظوظ النجاح والفشل .. ولا بد ان تكون مقصودة ، وليست مجرد سلوك غريزي .. وما دامت مقصودة ، فمن الضروري ان تكون خاضعة للتخطيط والتنظيم .

ومن المسيرات ما يتميز بالهدوء .. والبعد من الفرقعة والصخب .. الخطوات موزونة ، والانفاس منتظمة ، والاقدام تدب على الطريق في رزانة وحسب نظام دقيق . وهي مسيرة الشعوب نحو التقدم الحضاري ، تبني ، وتعمل في صبر وجلد ، حتى ترفع صروحا عالية في ميادين الاقتصاد والاجتماع والعمران وما اليها . وهنا تكون المسيرة دابا متواصلا على العمل داخل المصنع والمدرسة والمعهد والمستشفى والادارة ، وصراعا مكثوما مع الزمن ، وصمودا امام مشاق البحث وتحديات العلم ...

ومن المسيرات ما يكون مدويا صاعقا ، كأنه الرعد القاصف ، او الزلزال العنيف ، او كأنه السيل المنحدر من عل ، هادرا معربدا يقتحم ما امامه اقتحاما ، يحث الخطا نحو غايته البعيدة لا يلوي على شيء ، كمسيرة الشعوب في النضال من اجل استقلالها الوطني . وهي عادة تكون مصحوبة بالاصوات العالية ، والايقاع المتفجر ، والحركة الاستعراضية ، والسرعة والمضاء في الانجاز . وهي اما ان تكون مسيرة حرب او مسيرة سلام . ولعل مسيرة السلام ان تكون ضربا من التوفيق الذكي ، بين نبل الغاية وديناميكية الوسيلة ، بين اثبات الذات وتأكيد الارادة الشعبيه ، وبين تجنب العنف واراقة الدماء . بين ان تكون في ساحة النضال ، وان تحمل ايادينا اغصان الزيتون ... وهنا يلعب الكم دورا كبيرا في حياة الشعوب ، حيث يرمي بثقله في الميدان ، وتصبح ارجل الشارع العادي بطولة داخل التيار الجماعي الكثيف ، ودور رائع في اطار الحركة العامة ، يكشف عن امكانياته وطاقاته الذاتية ، ويضعه وجها لوجه امام ما يريد وما يستطيع . وحينئذ يتاح للجماعة ان تكتشف نفسها ، كما يتاح للفرد العادي ان يكتشف نفسه ، فيعرف كل منهما متى يقف ، ومتى يسير ، وكيف يعدل . واهم من ذلك ، ان يضع كل منهما اصبعه على الغاية من وجوده ، وعلى دوره المقسوم له في الحياة ، وهذا يهيىء له رصيدا هائلا من الثقة بالنفس ، والامل في المستقبل .

ومسيرتنا الخضراء الرائعة هي من هذا القبيل . كشفت عن منجم الذهب المترسب في اعماق شعبنا ، والذي جهله بعضنا زمنا طويلا ، وعلمتنا كيف نهز التاريخ هزا عنيفا يسمع عنا ويكتب ما نملي عليه من قضايا وفصول . كانت المسيرة الخضراء تحولا عظيم المغزى ، نبيل الدلالة ، في تعامل شعبنا مع الوقائع والاحداث . والسائرون فيها كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها . ذكرونا بايام خوالد ، كان فيها المسلمون سادة الدنيا ، وصانعي التاريخ . ولم يكن

الاستاذ احمد بن سودة عامل اقليم الصحراء والسيد خطري رئيس الجماعة الصحراوية
واعيان الصحراء يستقبلون المبعوث الاممي السيد ((الوف ربدبيك))

دخولنا للصحراء الا استعادة لحق مكتسب ، وتصفية لحساب قديم ، وانهاء لقضية تقادم عليها العهد ، كنا قد ارتحنا الى شرعيتها من قديم ، ونمنا على ثقة بما لها من وضوح وجلاء ، الى ان احيطت بالاضاليل والشبهات ، ودخلها الزيف ، وران عليها ضباب من الاوهام وسوء النية ، فاحتجنا الى نفض الغبار عن ملفها العتيق ، واخذنا في تقليب اوراقه التي لم تنل من نصاعتها ووضوح خطوطها عوادي الايام ... وخرجت القضية من وثائقها القديمة مشرقة موفورة الصحة بادية النشاط ، كما تخرج اللؤلؤة من محارتها تبهر العين من لالاء واشراق ، بعد ان رقدت في الاعماق ما شاء الله ، متحملة الضغط والظلام .. وعاد ابناء الصحراء الى الام المبسوطة الراحتين ، الناصعة الجبين ، الدافئة الصدر ، الرحبة الخاطر ، كما تعود الطير الى آمنات الاوكار ، او كما تعود العيون الى جاريات الانهار . ودفنوا جباههم في حبات الرمال ، وادوا صلاتهم تحت ظلال النخيل ، واستمعوا الى السمر الممتع تحت قباب الخيام ، وشهدوا احد منطلقات التاريخ المغربي القديم ، المدرسة التي صنعت عظماء الرجال ، وكونت القادة والزعماء ، وامدت بلادنا بالدول والحكومات .

بالمسيرة الخضراء دخلنا منزلنا الذي نملك وثيقة ملكيته ، ولكن صدتنا عنه عواد واحداث ، وخرجنا الى ضواحي وطننا ننشد الهواء المنعش ، والاشعة الدافئة ، والطبيعة مجلوة بدون اصباغ ومساحيق . وبفضلها عدنا الى موطن الذكريات ، ومعاقل الاجداد ، ومصادر المفاخر والامجاد ، نبحث هنالك عن سر دفناه ، ودرس وعيناه بعد ان نسيناه . افما جاءك ان الحاضر قد يعد حقائبه ليرحل الى الماضي ؟ وان التاريخ قد يضيع ذاكرته ، واذا بها ذات يوم ترد اليه اشد مضاء واقدر على الرؤية الواضحة واستعادة ما طوى بين غلائل النسيان من وقائع واحداث ؟

لكاني بجحافل المسيرة الميمونة الطالع ، والمصاحف تظللها ، وكلمة (الله اكبر) تهدر في حناجرها ، جنود الله ، نزلت بالحق اليقين ، والآية المعجزة ، والهدي الالهي ، يسعى بين يديها نور وهاج ، يبدد الظلمات ، ويزيل الغواشي ، ويهزم الحقد في الصدور ، ويصادر سوء الظن من العقول ، ناشرا الوية السلام ، واعدا بالخير ، مبشرا بالامل ، واعيا الى المحجة ، وعقد زواج شرعي بين الشرق والغرب ، بين الوسائل والغايات .

سرنا الى الصحراء ، كما تسير اسراب الحمام طائرة نحو ما الفته من الديار ، بعد ان احتجزتها زوابع واعاصير ... وضربنا فوق رمالها خيامنا كاننا افراد القبيلة في طريقهم الشاق الطويل ، الى حلف يعقدونه ، او عار يصدونه ، او قريب ينجدونه ، او شرف يرمونه . عن يميننا وشمالنا ، ومن خلفنا وامامنا تمتد آفاق بعد آفاق .. وقد العقد احيانا سكون رهيب ، ما بين الارض والسماء ، لا تسمع الا خفق اقدامنا على الرمال ، ورجيع انفاسنا خلال الصدور ، كاننا عشاق متيمون ، نتسلل في ظلام الليل الى مضارب القبائل ، كل ينشد ليلاه ... والحبيبات شتى ولكن الحب واحد . وكان الزحف عظيما ورائعا بقدر ما كانت الطبيعة من حوله جليلة ومهيبة ، كانها الغادة الصعبة المراس ، المتقلبة المزاج ، الجبارة الحسنى تاخذ عشاقها اخذ عزيز مقتدر ، فلا يثبت لغزلها العنيف المحفوف بالخطر ، المنذر بوخيم النزوات ، الا البطل الصنديد ، وكلهم كانوا ابطالا . كانهم خارجون لتوهم من ملاحم التاريخ المجيدة .. يصبرون على رعونة الحسناء ، واقتدارها العجيب ، وجمالها الوقح ... وهم ماضون في طريقهم يتحملون حرها وبردها ، هدوءها وعنفها ، ابتسامها وعبوسها ، على ان هدوءها لا يؤمن جانبه ، وابتسامها لا تنسى مخاطره ...

وعندما رفع ابطال المسيرة الحواجز ، وازاحوا الاسلاك الشائكة ، وارتموا على الرمال يوسعونها من عناق وتقبيل ، وقف التاريخ وقفة اندهاش واعجاب ، يصيخ السمع الى حدث عظيم ، ونبا كبير ، وكاني بالاجيال المغربية الماضية ، من اول الفتح الاسلامي الى ايامنا هذه ، قد بعثت من مراقدها لتشهد المشهد الجليل . وكاني بعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، قد ركبا فرسيهما واقبلا يباركان العمل الرائع ، ويشدان على ايدي الابطال السائرين ...

عندما رايت ابناء شعبي يزحفون على ارض الصحراء ، خيل الي ان غابة بكاملها تركت اشجارها مواقعها متحركة نحو ارض جديدة .. لقد كان فيهم من الغابة هيبتها .. وغموضها .. واخطارها المحتملة .. وعتمة ظلالها .. وتحديها لكل العواصف .. وعندما خروا على الرمال يقبلونها ويدفنون وجوههم فيها ، احسست بجفاف في حلقي .. واحتراق في اعصابي .. وغيوم تتجمع في عيني .. كاني طفل اشتد به الحنين الى امه بعد غيبة طويلة .. كان فيهم فتيات في عمر الزهور .. تركن دفء البيت ،

واحضان الامهات .. وناعم الثياب ، وزكي العطور .. وهدوء الدار .. وحضن بحر الرمال .. ودومات الصحراء .. ورعونة الرياح .. بقلوب غضة عامرة بالامل ، وعزائم صلبة واعدة بالخير ؛ وشباب متفجر مملوء بالثقة .. وكان فيهم شيوخ اوشكوا على التداعي ، لولا ما يمسكهم من قوة الايمان ، وقدرة على الاحتمال ، وتحد للمصاعب ، وتفان فى حب الامة والوطن . وضعت يدي على قلبي لما رأيتهم يدفعون بصدورهم فى وجه العاصفة ، ويتقون بايديهم وقاحة الزوابع ، ويثبتون اقدامهم فوق الرمال .. وهم ماضون تواً الى غاية اقسموا على ادراكها ؛ ولو كان دونها غادرات المنون .. وكان فيهم شباب مكتمل الرجولة ، يعتز بالساعد القوي ؛ والقامة المشدودة ؛ والعضل الفتي ، له ارب فيما وراء الافق ، ومطمح فى مجاهل المستحيل ، وموعد مع التاريخ ، ليكون بينها لقاء حاسم ، هو لقاء الانداد والمتكافئين ... وكان فيهم اخوة عرب ، من ارفع بيوتات قريش ... تنطق وجوههم بشرف المحتد ، وجمال الاريحية ، وبلاغة النخوة العربية .. هزهم الى اخوتهم المغاربة شوق عارم ؛ ساخن كدم العروبة ؛ متدفق كماء الشلالات . جاؤوا ليؤكدوا روابط الدم والقرابة ، ويمتنوا اواصر الاخوة والمحبة يحملون فى عيونهم اطيافا من امجاد الشرق ، وفى جباههم اقباسا من نور الاسلام ، وفى اصواتهم اصداء من صيحة عربية قديمة ... امتزجوا بالجماهير الزاحفة نحو الارض الحبيبة امتزاج الموج بالموج ، والتحموا معها التحام قطع السحب فى الجو ؛ وخاضوا الى جانبها الغمرات تلو الغمرات .. تحدوهم عواطف نبيلة ، وتحركهم همم عالية . فاثبتوا ان فى العروبة نوايا ما زالت خالصة ، ومقاصد ما زالت شريفة ، وانوفا ما زال فيها شمم من ايام بدر والقادسية ... افترشوا مع ابنائنا وآبائنا وامهاتنا واخواتنا الرمال ، وقاسموهم مشاعر القلق ونعيم الاطمئنان ، وشاركوهم الطعام الجاف ، والمرقد الخشن ، والملبس الغليظ ... كانوا معهم على الطريق .. الارجل متشابكة ، والايدي متماسكة ، والاكتاف محتكة ، والانفاس متداخلة ؛ كأنهم الانصار والمهاجرون ، سائرين الى فتح مكة ، او كأنهم الجموع من قبائل العرب ، يوم الحج العظيم ...

فى المسيرة الخضراء تجلت لي معان ما اعظم وما اجل .. ! ذكرتني بايامنا الخالدات ، وامجادنا الروائع . ايام كنا ــ نحن العرب ــ نؤلف التاريخ ، باحثين للاسلام عن صدور دافئة ، وللعربية عن السنة لاهجة ، وللعروبة عن مجالي واسعة . وكأني بالفاتحين الاولين قد اقبلوا على متن خيولهم المطهمة ، ومن ورائهم جموع العشائر والقبائل ، بينما حوافر خيولهم تثير غبارا كثيفا يسد منافذ الافق ... وهم فى زحفهم العظيم ، يوسعون للقرآن طريقا ، ويرفعون لحضارة الاسلام راية ، ويعلون لها منارة ، وقد تحالف لهم التاريخ ، وانحازت لهم الاحداث ، وانحنت لهم الشدائد ، وتخلى المستقبل عن غموضه فى لحظات شرود ، فانكشف النقاب امامهم عن وجهة الموحي بشتى الاحتمالات ... كما ينكشف المعنى العظيم للذهن الذكي ، فى لحظة من لحظات التجلي الخاطفة كالبرق ، العميقة كاسرار المجهول ...

فى ايام المسيرة الخضراء احسست بالناس على نحو جديد ... لم يبقوا مجرد مجموع يتحرك فى اتجاهات مختلفة متعاكسة .. تسيل به الشوارع ، وتنوء به المقاهي .. وتلفظه قاعات السينما وملاعب كرة القدم ... لقد صار لهم عطر جديد ، ولون جديد ، وقيمة غابت عني حقبة من الزمن . ان جزءا صغيرا من هؤلاء الناس هو الذي صنع المعجزة .. لانه قام ببضع خطوات ... واي حركة استمرت اياما قليلة .. ولكن اثرها سوف يبقى ممتدا على مدى مئات السنين ... وربما لاول مرة احدت النظر في قاماتهم .. ولون بشرتهم ... وارتفاع هاماتهم .. وتركزت عيناي فى ارجلهم .. انظر اليها فى شيء غير قليل من الدهشة .. لم تعد فى نظري مجرد ارجل تمشي .. وانما تحولت بقدرة قادر ، الى اصول اشجار شديدة الاخضرار .. وافرة الثمرات .. وصرت لا احب الى نفسي من عرقهم .. وترديد انفاسهم .. ورنين اصواتهم .. ووقع اقدامهم على الارض .. واذا لقيت واحد من جمهور المسيرة الخالدة ، بدا لي رائما فخما عملاقا ، اود لو المس رجليه ، واصافح يديه ، واحاور ناظريه ، لا تقولوا انه لم يخض معركة ، فما كل المعارك مكونة من سلاح ودم ، وحديد ونار . لقد كانت معركته من نوع آخر ، لعله اجل واعظم . اذ وقف وقفة الشجاع امام نفسه ، يجفو بها جانب الراحة ، وامام الطبيعة ، يقاوم رعونتها بكفاءة واقتدار ، وامام الباطل ، يكشف النقاب عن زوره وكذبه . مضى الى الهدف النبيل كالقدر القاهر ، وانطلق نحو صحرائه المرتجاة كالسهم المصوب . واجمل ما راقني فيه ، رجولة فيها معنى اللاانانية ، وبطولة فيها معنى التسامح وثقة فيها معنى التواضع ...

والمرأة الصحراوية خرجت ، ايضا ، لاستقبال المبعوث الاممي لتعبر له عن فرحتها برجوع الاقليـــم الى الوطـــن الاصلـــي

لقد تعلمت من المسيرة الخضراء ان انحني اجلالا للانسان المغربي ، وان اضعه في مكانه الصحيح من حاضر القارة الافريقية ومستقبلها . وتاكدت — ان كان كان في الامر ما يحتاج الى تاكد — من ان امكانياته وطاقاته بغير حدود . واقتنعت — ان كان في الامر ما يدعو الى اقناع — بان المراة المغربية ما زالت كما كانت دائما ، قادرة على ان تكون اما للابطال واختا وزوجة ، قدرة اشجارنا على الاثمار ، وحقولنا على الحمل والولادة . . .

ولي اليقين بعد الان ، ان المرابطين والموحدين ، ينامون في اجداثهم هادئين ، قريرة العيون ، تبارك اعمالنا ارواحهم الخالدة ، وترعى مواقفنا نفوسهم العظيمة ، لاننا اقمنا الدليل الذي لا يدحض ، على اننا مستحقون لتاريخنا المجيد ، بوعزنا التليد ، واننا قد اضفنا مآثر الى صروح الاولين ، وامجادا الى مفاخر السابقين . ولذلك سوف تخصص لنا صفحات مشرقات رائعات في سجل التاريخ ، من شانها ان تجعل الاجيال المغربية الآتية تقف عندها طويلا وقفة تامل واعتبار واستمتاع ، كما نقف نحن ابناء هذا الجيل ، عند روائع سلفنا الماجد ، وهو يؤسس الحضارة ، ويصنع التاريخ ، ويذود عن الاسلام . ان من حسن حظ جيلنا ان كان من شهود المسيرة الخضراء ، بل من يمن طالعه ان شارك فيها ، وقدم لها الدعم والعون ، والقدم والساعد ، مدفوعا بحب عارم للوطن ، ومجذوبا بقوة خارقة نحو غده المشرق المامول . وان اشرف ما يتصف به جيل ، الا يعيش بالمجان ، وان يكف عن اتخاذ موقف المتفرج ، امام الوقائع والاحداث . وقد اثبت جيلنا انه لا يرضى بالعيش المجاني ، ولا باتخاذ موقف المتفرجين ، لانه كان في صميم الاحداث التي جرت على ارض الوطن ، بل كان من ورائها ، كما يكون الماء من وراء اخضرار الاشجار ، والغداء من وراء صادحات الاطيار ، والانامل من وراء راعشات الاوتار . فبعد الان ، والى مدى آلاف السنين ، سوف نكون دائما موجودين في ضمائر المقبل من الاجيال ، نعطيها القدوة والمثل ، ونذنيها من الغاية والامل ، ونريها السديد من اساليب العمل

المسيرة الخضراء . . ! ما اجمله عنوانا على هذه الحقبة من تاريخ هذا الجيل . . ! انه شجرة الحب والحكمة والايمان ، وعقد من اللآليء والمرجان ، حلى عنق هذا الجيل ، فبدا مضيئا تخطف نوره الابصار ، فيحسر عنه الطرف الكليل من رمد ، وتسود له القلوب المريضة من كمد ، ولكن العمى لا يطفيء نور الشمس ، والحقد لا يجمد ينبوع الحب ، والشر لا يلغي بواعث الخير . . .

المسيرة الخضراء . . ! اهي باقة ورود ؟ ام هي افانين وشي وبرود ؟ ام هي اللقاء الجميل بعد سخي الوعود ؟ انها ذلك ، كما انها عز الحاضر وذخيرة الغد ، اذ سوف يتعاقب عليها عشاق الحقيقة والموكلون بالجمال معا ، اولئك يبحثون فيها عن قوانين الشعوب والمجتمعات ، وهؤلاء يلمسونها فتضمخ اصابعهم بعطرها الواح ، وكانما هم داخل روض انيق ، اخضرت اشجاره ، وتالقت انواره ، وسجعت حمائمه وانشدت اطياره . . .

المسيرة الخضراء . . ! اعجب لقاء حب عرفه التاريخ . لقد قالوا للعاشق المغربي المتيم : ان حبيبه يوجد في قبضة فارس مدجج بالسلاح ، معتصم بقلعة منيعة لا يرقى اليها الجيش العرمرم ، فقاطع العاشق كل مجالس السمر . . . وجفا كل مجالي الانس . . . ولبس خشن الثياب ، واضعا في يمناه كتاب الحب . . وفي يسراه عصا لترحاله ، آخذا اهبته للرحلة الشاقة الطويلة ، كي يفتك بمفرده الحبيب الغالي ، من يد الفارس الشديد الباس . . . وحدثت المعجزة ، اذ تحركت في الفارس بواعث الخير — وهو سليل الفرسان الاحرار — عندما راى العاشق الاعزل يصعد اليه . . . فاطلق سراح الحبيب المعتقل ، وانتشى برؤية العناة الطويل بين عاشقين برح بهما الوجد ، وعصفت الاشواق . ومن تقاليد الفروسية ان تنصف المظلوم من نفسها ، وتزور عن الضربة الغادرة ، والطعنة المفاجئة ، ولا تقاتل الا اذا تكافات الكفتان ، وتعادلت الاسلحة ، وتوازنت السواعد . . .

عندما عدنا الى الصحراء وعادت الصحراء الينا ، اجتمع شمل العائلة الواحدة ، وكادت الطمانينة الى قلوب اضناها البعاد ، والاشراقة الى عيون اذبلها السهاد ، والعافية الى اكباد مزقها الحنين ، واكمدها حزن دفين . . . فيا احبابنا في الصحراء ، لقد شاقتنا كؤوس الشاي ، نتساقاها واياكم والنخيل مرخ شعوره ، باسط ظلاله ، وشمس الاصيل تذهب الكثبان وتزخرف الافق ، والشمل جامع ، وابناء العم والخال ملء السمع والبصر ، متصافون على وئام ، منطوون على حب عظيم . . .

فاس : عبد العلي الوزاني

في عيد العرش العلوي المجيد... وعلى هدى النبوة

للاستاذ
أحمد عبد الرحيم عبد البر

عناصر الموضوع :

1 — فى عيد العرش نعتز بأمجادنا .

2 — **كلمة العرش** : ومعناها من اللغة والكتاب .

3 — **شروط الامامة** — كما أجمع عليها العلماء .

4 — **وعلى هدي النبوة : اليقين بالله .**

5 — الحكمة والحزم فى استخلاص الحق .

6 — **وعلى هدي النبوة** : (وقل جاء الحق وزهق الباطل) .

7 — **نزول الآية** .. والتوجيه بعدها .

8 — **وعلى هدي النبوة : مسيرة الفتح .**

9 — ثم عادت الصحراء الى الوطن .

10 — اما بعد ، فنسأل الله دوام النصر والتأييد .

عيد العرش :

1 — فى الذكرى الخامسة عشرة لتربع جلالة الملك الحسن الثاني مولانا أمير المؤمنين على عرش أسلافه المنعمين — **نعتز بامجادنا** . ونتخذ هذا اليوم عيدا للعرش عيدا للشعب المخلص للعرش والمتعلق باهدابه والمستظل بلوائه — ونعلن أفراحنا . ونظهر ابتهاجنا . ونشكر الله على جزيل نعمته وقد مكن لنا فى ارضنا ، وهيأ لنا عرشا وطيد الاركان مؤسسا على العدل والاحسان .

انه العرش العلوي الشريف النسب ، الطاهر الاصل ، الوافر الحسب ، لسليل بيت النبوة ، وأزكى فروع الدوحة المباركة ، وأعطر اغصان العترة النبوية .

اول مظاهره **القوة والامانة** والحزم وحسن التدبير . والملك العادل فى مشورة .

وكل آمالنا فى الله أن يعود هذا العيد اعيادا متوالية بالامن والأمان . وبسعادة الشعب المغربي وسيادته . وبوحدة الكلمة والاتحاد والسمع والطاعة فيما يرضي الله .

2 — **ان كلمة (العرش)** فى اللغة : مكان التدبير المحكم والتسيير المنظم والهيمنة الكاملة .

ومن قديم التاريخ يحكي القرآن عن عرش لنبي الله يوسف : (ورفع أبويه على العرش ..) وفى سنة الف قبل الميلاد كان هناك عرش فى اليمن: (ولها عرش عظيم ..)

فجدير بالشعب المغربي أن يفرح ويعتز بعيد العرش العلوي ، وان يبتهج ويتباهى بهذا اليوم السعيد ، لانهم فازوا بنعمة كبرى لم يحظ بها احد من المعاصرين .

وجدير بالعالم الاسلامي أن يشاركنا السرور بعيد العرش العلوي ، الذي ظل أمنية الائمة المجتهدين ، ودعوة الاولياء الصالحين من يوم أن اغتصبه اولاد الطلقاء .

وقد تحقق الامل ، واستجاب الله الدعاء بالعرش العلوي فى المغرب السعيد الحظ من مئات السنين ، فكان عرشا على منهاج الراشدين ، يتبع

الهدي النبوي ، ويحافظ على القرآن الكريم قولا وتطبيقا ، وينصر السنة النبوية : دراسة وتحقيقا ، ويشجع الصالحين ويحترمهم ، ويقرب العاملين باخلاص ويعرف قدرهم ، ويتواضعون في عز ، ويعالجون الامور بالحكمة والحلم . فكانت ميراثا دائما.

ومن كتاب الاحكام السلطانية للماوردي – قال : ص 3 –

3 – **الامامة** موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا – وعقد الامامة لمن يقوم بها في الامة واجب بالاجماع ، وبالعقل . وبالشرع : اما **الاجماع** فهو ما اتفق عليه المسلمون بعد وفاة الرسول – في بيعة ابي بكر ومن بعده من الخلفاء الراشدين – وارتضى الجميع ذلك . وساروا عليه . ورأوه واجبا دينيا .

واما بالعقل : فلما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ، ولولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين . وكما قال الأفوه الاودي – الشاعر الجاهلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا !

واما شرعا : ففي الآية من سورة النساء : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم . .) – **قال الماوردي** : ويشترط فيمن يختار الامام : العدل . والعلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة . والراي المؤدى الى حسن اختيار من هو اصلح للامامة .

ويشترط في الامام : العدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس ، وحسن الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح . **والشجاعة** والنجدة لحماية الامة وجهاد العدو . **والنسب** : يكون قرشيا – لورود الحديث الصحيح في ذلك : **الائمة من قريش** . وانعقد الاجماع على ذلك من الصحابة . فلا اعتبار لشذوذ من شذ من الخوارج المارقين .

فما بالكم بمن اجتمعت فيه كل الشروط . بامتياز في علم السياسة . ومن اذكى فروع قريش : من سبط الرسول الحسن بن علي الذي قال فيه الرسول : **ان ابني هذا سيد** . ؟؟

وبصورة فريدة من نوعها في جميع البلاد الاسلامية – قامت الامامة في المملكة المغربية امامة شرعية بجميع شروطها : فالعرش العلوي قام دائما على بيعة اختيارية من الشعب : شفوية وكتابية على يد العدول – فهي بيعة شرعية على منهج الراشدين .

وباجماع تام من جميع افراد الشعب اعتزوا بالعرش العلوي المجيد لا يرضون به بديلا .

واستمر الاهتمام بالشعائر الدينية في مظهر كريم يرضي كل مؤمن غيور على دينه . واستمرت المحافظة على الدين والدعوة الى الله اصلا اصيلا في هذه الاسرة المباركة وميراثا من جدهم – عليه الصلاة والسلام – **ودستورهم** : هو تحقيق العدالة وجعلها اساسا للحكم . واتقان السياسة في لباقة وفن وحكمة وحسن التوجيه .

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في **دينهم ودنياهم** ، ويتتبعون تنفيذ العدالة في جميع الاقاليم. **ويولون على الناس القوي الامين** : اخرج ابن سعد . والبيهقي – عن الحسن البصري قال : ان اول خطبة خطبها عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة : حمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد فقد ابتليت بكم . وابتليتم بي . وخلفت فيكم بعد صاحبي . فمن كان منكم بحضرتنا باشرناه بانفسنا ، ومن غاب عنا وليناه اهل **القوة والامانة** . فمن يحسن نزده حسنا ، ومن يسيء نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم .

من كتاب **حياة الصحابة** لمحمد بن يوسف – جـ 2 ص 212 – **وكتاب الكنز** جـ 3 ص 143 .

ان اجتماع **القوة والامانة** في شخص دليل الكمال والامتياز . ومؤهل للرياسة العادلة الحازمة . ولهذا وصف الله موسى بانه **قوي أمين** (ان خير من استاجرت القوي الامين) **من سورة القصص** .

ووصف الله يوسف – كما قال له الملك – (انك اليوم لدينا مكين امين) .

ووصف الله جبريل **بالقوة والامانة** فقال – في سورة التكوير : (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم امين) .

وحسبنا الله ونعم الوكيل فيمن يعتدي علينا . اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب سريع الحساب

استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يوم الاثنين 23 / 2 / 76 بالقصر الملكي بفاس السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية

مأدبة عشاء التي اقامها صاحب الجلالة للسيد حسني مبارك نائب رئيس السيد

اهزم الاحزاب وزلزلهم وانصرنا عليهم — كما نصرت الرسول في غزوة الاحزاب — (وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا) .

وعلى هدي النبوة اليقين بالله :

4 — في المواقف الهامة نسمع كثيرا جلالة الملك الحسن الثاني — ادام الله نصره — يقول : (وان **يقيننا في الله كبير** . وقد عودنا الله الجميل . وتجلى علينا بالجمال والجلال — فنسأل الله ان يحقق لنا كل ما نرجوه من خير) .

فهو يدعو ربه — وكله امل في الله . ويقين في كرم الله وفضله . واثقا بمعونة الله .

وقد كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يلجأ الى الدعاء كثيرا في المواقف الهامة ويناشد ربه ان ينجز له ما وعده .. حتى يشفق عليه ابو بكر من كثرة تضرعه لربه .

انه الايمان بالله . والثقة في فضل الله . والاستعانة بالله . والاعتصام بالله (واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير) .

الحكمة في استخلاص الحق :

5 — وتم الاستقلال بعد التضحية والفداء والثمن الغالي ، وتحررت ارض المملكة المغربية وبقيت اجزاء في الشمال والجنوب ، وتحفز المخلصون من الرجال أولي البأس الشديد والقوة — لتحرير باقي الارض بالقوة — في وقت كانت تنقصنا فيه الاستعدادات الحربية امام خصم اكثر منا عدة — وان كنا اكثر منه ايمانا بالله . واشد يقينا بحقنا . فكانت **الحكمة** تقتضي ان نطالب بحقنا بقوة الحجة — في محاولات مستمرة لا نمل ولا نيأس ، ولو احتاج ذلك الى الصبر سنوات معدودات . واعترض المعترضون من اهل الحماسة وقالوا : نموت فداء الوطن . فاقنعهم جلالة الملك بضرورة الصبر حتى تتهيأ الفرصة .. ويبقى الرجال مستعدين — ولنقف على ارض صلبة باقدام ثابتة ، ولن يضيع حق وراءه طالب ، ووعدهم بانهم سيكونون في الصف الاول يوم البدء في تحرير الصحراء — وفعلا — قد كان ذلك : كان رجال المقاومة وجيش التحرير في الصفوف الاولى يوم المسيرة السلمية — التي كانت فتحا مبينا .

وبدأ جلالة الملك الحسن الثاني بتهييء الراي العام للاقتناع بحقنا . ثم زادت الحجة قوة بحكم محكمة العدل الدولية — كل ذلك في دراسة واعية وتخطيط محكم . وقد نجح ذلك التخطيط بقوة الفكر . وغزارة العلم . وعميق الفهم لقواعد العلوم السياسية .

اما رصيد القوة المادية فهو مدخر لوقت الحاجة . وعلى اتم استعداد .

وكان افتتاح الاعلان على بدء المسيرة السلمية بالاية الكريمة (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا) — من سورة الاسراء — .

وهو اختيار يدل على منتهى العمق في فهم السيرة النبوية . وفي فقه القرآن الكريم .

ان العرش العلوي على منهاج الراشدين . ويسير على هدي النبوة : وخير الهدي هدي محمد — صلى الله عليه وسلم —

والرسول — صلى الله عليه وسلم — كان **موقنا بوعد الله** — وكان حريصا كل الحرص على هداية قومه . ويتلهف على اليوم الذي يترك الناس فيه عبادة الاصنام ويعبدون الله وحده لا شريك له . ومع ذلك كان يكافح ويجاهد بالحجة والموعظة الحسنة ، ويبذل كل ما امكنه من وسيلة للاقناع .

وفي كل مرحلة من مراحل حياته في مكة يأتيه الخبر الصادق من الله بيوم النصر فكانت **محطات انس** يأوي اليها المسافر المتعب ، ويستريح اليها المجهد :

أ — **روى البخاري** — عن عروة بن الزبير — عن السيدة عائشة قالت : والله ما وعد الله رسوله من شيء قط الا علم انه كائن قبل ان يموت . ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون من معهم يكذبونهم .. الخ — تفسير سورة البقرة ج 6 ص 35

ب — **وروى ابن سعد** — في كتابه الطبقات الكبرى — عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس .. فاقبل النبي — صلى الله عليه وسلم — يريد ان يدخل الكعبة مع الناس . فاغلظت له . ونلت منه ، فحلم عني . ثم قال : يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي

اضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت . فقال : بل عمرت وعزت يومئذ ــ ودخل الكعبة فوقعت كلمة مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال . فلما كان يوم الفتح قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا عثمان ائتني بالمفتاح ، فاتيته به فاخذه مني ، ثم دفعه الي وقال : خذوها خالدة تالدة . لا ينزعها منكم الا ظالم ، يا عثمان : ان الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف ــ قال عثمان : فلما وليت ناداني . فرجعت اليه فقال : الم يكن الذي قلت لك ؟ فتذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى اضعه حيث شئت . فقلت : بلى ، اشهد انك رسول الله ــ من كتاب المواهب اللدنية ، جـ 1 ص 158 ــ .

واصل القصة ــ فى البخاري ــ كتاب المغازي ــ وفى مسلم ــ كتاب الحج ــ .

جـ ــ **من سورة الانعام** (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل . **فسوف تعلمون** من تكون له عاقبة الدار) فهو يحيلهم على المستقبل في صدق وعد الله لرسوله بنصره ــ والمراد حسن العاقبة فى الدار الدنيا ــ بقيام دولة اسلامية ــ فى زمن الرسول (ص): وقد شملت جزيرة العرب كلها . . وقد كان الرسول على يقين من ذلك بوعد الله له : اي **فسوف تعلمون من هو على الحق ومن هو على الباطل ــ والعاقبة** المحمودة التي يحمد صاحبها عليها : اي فسوف تعلمون من له النصر فى دار الدنيا ومن له وراثة الارض ــ ومن له الدار الاخرة أيضا ــ فاعملوا على مقدار تمكنكم من امركم ــ واني عامل على مقدار تمكني ، والعاقبة للمتقين .

د ــ **ومن سورة القصص** (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) :

روى البخاري ــ فى كتاب التفسير ــ عن ابن عباس قال (لرادك الى معاد) : الى مكة .

وروى ابن مزدويه ــ عن علي بن الحسين بن واقد قال : انزلت بالجحفة ــ عند **رابغ** حين خرج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مهاجرا الى المدينة **ــ من كتاب فيض القدير . للشوكاني ــ**

وحتى وهو فى الطريق الى المدينة مهاجرا يطمئنه الله انه سيعود الى مكة فاتحا منصورا ــ وقد تحقق وعد الله له .

وعلى هدي النبوة :

6 ــ (وقل جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا) : نزلت هذه الآية بعد معجزة الاسراء ــ فى السنة العاشرة من النبوة ، فى مكة ــ وفى ظرف عصيب : بعد موت ابى طالب عم الرسول . وقد ذهب الرسول الى الطائف ، يدعوهم الى الله فصدوه واخرجوه من ديارهم ، فعاد الى مكة ودخلها فى جوار المطعم بن عدي ــ النوفلي ــ القرشي ــ .

وبدأ المشركون يجترئون على الرسول باليد ــ بعد بذاءة اللسان ــ وساوموه مساومة مغرية ليفتنوه عن بعض ما أنزل الله اليه ، واستفزوه ليخرجوه من وطنه ــ بالمضايقات الكثيرة ــ وتجمدت الدعوة ووقفت عند مائتي شخص ــ نصفهم فى الحبشة مهاجرون فرارا بدينهم من الفتن : فى هذا الظرف العصيب نزلت الآية ليعلن الرسول : هذا الاعلان : **جاء الحق** وزهق الباطل ، فجهر به ، وسخر منه المشركون .

اعلن جلالة الملك الحسن الثاني بدء المسيرة . وقرأ الآية (جاء الحق وزهق الباطل) فقال بعض الناس ــ فى خارج المملكة المغربية : مسيرة سلمية خضراء ؟ ؟ ــ كيف هذا ؟ وكثر الاعتراض حتى صارت كلمة المسيرة عندهم نكتة يتفكهون بها فى صحافتهم ، ويقولون : مسيرة ! امام طيارات العدو وقنابله ودباباته ، وخنادقه ؟ ! ؟

وامسك بعض المواطنين انفاسهم يخشون العاقبة ــ ولكن القافلة تسير ــ

لما نزلت الآية على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقرأها على الناس ، وبلغها ، واعلن هذا الاعلان بكل يقين قال المشركون : واين مدلول هذا ؟ اين تحقيقه عمليا ؟

وتلاحظ معي فى الفاظ الآية : **جاء الحق** : كلمة **جاء** يتحقق معناها بالحصول الفعلي . وكلمة **زهق** : يقولون زهقت نفس فلان : اي خرجت روحه اسفا على شيء فاته .

مع ان الباطل يومئذ كان يتمثل فى المشركين . ــ وهم اقوياء ــ يعتدون بلا سبب ، ويسطون بلا مبرر واوصدوا ابواب التفاهم : (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه . وفى آذاننا وقر . ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون) ــ من سورة فصلت ــ.



اعضاء الحكومة في احتفال بهيج بمناسبة موسم مدينة طنطان الذي اقيم اخيرا
في الاقليم الصحراوي

فأين زهوق الباطل واندحاره ؟ — ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قرأ الآية واثقا بوعد الله الصادق ، وبلغها لاصحابه فتقبلوها مصدقين بكلمات الله .

(**جاء الحق**) : **كلمة صادقة** : لها مدلولها **المبدئي** . ومدلولها **النهائي** :

اما مدلولها المبدئي ، فى وقت نزولها : جاء الحق فى صورة من سوره ، جاء الحق فى الرسالة الخاتمة الخالدة ، جاء الحق فى القرآن والتشريع الدائم الصالح لكل زمان ومكان ، جاء الحق فى المنهج السليم الذى شرعه الله لصالح العباد ، جاء الحق فى الاسلام دين الانبياء — طلع الصباح ، وانقشع الظلام . وجاء فجر الاسلام .. ولكل شيء ابان . ولنضوج الزرع اوان . وقد بدأ السير — والنصر قريب .

واما مدلولها النهائي : فقد جاء الحق فعلا فى بعض مظاهره ، ولكنه سيتحقق عملا بكل مظاهره بعد عشر سنوات من نزول الآية — فى يوم فتح مكة سنة 8 هجرية .

(وقل رب ادخلني مدخل صدق ، واخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا — وقل جاء الحق وزهق الباطل — ان الباطل كان زهوقا) . — سورة الاسراء — .

الصدق هنا بمعنى الكرامة والشرف والاستقامة وحسن الدخول فى الامور ، وحسن الخروج منها . وجاءت الآيتان ؛ لتطمين النبي وتثبيته امام مكايد الكفار وعنادهم ومساواتهم واغرائهم — فامره الله ان يلجأ الى الدعاء ليبسر له الكرامة ، والسلامة ، والثبات ، والنصر ، والتأييد فى مواقفه حتى تقر عينه بالعاقبة المحمودة .

وفى الآية الاولى تلميح بما سيكون من الهجرة الى المدينة : روى الترمذي — عن ابن عباس قال : كان النبي — صلى الله عليه وسلم — بمكة ثم امر بالهجرة ، فنزلت عليه (وقل رب ادخلني مدخل صدق) .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح — ج 4 ص 365 — تفسير سورة الاسراء .

وفى الآية الثانية : امره الله ان يهتف بالناس ان الحق قد جاء بذاته . وان الباطل قد اضمحل . كطبيعته — لان الباطل لا يثبت أمام الحق — وهذه حقيقة مستمرة المدى فى جميع العصور . وهي بشرى لكل الذين يتمسكون بالحق ويعملون على نصرته ؛ لان الحق يحتاج الى رجال .

انه الاعلان الصادق . وليس شعارا اجوف . ولا هتافا للتضليل ، بل جاء الاسلام وذهب الشرك ، ويتبع هذا الاعلان ان يمضي الرسول فى طريقه ويصلي لربه ويدعوه بأن يدخله مدخل صدق فى اموره كلها ، ويخرجه مخرج صدق فى كل اموره ، وان يجعل له سلطانا نصيرا بالحجة القوية ، وبالقوة المادية ، فاستجاب الله له .

أعلن الرسول مجيء الحق بقوته وصدقه وثباته . فطبيعة الحق أن يحيا ويثبت . وطبيعة الباطل ان يتوارى ويزهق — واكد الله ذلك بصيغة التأكيد (ان الباطل كان زهوقا) . وما دام ذلك آتيا من طبيعته كان زهوقا فى الماضي ، والحاضر ، والمستقبل — وكلما رفع الباطل راسه قيض الله له من يزهقه — وان بدا للنظرة الاولى ان للباطل صولة ؛ فانه فى انفاسه الاخيرة — ورقصة مذبوح ، وانتفاخ مغرور ثم يحبط .

7 — **واستمر التوجيه** من الله لرسوله — لتأكيد موقفه فنزلت آيات فى نصرة الحق . وآيات فى الصبر :

ا — **من سورة سبأ** (قل ان ربي يقذف بالحق **علام** الغيوب — قل جاء الحق ، وما يبدىء الباطل وما يعيد) .

القذف : الرمي من بعيد — **انها القذفة من علام** الغيوب الذي يعلم كيف . ومتى . واين يصيب الهدف

ان الحق قد جاء جليا واضحا . وان الباطل لا يخلق شيئا اصلا ، ولا يعيد شيئا ثانية ، انه عاجز عن عمل أى شيء ، ومهما يقع من غلبة مادية من الباطل فى بعض الاحوال والظروف فهي ليست غلبة على الحق فى ذاته . وليست غلبة على المبادىء القويمة . وانما قد يكون ذلك لنقص فى اعدادنا . فلنفتش فى انفسنا ونستدرك ما فاتنا . ولنكمل استعدادنا ونتحفز للوثبة الموفقة . وقد جاءت الآية بمثابة انهاء لموقف الجدال بينهم وبين الرسول — بعد ان تكررت فى

السورة كلمة **(قــل)** خمس عشرة مرة لاثبات الحق، وللرد عليهم فى جدالهم .

فاعلن الرسول أن الحق قد جاء ــ وصدع بهذا النبأ ــ وقرر هذا الامر فى صوت مرتفع : جاء الحق بقوته وسيطرته . وانتهى امر الجدال . وما بقــى للباطل مجال . فقد استقر منهج الحق واتضح . ولم يبق للباطل الا مماحكة ومماحلة امام الحق الواضــح الجازم الحاسم .

ب ــ و**من سورة الانبياء** (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) **يدمغه** : يكسر دماغه .

ان سنة الله فى الكون أن الحق ينتصـــر على الباطل ــ فكأنما الحق قذيفة فى يد القدرة يصوبهـــا ضد الباطل فيكسر بها دماغه ــ فلا حيـــاة للباطـــل بعدها ــ وهل يبقى شيء بعد ما يقذفه الله القذفـــة الصائبـــة ؟

فاذا قلت : **وأين هذا** ؟ ونحن نـــرى الباطـــل منتصرا ؟ قلت : انها فترة محدودة . وسيقيض الله للحق **رجـــالا** يجاهدون لنصرته بعد كفاح شديد ــ ولا يضر اللؤلؤ فى قاع المحيط ان الزبد فوق سطح الماء ــ سيتعب الغواص باتقاله ويخرج اللؤلؤ .. الى عنق الحسناء ــ ولا يضر الذهب فى البوتقة ان علته رغوة الزبد (فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) ــ هكذا يعلمنا الله مثـــل **الحق والباطل** ، ان الحق أصيل ، وفى كل جيل يقيم الله حجته ويظهر برهانه وينصر الحق برجال أقوياء لاقامة الحجة ، ويبعث الله من يجدد للامة امر دينها كما رأينا فى المسيرة السلمية ــ وعلى هدي النبوة .

وفى المدة ما بين نزول آية الاسراء ــ وما بين الهجرة الى المدينة نزلت عشر آيات . فيها الامـــر بالصبر موجها الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اولا ــ ثم للمؤمنين الذين اتبعوه :

1 ــ **من سورة يونس** (واتبع ما يوحـــى اليـــك ، **واصبر** حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) .

2 ــ **من سورة هود** (تلك من أنباء الغيب نوحيهـــا اليك . ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبـــل هذا **فاصبر** ان العاقبة للمتقين) .

3 ــ **من سورة هود (واصبر** فان الله لا يضيع أجر المحسنيـــن) .

4 ــ **من سورة النحل** (**واصبر** وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)

5 ــ 7 **فى سورة الروم ــ وسورة غافر ــ ثـــلاث** آيات (**فاصبر** ان وعد الله حق) .

8 ــ **من سورة الاحقاف** (**فاصبر** كما صبر اولو العزم من الرســـــل) .

9 ــ **من سورة الطور** (**واصبر** لحكم ربك فانك باعيننا)

10 ــ **من سورة المعارج** (**فاصبر** صبرا جميلا) .

ثم نزلت **احدى وعشرون** آية ــ فى تلك المدة ــ تحكي صبر الانبياء ــ وتنوه بالصابرين تجدهـــا فى السور : هود ــ يوسف ــ الانعام ــ لقمان ــ الزمر ــ فصلت ــ الشورى ــ النحل ــ ابراهيم ــ الانبياء ــ المؤمنون ــ السجدة ــ العنكبوت .

كل هذا الدوام تطمين النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نصرة الاسلام ودخـــول الناس فى دين اللـــه .

واخيرا : جاء يوم فتح مكة بعشرة آلاف جندي، وقال الرسول : (**جاء الحق وزهق الباطل**) :

روى الشيخان ، والترمذي ، والامام احمد ــ عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة يوم الفتح ــ وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا ــ جاء الحق . وما يبدىء الباطل وما يعيد) .

البخاري ــ كتاب المغازي ــ بـــاب رقـــم 50 ــ **ومسلم ــ كتاب الجهاد** ــ حديث رقم 87 ــ

الترمذي ــ تفسير سورة الاسراء ــ الامام احمد جـ 1 ص 377 .

8 ــ مسيرة الفتح : من هدي النبوة :

1 ــ روى البخاري ــ عن انس بن مالك قال فى الآية (انا فتحنا لك فتحا مبينا) : هي الحديبية .

البخاري ــ تفسير سورة الفتـــح / وكتـــاب المغازي ــ بـــاب 37 .

2 ــ روى البخاري ــ عن البـــراء بن عـــازب قال : تعدون انتم الفتح فتح مكة ؟ وقد كان فتح مكة فتحا،

ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – اربع عشرة مائة .. الخ = البخاري – كتاب المغازي – باب 37 .

3 – روى ابو داود . والامام احمد – عن مجمع بن جارية الانصاري قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما انصرف عنها اذا الناس يهزون **الاباعر** (يسرعون السير بالجمال) فقال بعض الناس لبعض : ما للناس ؟ قالوا : اوحى الى النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : فخرجنا مع الناس **نوجف :** (نسرع) فوجدنا النبي واقفا على راحلته عند كراع الغميم ، فلما اجتمع عليه الناس قرا عليهم (انا فتحنا لك فتحا مبينا) . فقال رجل : يا رسول الله افتح هو ؟ قال نعم ، والذي نفس محمد بيده انه لفتح .. الخ = ابو داود – كتاب الجهاد – احمد جـ 3 ص 420 / 486 – جـ 5 ص 54 .

4 – روى الشيخان – عن ابي وائل قال : قام سهل ابن حنيف يوم صفين فقال : ايها الناس اتهموا أنفسكم – لقد كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الحديبية . ولو نرى قتالا لقاتلنا . وذلك فى الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين . فجاء عمر بن الخطاب فاتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل ؟ قال بلى .. قال : اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال بلى . قال : ففيم نعطي الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا ؟ فقال الرسول : يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله ابدا – ثم انطلق عمر متغيظا – فلم يصبر (فاتى ابا بكر فساله نفس الاسئلة واجابه ابو بكر بنفس اجوبة الرسول) . قال سهل : فنزل القرآن على رسول الله بالفتح فارسل الى عمر فاقراه اياها . فقال عمر : او فتح هو ؟ قال نعم ، فطابت نفس عمر ورجع .

البخاري – كتاب الجزية باب 18 – واللفظ لمسلم – كتاب الجهاد – حديث رقم 94 .

وقد جاء فى الصحيحين أن الرسول قرا سورة الفتح يوم فتح مكة – ولكن ذلك كان لبيان تمام النعمة ، وتمام الفتح – كما أن الحديبية كانت اول الفتح – حيث كانت الهدنة واختلط المسلمون باهلهم واصدقائهم واقنعوهم بصدق الرسول واحقية الاسلام .

9 – وبعد مسيرة الفتح : السلمية الخضراء جرت المفاوضات فى تفاهم وتواد – وكما كان ذلك فى مفاوضات صلح الحديبية **– وعادت الصحراء الى أرض الوطن الام –** جزءا لا يتجزأ من الاصل ، والتامت الاعضاء فى الجسم السليم ، وتحقق نداء جلالة الملك حين قال :

جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

واهتمت حكومة جلالة الملك باصلاح اقليم الصحراء ماديا ومعنويا . وسافر اليها الرجال الاقوياء الامناء .. وبدا الاصلاح للشؤون الدينية والدنيوية : وقام رجال الادارة بواجبهم . وقام رجال القوة المسلحة الملكية بحراسة الجزء الغالي من الوطن فى يقظة تامة ونشاط كامل .

واهتم رجال التعليم بتادية رسالتهم ، وهيئت الارض للزراعة والسقي بكل وسيلة ممكنة ، وبدات نهضة الصناعة تنشط بعد القيود التي كانت مفروضة عليها . وتبادل الزملاء فى كل فن : الخبرة والبيان والتكوين والتوجيه السليم وانتشر الامن ، وظهرت امارات الامان ، وهم فى الطريق الى اصلاح شامل .

اما بعد فان ربان السفينة ماهر ، والقائد حازم ، والراعي واع ، والرائد بصير ، فاذا لعبت الامواج بالسفينة لا نياس ، واذا اضطربت الامواج لا نجزع ، فكم من مرة ظننا أن لا نجاة – فاذا بالتدبير المحكم وعناية الله توصل السفينة الى شاطىء النجاة ، وقد عودنا الله الجميل – ووعدنا حسن العاقبة ، ولن يخلف الله وعده . (ومن أوفى بعهده من الله) ؟ **نسال الله دوام النصر .**

بارك الله فى جلالة الملك الحسن الثاني وحفظه وقواه ، وامد الله فى عمره ، واقر الله عينه بولي عهده المحبوب الامير سيدي محمد ، وبصنوه مولاي الرشيد وباسرته المباركة . وبشعبه الوفي الامين . واتيمن بدعاء الرسول : اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها ، واجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة – آمين .

الرباط : احمد عبد الرحيم عبد البر





افراح الشعب

ردد نشيد العرش في ارجائها
واقبس شعور الفخر من ابنائها

واختر من الأنغام اعذبها ومن
صدق المشاعر ما يفي برجائها

وارقص على ارض الامازغ نشوة
فهي الشهيرة دائما بولائها

لمليكها الحسن الحبيب المجتبى
فخر البلاد وعزها وعلائها

فالكل يهتف بالمليك وعيده
عيد البلاد وترجمان وفائها

والمغرب الأقصى يشيد مرددا
امجاد هذا العرش تحت لوائها

والشعب يزهو لاهجا بمليكه الـ
ـمعالي المفاخر في شموخ سمائها

والراية الحمراء تخفق حرة
خفقان قلب الشعب في عليائها

× نظمت هذه القصيدة ، بصفة شخصية بمناسبة عيد العرش المجيد (1396 ــ 1976) وللرد على ادعاءات بعض الاذاعات المجاورة التي تتنكر اربابها لعلاقات الجوار والاخاء وتورطوا في توجيه اسفه نداء للعاملين بدار الاذاعة والتلفزة المغربية الذين ادوا واجبهم الوطني خير اداء

عبد اللطيف احمد خالص

نشـــوى بنصر باهــــر اصداؤه
بهرت جميع الأرض فى اصدائهــــا

هاذى المسيرة قد انار سناءهــــا
خضراء تخطر فى بديـع روائهـــا

شـهـــم همـام عبقرى زمانـــه
فاق البرية فـــى عجيب دهائها

صحراؤنا تدعــــو لــه بعقيـــدة
يحيا المليك : بقاؤه لبقائهــــا

المسيـــرة الخضـــراء

عاث الدخيل بارضهــــا متحديــا
آملهــــا ، متجهـــــلا لاخائهـــا

فاغاثها الحسن الهمـام مصممــــا
فى عزمه ، وملبيــــا لندائهـــــا

وامدها بمسيـــرة خضـــراء اغـــ
ـــنى عن مضاء السيف سر مضائها

ان المسيرة فى الوجود عقيـــدة
والفضل للسلطان فـــى ارسائهـــا

ان المسيـــرة فكـــرة جبـــارة
اعيى الـــورى التفكير فى نظرائهـــا

ان المسيرة حققـــت لبلادنـــا
عزا رفيعا ساطعــــا بضيائهـــــا

ان المسيـــرة اعلنـــت لبلادنـــا
مجدا اصيلا عـم فـــى افيائهـــا

« ان المسيرة اعجزت مـــن دبروا
طمس الحقيقة وابتغا اخفائهــــا »

خلاقها الحســـن الوفـــي لشعبـــه
وبـلاده فجزته حســـن وفائهـــا

خلاقها الحســـن الوفـــي مخططـــا
لمراحل التنفيذ فـــى اجرائهـــا

خلاقها الحسن الهمـام مراقبــــا
متعهد للسيـــر فـــى امضائهـــا

اضحت لدى الساسات سنة ثـورة
سلميـــة فـــى امنها وصفائها

ان قلدوه فانه لامامهم
في كل ما ياتون من احيائها

تمحو عن الأوطان ظلم عداتها
وتحول دون وبالها وعنائها

انظر الى الآلاف من ابنائها
ماشين كالفرسان في خيلائها

ومجاهدين تجمعوا في حملة
متحفزين الى الوغى وبلائها

الله اكبر رددوها جهرة
أوحى الامام الير في اعلائها

الله اكبر رددوها جهرة
هزت قلوب الناس في احشائها

الله اكبر رددوها جهرة
ملأت فضاء البيد من صحرائها

الله اكبر رددوها جهرة
شرع الوزير الشهم في القائها

ابدى لهم امر المليك بهمة
قعساء تلقى الرعب في اعدائها

اذكى بها عصمان جذوة ثورة ،
عبثا ، سعى المحتل في اطفائها

كيف السبيل لكبح ثورة امة
كان المليك الشهم رب لوائها ؟

فتجندت احزابها وفئاتها
بقيادة الأبطال من زعمائها

وتطوعت هيآتها بحماسة
لا فرق بين رجالها ونسائها

وتسابقت نحو الحدود سلاحها الـ
ـقرآن والتوحيد سر وقائها

فتحطم الطغيان رغم صموده
وتدانت الابعاد من انحائها

* * *

ادعاءات المتنكرين لعلاقات الجوار والاخاء

ان الشعوب اذا أرادت وحدة
سخرت من الاعداء رغم عوائها



وتشبثت بالحـــق دون هـــوادة
واسترخصت فيه انهمار دمائهـــا

ورأت كـــلام الحاقديـــن ومكرهم
من انكر الأصوات فى ضوضائهـــا

هل يسمع الانسان صوت مغامـــر
يخفى الحقيقة فى اشـــد ضيائها ؟

اني لأضحك مـــن نباح جماعـــة
صوت الكلاب ينم عـــن ببغائهـــا

« نبحوا وكان نباحهم اضحوكـــة »
الدهر يسخر من سخيف هرائهـــا

نبذوا الحقيقة ، ظهريا ، وتورطـــوا
من حماة البهتان فى استشرائهـــا

وتنكـــروا لمشاعـــر فياضـــة
الضـــاد والتاريـــخ اس بنائهـــا

❋ ❋ ❋

دعـــــاء

يـــا خـــالص الخلصاء فى اقطارنـــا
ومخلص الأوطان مـــن ادوائهـــا

أنت المنار لها وقـــدوة سيرهـــا
واعز من تختار مـــن خلصائهـــا

انت الوقاء لهـــا ودرع نضالهـــا
وملاذها فـــى حربهـــا وهنائهـــا

« شعري اصون من التزلف قدره »
لولا القداسة منك فى عليائهـــا

قلبى وشعرى فـــى هواك تسابقا
كتسابق الأبطال فـــى هيجائهـــا

قلبـــي وشعرى فى فداك تسابقا
وكلاهمـــا لمواطنـــى وفدائهـــا

اشربت منذ صباى حـــب مواطنـــى
والعرش والسلطان ســـر بقائهـــا

وتمكنت مني عقيدة أمة
بملوكها صالت على أعدائها

فاسلم - أمير المؤمنين - لأمة
رأت السعادة في دوام ولائها

وليحفظ المولى الأمير محمدا
ورشيد والأوطان في أمرائها

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص



الأستاذ السيد المختار ولد دادة رئيس الجمهورية الموريطانية الإسلامية في ضيافة صاحب الجلالة حفظه الله



للشاعر عبد الكريم التواتي

الشعب يهتف فرحة ويصفق   والى الفداء جموعه تتدفق
اذكى حميتها نداؤك فانبرت   حمما يقض الغاصبين ويحرق
ـ لما دعوت: الى الصحرا: أسرعت   وشعارها: الصحراء حتما تعتق
يا ثورة بيضاء عبأ زحفها   شعب ـ بعرش خالد ـ متعلق

❊ ❊ ❊

ودعوت يا حسن، لشن مسيرة   خضراء روقها يقين يصدق
ـ فاذا المغارب والمشارق وقدة   للزحف تهفو، للقاء تحرق
واذا الدنى جمعاء عبيء رايها   والى ندائك وحده تتشوق

❊ ❊ ❊

اقسمت تنجد أهلها وربوعها   والله ربك ناصر وموفق
ـ ومضيت ـ والقدر اللطيف مبارك   ما ترتجي ـ تغزو العدو فترهق

❊ ❊ ❊

ودعوت شعبك للجهاد وقدته   فمضى، سبيلك يقتفي ويحلق
ناديته للتضحيات فشمرت   عزماته يحدو خطاها موثق
ـ وخطبته بهداية وجوامع   آي الكتاب دليلها والمنطق
واثرت فيه حماسة وشهامة   فاذا الجوارح والشغاف تصفق
واصاخ في شغف، لما تهفو له   وهفا يراوده اليك تشوق
ـ ومضى حثيثا لا تلين قناته   يرجو الشهادة، للفدا يتحرق

❊ ❊ ❊

صاحب الجلالة في استقبال الوفد المالي

واهبت جندك للعلى فاستبسلوا   وتدامروا ، وعلى الوفاء استوثقوا

وتوافدوا ، متطوعين ، شعارهم   الله أكبر ، والمصاحف مصدق

ـ وتسابقوا حبا اليك ، نساؤهم   في التضحيات من الاراجل أسبق

لا تعجبوا ، فنساؤنا وبناتنا   في الصالحات لهن كعب معرق

* * *

خسىء الألى حسبوا المسيرة خدعة   ان المسيرة عزمة لا تخرق

ـ ما الحرب ترهبنا ، ـ ولكن ـ دابنا   ان المراحم لا تباح وترهق

والحرب ان تهتج تخض غمراتها   وحشا عدانا في لظاها تحرق

والمغرب الاقصى عرائن آسد   لا تتقي الهيجا ، ولكن تعشق

ـ واذا الملاحم داعبت ابطالها   الفيت مغربنا بها يتمنطق

ولئن تربص بالبلاد مخاتل   أوكاد غدار بها متحذلق

فلقد أقمنا بالمسيرة شاهدا   أنا الأباة ، بكل درب نصدق

* * *

فاهنا ـ مثنى ـ ان شعبك أية   تحمي الحمى ، والعاديات تطوق

لما دعوت جموعها لمسيرة   زكت دعاءك وحدة وتعلق

أذكى تداؤك للمسيرة عزمها   وهفت اليك قلوبها تتدفق

ـ بحر من الانسام لا يدرى له   بدء ، وليس له ختام يرمق

هو ـ والديان ـ بلا مدى امواجه   زخارة توهي السدود وتغرق

في عمق صحرانا طلائع باسه   وعلى امتداد الافق زحف يبرق

هو شعبنا الأباء هاجت اسده   تغتال أحلام البغاة وتقلق

* * *

فتح به السبع الطباق حوافل   والارض جذلى ، والبشائر تألق

حفلت به الدنيا وتاهت رهبة   وبه الصحارى تزدهي وتأنق

عرب وعجم للمسيرة بادروا . .   ولخوض غمرتها تنادى المشرق

* * *

لا ضير ان عق الخوالف امرها   ان الخوالف طبعهم أن يمرقوا

طبع الاله على شغاف قلوبهم   وأصمهم فهم ضلال مطبق

* * *



صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني يتقبل تهاني اعضاء الحكومة بمناسبة العام الهجري الجديد ، ويهنئونه حفظه الله بنجاح المسيرة الخضراء

سيروا فتلك مسيرة ميمونة	الله يرعى شعبها ويوفق
والشعب بارك ـ مخلصا ـ خطواتها	فنجاحها متيقن ومحقق
والعاهل الشهم المثنى عزمة	تبني الاخوة والعهود توثق

* * *

وذروا الذي زعم العداة فانه	زور وبهتان ومين ابلق
لا يحسبوا أنا نغير هراءهم	اذنا ، فوق هرائهم لا تنفق
انسوا سريعا أننا كنا لهم	درعا وردفا يوم عز المرفق
ولئن نسوا احساننا وجميلنا	فالله يجزي الظالمين ويمحق
ولئن أرادوا للجوار خيانة	فالله يمكن منهم ويمزق

* * *

سيروا ، فليس لغيرنا في أرضنا	حق المصير ولا المجال المخرق
ـ نحن الحماة لأرضنا وحدودنا	ولنا السيادة والوجود المطلق
هي ملكنا ، صحراؤها ورياضها	داماؤها وبرورها والجوسق
وبكل شبر من ثراها جحفل	منا ، وكل من يتيهها فيلق

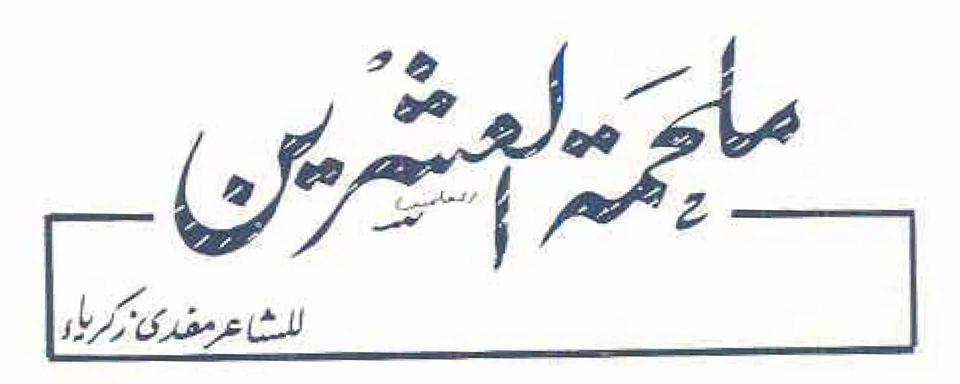
* * *

لا تزهدوا في حبة من رملها	فهي المغانم والنماء الغيدق
هيي يا حماة أمانة في عنقكم	وبحفظها ـ يا قوم ـ انتم اخلق

* * *

يا ثاني الحسنين انا جنة	للعرش ، والصحرا لملكك خندق
ـ ولنحن للوطن المفدى رقية	الله يبرم امرها ويوفق
فخض القمار بنا ، فانك راشد	وبما تخط يداك ، شعبك يسمق

فاس : عبد الكريم التواتي



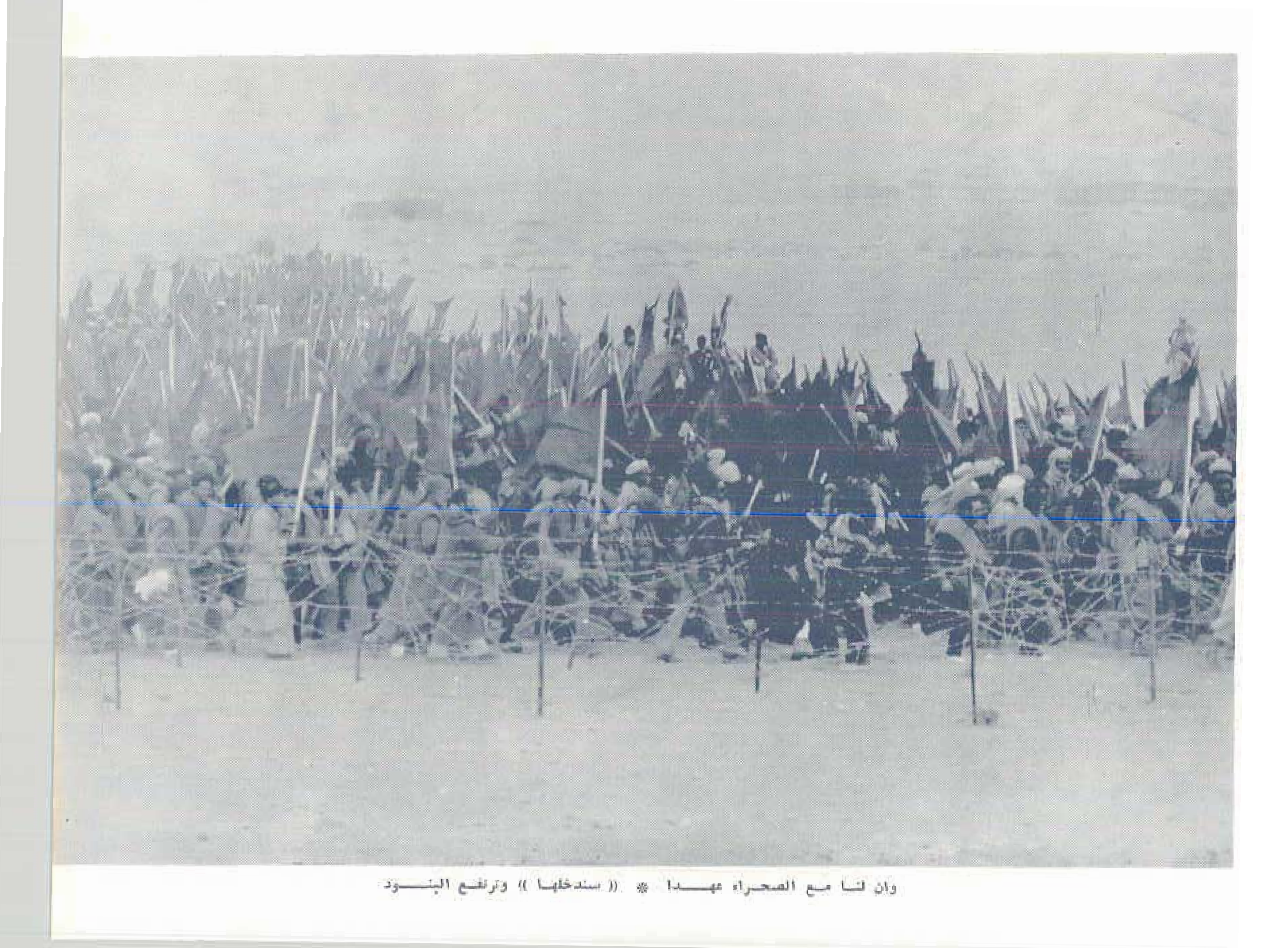
الى (عشرين) فليسم القصيد ... ويصدح في مواكبنا النشيد
وتغمر موجة الذكرى حمانا ... وتخفق فوق مشورة البنود
وتعبق ملاه الانفاس عطرا ... وتفرش في معابره الورود
وقالوا : العيد ... قلت : واي عيد؟ ... وكل مواسم الامجاد عيد
ام الذكرى ؟ وما العظماء الا ... بكل ملاوة ، خلق جديد
وما كان ابن يوسف ، غير شعب ... اراد ... فقال ربك ... ما تريد
تنزل كالملاك ... وفي يديه ... رسالات ... يموج بها الخلود
يطالعنا به قمر منير ... ويفجؤنا به الفجر الوليد
فباليمنى ، خلاص ، وانعتاق ... وباليسرى ، تحطمت القيود
فعاش ، وشبله ، يعلي صروحا ... فتسعده المقاصد ، والجهود
ويزرع في دم الحسن المفدى ... عزائم ، ما لمطمحها حدود
ويغرس في ضمير الشعب روحا ... مطهرة ، بها اعترف الوجود
وينشر فيه للحسنى نفوسا ... يقود ركابها النظر البعيد
وفي الحسن الموفق ، بت سرا ... يقود خطاه ، يسبقها السعود
فلبي للخلود - قرير عين - ... نداء الله ، قبلته الصعود
ومن ألف السماء ، وجاء منها ... الى ملكوتها - شوقا - يعود !
ومن ترك الامانة - وهي عظمى ... لشبهم ، لا يميل ، ولا يحيد ...
فقد وضع الرسالة في امين ... لديه من خلائقه الرصيد

❋ ❋ ❋

امير المؤمنين ... علوت عرشا   دعائمه ، الوثائق والعهود
رسا في مهجة الدنيا قرونا   يبارك مده الماضي المجيد
وطالت ، في العراقة ، منه ساق   يخر حيالها الزمن العنيد
ومن آياته ـ اخلاق شعب   نبيل ، طبعه كرم وجود
نظام (بين ذاك ، وذا) قوام   ومجتمع يفيد ، ويستفيد ؛
فما لمذاهب التوريد فيه   مكان ، يستباح به الجحود !
وما لتخلف الافكار فيه   مجالات ، يسود بها الجمود ؛
نهجت به الطريق .. وكنت ردءا   على الجلي ... فلان لك الحديد
وسار على هداك ، بروح صدق   يثير سبيله البصر الحديد
ويعبر ـ واثقا ـ عشرين عاما   على اسم الله ـ يدفعه الصمود
جهاد للبناء ، يضيق عنه   بياني ، حين تسبقني الشهود
أروم العد ... والخلجات تثني   وعن خلجات قلبي ... لا اريد
أفي عيد الجلاء ؟! وما تبقى   على صدر الحمى ، الجند الحقود
وطوع ملاحم المليون ، تجري   دو افقنا ، وترتفع السدود
ويعلن ثورة المحراث ، فيها   ذكي ، واضح الرؤيا ، رشيد
تخضر البلاد ، كأن منها   على الهامات ، ما حمل الجنود (1)
ويعتني بالشبيبة ، ذو شباب   فيصرخ في العروق دم جديد
يقود الثائر الحسن المفدى   جحافلها ، فيرتعش الوجود
الى سيناء ، تنتصب السرايا   الى الجولان ، تندفع الاسود
تتحدث في فم الدنيا دويا   يجلجل ملأه الذكر المجيد
وتنصهر الاخوة ، في ذمام   مقدسة ، تباركها الجدود
وما قمم الكرامة في رباط   سوى فتح ، به الامل الوطيد
بها يعتز اسلام ، وعرب   ويرعى عهدها بيض وسود
فشع لمغرب الابطال ذكر   على الدنيا ... تبيد ... ولا يبيد
وللاسلام دفق وانبعاث   بمغربنا يخر له المريد
ومد العلم ، يغمر كل فج   يسوق شراعه الملك الرشيد
وان لنا مع التاريخ وعدا   يوحدنا به الوطن الوحيد

---

(1) اشارة الى طاقيات الجنود المغاربة ذات اللون الاخضر ، وقد قلت في هذا المعنى في قصيد آخر :
وجنود كالباسقات استطالت ❊ فتسامت منها الرؤوس اخضرارا



وإن لنا مع الصحراء عهـــدا ❊ ((سندخلها)) وترتفع البنـــود

وان لنا مع الصحراء عهدا   (سندخلها) وترتفع البنود

فان سلما ، فنحن دعاة سلم   وان حربا تلتحت اللحود

اتى اليوم الذي لا ريب فيه   واطلع شمسه المبدي المعيد

وواعد سيد الاحرار شعبا   ولم تتخلف له ابدا وعود

وقاد مسيرة خضراء ، يعلو   بها القرآن ـ والعلم المجيد

دخلناها باكباد حرار   وحققت المسيرة ما نريد

فلا تعجب لمعجزة بشعب   تعود ان تباكره السعود

ولا للثائر الحسن المفدى   ومن لدهائه اعترف الوجود

امير المؤمنين ـ لك التهاني   فعش يسعد بك العرش الوطيد

ودع عشرين عاما تروعنا   ويصدح في مسيرتنا النشيد

مفدي زكرياء





الشخصية المغربية الإسلامية

للأستاذ حسن السايح

نستنتج من خلال دراسة معطيات الحضارة المغربية وخصائصها ومميزاتها انها ذات شخصية حرة ، نشيطة ، متفتحة ، حذرة . فهيام المغربي بالحرية لا حد له ، وهو لا يتنازل عن حريته تنازلا نهائيا مهما اشتدت به المحن والأزمات ... كما ان شخصية المغربي ، نشيطة تعمل باستمرار دون ضعف أو وناء أو تقاعس ، وهي متفتحة ترغب في معرفة المجهول ، ولكنها حذرة في نفس الوقت ، لا تسير مجرورة وراء الاحداث ولا منساقة وانما تعمل بوعي كامل . وتفتحت الشخصية المغربية منذ بداية التاريخ في مأمن من الضغوط الخارجية فكانت فطرية ثم تأثرت بحضارة الفنيقيين الشرقية وبالاخص بجوانبها الانسانية الاخلاقية فلما جاء الاسلام كانت الشخصية المغربية منسجمة مع دعوة الفطرية .

فالاسلام دين التوحيد المطلق اى توحيد الخالق دون تعقيد ولا شرك ولا تجسيم ولا وسطية ... دين المطلق المجرد ، ويصل بين الانسان والخالق مباشرة ، كما يعطي للانسان كل ابعاد القوة والايمان بالشخصية أما الوثنية سواء البدائية التي تعني عبادة الصنم ، او التي تعني الوصول الى الخالق عن طريق الكهنوت والسدنة او التي تعنى الحكم المطلق الاستبدادى المستمد قوته من فكرة الحكم الالاهي الذى عم أوروبا في عصر الاقطاع منحدرا عن الوثنية الرومانية القديمة ، فهي في كل هذه الصور وثنية تعزل الانسان وتميت حيويته ومبادراته وتعطل قوة شخصيته ، وتسلبه عقله ووجدانه ، ولذلك لم يهادن الاسلام الوثنية باعتبارها العائق الوحيد ضد حرية الانسان ولاجل أن يكون الانسان حرا يجب ان لا يخضع لاي ضغط كان ليظل على سجيته غير مستلب ولا تحت اية سلطة غير سلطة الانسجام والوفاق مع الكون كله . والاسلام دين الفطرة التي معناها مسايرة الانسان لنزعة الانسانية الاجتماعية البناءة وليس معنى الفطرة الغريزة الحيوانية وانما معناها عمارة الارض والاستخلاف فيها ... والفطرة في جوهرها اعتقاد بسيط غريزي بقدرات الانسان على النمو والتطور ، وهي اعتقاد بسيط وعملي في نفس الوقت ... ولطبيعة الفطرة الخلاقة في المجتمع الانساني فهي لا تعتمد على العقل وحده ولا على العاطفة وحدها وانما تزاوج بينهما لان العقل اضعف عن قيادة الانسان على اساس المعرفة المطلقة وادراك الماورائية . ولهذا فالفطرة تعطى الانسان جانبا ابداعيا داخل السير العام الكون ، ولهذا ايضا فان تعاليم الاسلام فطرية تدرك بسهولة وهادفة في نفس الوقت لتحقيق السعادة البشرية ويقول الشاطبي في الموافقات : (ج 2) ان الامور الاعتقادية قريبة للفهم ، وانما يراعى فيها الجمهور اي يراعى فيها المستوى العام للامة ولذلك كان الاسلام دينا بسيطا لا يعتمد على النظر الفلسفي ولا على الرياضيات .. وقد عبر الرسول (ص) عن ذلك بقوله (نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب) وليس معنى ذلك ان الاسلام دين الجهل وانما معناه انه دين شعبي عام بسيط يتجاوز المعلومات المدرسية الاكادمية .

والمعرفة الفلسفية والرياضية التي تختلف العقول في ادراكها الى تعاليم عامة يدركها الجميع . ومن خلال هذا يبدو ان الفطرة تعني النزعة الانسانية الصادقة التي لم تتأثر بالتحريفات وان الامية تعني التعاليم التلقينية المشتركة بين الناس جميعا ، ولهذا فلم يعرف الوسائط ولا الوصاية الدينية ، ولم يجعل بين الخالق والمخلوق أي صلة سحرية أو كهنوتية او فنية ايقونية لتأكيد الحضور واذا كان النبي موسى عليه السلام جاء بدين سماوي يقر الفطرة والنزعة الانسانية فان الاحبار غيروا الاسس الفلسفية الدينية وكذلك فعل المسيحيون بعدهم ، فحولوا الانسان عن الفهم الديني الحق الى النظام الكهنوتي السحري الطلسمي فجاء الاسلام ليحرر الانسان من نظام الكهانة وامده بحرية الفكر والشخصية وجاء القرآن هدى للناس جميعا ليتم الوحي ، بين كل انسان وخالقه ، وما لبث الاسلام ان اتصل من جديد بالمسيحية واليهودية وتسربت اليه انحرافات الاقتصاد اليهودي وانحرافات الفلسفة المسيحية ، وظهرت الآراء الاقتصادية التي تقر الربا في العالم الاسلامي . كما ظهرت الاخلاق المسيحية في التصوف المتطرف ... واذا كان التطور الغربي نشأ في اطار التفكير اليهودي اقتصاديا ، وفي اطار الفلسفة المسيحية ، حيث ظهرت الليبرالية والاخلاق الدينية كقوة ضد التحرر الفكري فقد بدأ الصراع قويا بين الدين والعلم ، وبين الكنيسة والشعب ، واعطى الدين مفهوم الجمود الفكري والوقوف ضد التطور بينما أصبح العلم يعني التحرر والعقلانية ويعادي الدين باعتباره معوقا لتطور الانسان في كل المجالات سواء في السياسة التي ترى الحق للشعب لا للقانون الكنيسي ، وفي الآداب الاجتماعية والانسانية التي تدعو للتحرر من القضاء والقدر ، وجمود الفكر ، او في الاقتصاد كدعوة للتحرر من الاقطاع والملكية الشخصية غير المحدودة ، واذا كانت الحياة الغربية عاشت المتناقضات فان العالم الاسلامي تسربت اليه هاته المتناقضات والتوجيهات الغربية بعد بداية النفوذ الاوربي وتردي العالم الاسلامي فعطلت الفكر الاسلامي الذي اخذ يستورد الافكار من الغرب ، وروج اعداء الاسلام ان الدين الاسلامي يعوق الشعوب عن التطور كالدين المسيحي بينما الاسلام ليس بدين الكهنوت ولا الاكلروس وليس بعائق عن التطور بل هو دين العدالة والشعب والشورى والتضييق على الطغيان المالي ، ومحاربة الاقتصاد الربوي ، ومحاربة تفويت حق المرأة ، ومكاسب الشعب ... ولم يكن الاسلام دين السيطرة والظلم وتقديس الاستغلال .. وقد طبع الاسلام الشخصية المغربية بقوة فاصبحت الاصالة تعتمد على العقيدة الصافية والصدق في التعبير والالتزام الاخلاقي ، ونجد في رجالات المغرب نماذج من هذه الشخصية كالقاضي عياض الذي التزم المذهبية الشعبية وكالابلي ، والحضرمي والمغيلي ، والونشريشي والزقاق ، واليوسي ، وغير هؤلاء الذين مثلوا الالتزام للمذهبية السنية الشعبية كما كان الامام زروق يمثل الالتزام الصوفي حتى لقب بمحتسب الصوفية .. وغير هؤلاء كثير . وظهرت بجانب الاصالة التي طبعت الجمهور المغربي انعزاليات طائفية ولم تكن هذه الانعزالية تطبع المجتمع بالمتناقضات ، وانها في الغالب كانت تجمعات وجدانية او عقلانية توحد بين الميول المتحدة في دائرة الجماعة الاسلامية الملتزمة ، وكانت عامل حوار ونقاش حيوي ... ولعل طائفة المكاكزة شر طريقة انعزالية ظهرت بالمغرب .

يحمل الفاتحون الاسلام ولم يأل المغرب جهدا في تعريب المغرب الاسلامي ممن عهد عقبة بن نافع الى عهد موسى بن نصير الى اسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر الى عبيد الله بن الحبحاب وحبيب بن ابي عبيدة وحنظلة بن صفوان الى ان قامت في المغرب دويلات مستقلة طائفية كامارة صنهاجة في باجة وهوارة في طرابلس ونفوسة في قابس ، وبنو واسول في سجلماسة الى عهد عبد الرحمان بن حبيب الذي وحد المغرب من جديد في تبعية لمركز الخلافة ، ثم جاء الادارسة ليوحدوا البلاد فايدتهم قبائل المغرب المتنافرة ولاءموا بين القبائل المتباعدة واقاموا حكومة مركزية مزدوجة الادارة بين البربر والعرب واعلنوا الجهاد المقدس لاستئصال اليهودية والنصرانية والبرغواطية من انحاء المغرب ... وواصلوا رسالتهم المقدسة الى ان تصدى لهم موسى بن ابي العافية ففل شوكتهم واستاصل دولتهم اوكاد فتارجح المغرب بين المروانيين في الاندلس والفاطميين في القاهرة ومهد الادارسة في دخولهم للمغرب بدراسة اوضاعه ثم وجه المولى ادريس الاول الذي كان في اول امره شيعيا معتدلا رسالة تتضمن دعوته والتزاماته وجاء في



كتاب المرجع الشافي للامام عبد الله بن حمزة زمن هذه الرسالة وهذه الرسالة هي :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل النصر لمن اطاعه ، وعاقبة السوء لمن عند عنه ، ولا اله الا الله المتفرد بالوحدانية ، الدال على ذلك بما اظهر من عجيب حكمته ، ولطف تدبيره الذي لا يدرك الا اعلامه وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه احبه واصطفاه واختاره وارتضاه صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين . اما بعد : فاني

1 ـ ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

2 ـ والى العدل في الرعية والقسم بالسوية ورفع المظالم والاخذ بيد المظلوم

3 ـ واحياء السنة واماتة البدعة وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد

4 ـ واذكروا الله في ملوك غيروا وللامان خفروا وعهود الله وميثاقة نقضوا ولبني بيته قتلوا .

5 ـ واذكركم الله في ارامل احتقرت وحدود عطلت وفي دماء بغير حق سفكت

6 ـ فقد نبذوا الكتاب والاسلام ، فلم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه .

7 ـ واعلموا عباد الله ان مما اوجب الله على اهل طاعته ، المجاهرة لأهل عدوانه ومعصيته ، باليد وباللسان :

ـ فباللسان الدعاء الى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والحض على طاعة الله ، والتوبة عن الذنوب بعد الانابة والاقلاع ، والنزوع عما يكرهه الله ، والتواصي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق والتناهي عن معاصي الله كلها والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل وتجتمع كلمتهم وتنتظم .

ـ فاذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعا ، وللظالمين مقاوما وعلى البغي والعدوان قاهرا . اظهروا دعوتهم وندبوا العباد الى طاعة ربهم ودافعوا اهل الجور على ارتكاب ما حرم الله عليهم وحالوا بين اهل المعاصي وبين العمل بها ؛ فان في معصية الله تلفا لمن ركبها ، واهلاكا لمن عمل بها .

ج ـ ولا يؤيسنكم من علو الحق واضطهاده ، قلة انصاره ، فان في ما بدا من وحدة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء الداعين الى الله قبله ، وتكثيره اياهم بعد القلة ، واعزازهم بعد الذلة دليلا بينا ، وبرهانا واضحا ، قال الله عز وجل : ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة » وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .

الى ان يقول : ـ هذه دعوتي العادلة غير الجائرة فمن اجابني فله مالي، وعليه ما علي ، ومن ابى فحظه اخطاء وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة انني لم اسفك له دما ولا استحلت محرما ولا مالا واستشهدك يا اكبر الشاهدين واستشهد جبريل وميكائيل انني اول من اجاب وأناب فلبيك الله لبيك مزجي السحاب، وهازم الاحزاب مصير الجبال سرابا بعد ان كانت صما صلابا اسالك النصر لولد نبيك انك على كل شيء قدير والسلام وصلى الله على محمد وآله وسلم . وحفظ الحكم في عصر الادارسة التوازن السياسي بين مختلف العشائر واعتمد نائبا قارا يرتكز على الحكومة او ما يعبر عنه من بعد (بالمخزن) في تسيير بلاد ذات قومية خاصة وعلى اجهزة شعبية تتمثل في البدو الرحل والمتحضرين والاشراف والمرابطين والقبائل التي تخضع جميعها لسلطة تعتمد على العصبية وكان لهذه الحكومة مخطط تربوي واجتماعي واقتصادي يعتمد على صوفية تحيي ذكرى رجالها في كل المناسبات في مواسم الصالحين مما وثق الوحدة الاجتماعية والمعنوية بين السكان .. ورغم ان المغرب لم يعرف الاستقرار ولا الوحدة طيلة حكمهم فان أثرهم كان قويا في ابرز شخصيته ويلاحظ التحول الكبير في الاطار الحضاري المغربي فقد جاء ادريس الاول وبنى مدينة فاس لتكون مركزا للدولة الجديدة ثم بنت امراة صالحة من القيروان (مسجد القرويين) او امراة هوارية كما في شك ابن خلدون او داود ابن ادريس واستحال الى جامعة علمية . وانتشر الاشعاع الاسلامي على المغرب كله واصبحت عاصمة الادارسة مركزا علميا زاوجت بين ثقافة القيروان التي حاملها القيروانيون الذين وفدوا على المولى ادريس الاول وعمروا العدوة القروية (المنسوبة اليهم على غيرقياس) وبين الثقافة الاندلسية التي حملها اليهم الفقهاء والعلماء الذين طردهم الحكم من قرطبة (وهي من

عواصم الثقافة الكبرى) فلجأوا الى فاس حيث عمروا العدوة (المنسوبة اليهم) وحيث بنت السيدة مريم اخت فاطمة الفهرية مسجد الاندلس الذي استحال فيما بعد الى معهد دراسي كبير فاخذت الثقافة المغربية طابعا جديدا بعد ظهور هذه الجامعة حيث ازدهرت الدراسة الاسلامية فيها وظهرت حركة علمية نشيطة فى تصانيف ومؤلفات وشروح جديدة ، وكان طابع هذا الاستقلال يظهر جليا فى استقلال علماء المغرب بالاخذ بالآراء والمذاهب التي توافق البيئة المغربية الجديدة فاختاروا من المذاهب الفقهية المذهب (المالكي) والعقيدة (الاشعرية) وتصوف الجنيد .

وبدات (القرويين) مسجدا صغيرا زيدت فيه بلاطات مفصلة فى كتب تاريخ فاس ثم نقلت اليها الخطبة من جامع الاشراف ثم استحالت بعد ذلك الى جامعة دراسية فى عهد المرابطين والموحدين ، وقد جاء فى كتاب شهيرات المغرب للمؤرخ المرحوم محمد الكانونى لدى رده على كولان ما يلي : « لقد اسست مدينة فاس لتكون دار علم وصلاح فنزلها عدد من الفقهاء والصلحاء والادباء والشعراء والاطباء » كما جاء فى القرطاس ص 47 ج 1) ، وذكر المراكشي فى المعجب وهو من مؤرخي المغرب فى القرن السادس واوائل القرن السابع ان فاسا جمعت علم قرطبة والقيروان حيث دخل اليها علماء هذين العاصمتين وبالاخص القرطبيين بعد وقعة الربض فى ايام الحكم وبعد موت محمد بن ابى عامر فى القرن الرابع الهجرى حيث اضطرب شأن السياسة فى الاندلس فهاجرها العلماء الى فاس ويذكر مؤلف مفاخر البربر (ص 76) ان بفاس من الفقهاء الاجلة اعيان الائمة ما ليس بغيرها .

ويظهر ان سجلماسة كانت حاضرة علم قبل فاس بكثير واستأنس لذلك بهذا النص الذي رواه فى الجزء الأول من كتاب الدرر البهية والجواهر النبوية لابى العلاء العلوي (ص 63) فقد روى عن القاضي عياض فى مداركه ان من اعلام سجلماسة من اخذ عن الامام مالك بالمدينة ورجع اليها ودرس العلوم بها وبقيت مأوى الصالحين والعلماء والامراء ، ويقول بعد هذا النقل ان سجلماسة قاعدة بلاد المغرب قبل فاس ودار الملك منه عمرت قبل حلول الادارسة الحسنيين بهذا القطر المغربي بقريب من اربعين سنة وذلك عام اربعين ومائة 140) ، ولم يتقدم لأهلها كفر ولم تزل من ذلك الوقت آهلة بالعلماء والصلحاء ، وهي اول بلاد درس العلم بها فى المغرب ولكن تاريخ سجلماسة ما يزال مجهولا . ونستطيع ان نتعرف على الثقافة المغربية فى هذا العصر من خلال تراجم العلماء المشهورين فيه فمنهم ابو جيدة اليزغيتي امام المذهب ومؤلف وثائق الشفعية المتوفى سنة 360 ، وجاء فى جذوة الاقتباس (ص 121) وفى نيل الابتهاج وفى الغرباء ان ابا ميمونة دراس نسبة (لكثرة الدرس) من علماء مدينة فاس اخذ عن ابى بكر اللباد ورحل الى المشرق وحج والتقى على بن ابى مطر بالاسكندرية ورجع الى مسقط رأسه فاسا حيث توفى سنة سبعة وخمسين وثلاثمائة (357) وقد شد اليه الرحلة ابو زيد صاحب الرسالة الملقب بمالك الصغير واخذ عنه ودراس هو الذي ادخل فقه مالك الى المغرب الذي كان الغالب على اهله مذهب الاوزاعي ، وانا اعتقد ان دراس انما دعم المذهب المالكي فى المغرب والا فقد نشره قبله احد من اعلام الفقه المغربي كيحيى الليثى وسحنون فى افريقيا وزياد بن عبد الرحمن فى الاندلس .

واذن فقد كانت الشخصية العلمية المغربية بارزة فى القرويين فى العصر الادريسي وكان العلماء الذين درسوا بالمغرب يرحلون الى المشرق ليعطوا وليأخذوا عنه كما كان المذهب الفقهي وهو المذهب الاجتماعي فى البلاد قد تبلور فيما كتبه اعلامه الذين احتفظوا بالاعراف والعوائد المكونة لشخصية البلاد ، وفى كتاب القاضي عياض (ازهار الرياض) ما يدل على أن مدرسة فاس الفقهية كان لها اسلوب خاص فى تحليل المدونة على طريقة خاصة تعتمد على المناقشات اللفظية وتضبط الروايات وتصحيحها . وفى ميدان الادب فقد شاهد العصر الادريسي ازدهارا ادبيا ، وكان المولى ادريس الثاني من شعراء عصره ويذكر ابن الآبار آثارا ادبية للقاسم ابن ادريس . البكري قصائد لشعراء برابرة طوعوا اللغة العربية لتعبير عن عواطفهم وفى كتاب (المسالك والممالك) قصائد التكوري وسعيد بن هشام المصمودي وبكر ابن حماد وغيرهم .

وقد نبغ فى هذا العصر شاعر ملحمي افريقي وهو ابن هانيء الاندلسي الافريقي الاصل وكذلك مقدار ابن الحسن الكتامي ، واجتمع بباب المعز بن باديس من الشعراء مالم يجتمع الا بباب الصاحب بن عباد كما

شباب أفارقة شاركوا في المسيرة الخضراء ...

يقول ابن خلدون ، ومنهم المنثري الكبير علي بن ابي الرجال الذي الف له (ابن رشيق) كتاب العمدة والف له ابن شرف رسائله المشهورة ، ومن نقد هذا العصر ابو الحسن الحصري وعبد الكريم النهشيلي .

ولاشك ان الحضارة العربية إزدهرت ازدهارا عظيما فى عصر الادارسة رغم قلة المصادر واذا كان المؤرخون يقارنون بين الاغالبة فى تونس والادارسة فى فاس كما اذا كان التنافس دائما مستمرا بين الدولتين ، فان هذا يدل على ان ماكان بالقيروان من حضارة كان له نظيره فى فاس .

ويحدثنا التاريخ التونسي عن الازدهار الذي شاهدته القيروان طيلة حكم المغاربة حيث كانت معقلا ومنبعا للفكر العربى فانتظم التعليم فى الكتاتيب والمساجد وتكونت المكاتب العامة بجميع الكتب الادبية والعلمية وانشيء بالقيروان معهد لدراسة الرياضة والطب والصيدلة ولترجمة الكتب اللاتينية وسمي هذا المعهد ببيت الحكمة . وعرف هذا العصر مشاهر الرجال كالقاضي اسد بن الفرات المتوفى سنة 213 ، والقاضي سحنون المتوفى سنة 240 ، والطبيب المشهور احمد ابن الجزار ، فان القيروان كانت وارثة قرطاجنة وروما فيما خلفت من تراث فكرى وعلمي ، وازدهرت الزراعة كما كانت فى عصر الرومان وانتظمت وسائل الري فى البوادى وتقدمت الصناعات وخاصة صناعة النسيج الصوفي والحريرى وعنيت الدولة بالمناجم ، فاستخرجت منها المعادن وقويت التجارة مع العواصم الاوروبية .

وبنى عبد الله ابن ادريس (تامدولت) وجدد (اكلي) فى السوس ، وفى كتاب الملل والنحل لابن حزم ذكر لبعض احفاد الادارسة الذين كانوا بالسوس ورفعوا لواء النحلة البجلية .

والظاهرة التى نلمسها ان الثقافة المغربية كانت منبثقة من وعى شعبى وانها كما ذكر (سديو) عن الاندلس قائلا : (لقد كانت الحضارة الاندلسية من صميم الشعب لم تفرض عليه فرضا وانما كان الخلفاء يداورون الراى العام فيحثون على الآداب والتجارة والصناعة ، ويقابل ذلك بالشكر قوم يقدرون هذه المقومات .

ولم تبلغ عظمة العرب فى الاندلس الا عن هذه الاستجابة وحب الثقافة المشاع في جميع الطبقات وكما قال (سديو) ايضا كنت ترى الشعر يسمو بالنفوس وترى اتصاف القضاة بغزارة العلم اتصافا جالبا لاحترام احكامهم ، وكنت ترى تنافسا كريما حافزا ، وكان يؤذن لمن يشيد المباني فى كتابة اسمائهم عليها ، واما المذاهب التى نشأت فى الاندلس خاصة بالاخلاق والفلسفة ، وقد قال (سديو ص 293) : قد ظهر فيها أناس متطرفو الافكار ولكن لم تخرج مباحثهم عن الحذر الشديد ، وكان سادة الاندلس من اهل السنة فلم تعد المناقشات حدود مشاكل التفسير وكان الفقهاء على مذهبين متنافسين : مذهب مالك والاوزاعى ، ورغم الخلاف الشديد بينهما لم ينقلب قط الى انفصال ..

وجاء المرابطون وهم من قبيلة المصامدة التى تقيم بارض واسعة فى المغرب و نهم قبائل صنهاجة وغمارة فى لشمال وقبائل صنهاجة فى الجنوب باقليم الاطلس الكبير والصغير ، وهم فى اعظمهم فلاحون مستقرون ، وظلت صنهاجة تعتبر اعظم قبيلة مغربية بل (شعبا كاملا) بلغ عدد فصائلها السبعين ، ورغم ادعاء جوتيه عدم وحدة قبائل صنهاجة فان المؤرخين العرب وجدوا فى وحدة العوائد ، واللغة ، دليل على وحدة اصل هذه القبيلة العظمى ، ومن هؤلاء دولة المرابطين الذين جاؤوا ليوحدوا المغرب وينقذوا الحضارة الاسلامية فى الاندلس ويقوضوا حلف زناتة ، ويقضوا على مملكة غانة الزنجية المتوسعة والمستولية على اقتصاد افريقيا الجنوبية، وتعد اشهر قبائل مصمودة ، هي لمتونة وجدالة ومسرفة هو لمطة وترغة ، وسرته وجزولة ولمسونة .

وفى سيطرة قبيلة صنهاجة على اجزاء المغرب فى بداية الحكم الاسلامي وكانت تنقسم الى (صنهاجة شرقية) و (صنهاجة غربية) كما كان التنافس على اشده بينهما وكلاهما شعرا بدوره فى توحيد المغرب تحت شعار امبراطورية اسلامية مغربية حيث تم انصهار العنصر العربي والبربرى فى بوتقة المغربية الاسلامية ، وكلاهما تنافسا كاشد ما يكون التنافس على توحيد المغرب تحت امرته ، وقد شاهد العصر الادريسي هذا الصراع الذى تحت فيه الغلبة الصنهاجيين على يد عاملهم باديس الزيرى مؤسس مدينة (اشير) غير ان انقسام الزيريين عاجل دولتهم، ولذلك لم يكن لهم من المغرب الاقصى ، بينما كان عبد الله بن ياسين يكون فى تخوم الصحراء نواة الامبراطورية الجديدة ، واذا كان المؤرخون يذكرون عروبة ابن زيرى الذين كان فيهم الكتاب والشعراء

وبالاخص فى عهد (تميم بن المعز) احمد ملوكهم الشعراء ، فان عبد الله بن ياسين كان زعيما روحيا وسياسيا لدولة الملثمين وكانت نظريته الدينية دستورية دولة المرابطين الذين كانوا نموذجا للعمل المتواصل لسيادة المغرب المسلم وقد اعتمد عبد الله بن ياسين نظام الرباطات الذى اسس فى عهد هرثمة بن اعين سنة 181 .

ولم يكد المرابطون يمسكون زمام قيادة البلاد المغربية حتى سموا الى توحيد افريقيا الشمالية وفعلا وفقوا فى تنظيم البلاد واعضائها هدوا روحيا جديدا واستعانوا لتحقق اهدافهم التربوية بجماعة من العلماء الواردين عليهم من الاندلس والقيروان اذ ان اشتغال ملوك الطوائف بتوافه الامور وتلاعبهم بقيادة شؤون الامة ، فقد ثقة العلماء بهم وتوجهوا الى المغرب لتدعيم الدولة الفتية ؛ اعانهم على ذلك ثلة من علماء القيروان الذين اموا المغرب الاقصى بعد ان قضى بنو هلال على القيروان وهدموا معالمها وخربوا مملكة بنى زيرى الصنهاجية فهاجر العلماء الى المغرب الاقصى ناجين بانفسهم وحسبما ذكره النويرى فى نهاية الارب ، فان مدارس القيروان اقفرت بعد غزوات عرب بنى هلال ، وهكذا كان القرن الرابع نهاية مجد القيروان وبداية ازدهار الثقافة فى المغرب . ويقول المراكشى فى المعجب « انقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرة بنى العباس فى صدر دولتهم واجتمع له بدولته من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة » .

وقوض الموحدون دولة المرابطين حيث اتهموهم بالانحراف والجمود والتجسيم والانحلال والعجز عن تحرير الاندلس من تعسفات المسيحيين .. فجؤوا يحملون روحا ثائرة ضد الصوفية الفقهية والمالكية المذهبية التى اجج اوارها عبد الله بن ياسين ليدعموا مذهبا جديدا فيه تحررات حزمية وصوفية غزالية وثورة اصلاحية شاملة تاخذ من كل المذاهب الاسلامية المعروفة آنذاك ....

ووجدوا امامهم امبراطورية تمتد من حدود مصر الى حدود نيجيريا ، والى نهر (ايبرو) عند مصب الوادى الكبير بالاندلس تضم مواطنين ينعمون بازدهار اقتصادى لم يقض فيه مكوس وضرائب ترهق الشعب كما شهد بذلك المؤرخ (باشياخ ص 120 ج 1) فلما قرروا ان تصبح مراكش الموحدين فى سرعة حاضرة الفكر الموحدة حيث لمع فى بلاد المنصور اشهر الفلاسفة كابن رشد شارح ارسطو وابن الطفيل حتى اصبح المغرب حسب تعبير (اوجين كبرنى) معهد المعقول الفلسفى .

والموحدون مصامدة حيث يؤكد الباحثون ان لهم قبل الاسلام شفوف حضارى ، وكان منهم جوليان الغمارى الذى حكم جزءا من بلاد المغرب وكان مفكرا ومؤلفا ، وقد عاش المصامدة حياة السهول والجبال مما ساعد على ظهور حضارة بين قبائلهم ، ربما كانت اسمى من حضارة المرابطين القبلية .

كان من اثر انتشار الفلسفة فى عهد الموحدين ان طبعت حضارتهم بالماورائية والبحث عن حياة خلقية افضل واسمى ؛ وتحقيق مكانة العقل على الطريقة الرشيدية مما جعل الفقهاء ، يخشون من اندلاع افكارهم لعدم شيعيتها .

وظهر المرينيون الذين جاءوا بعد نهاية الموحدين ، وقد اتصلوا بالقبائل العربية الوافدة على المغرب كقبيلة بنى هلال وبنى سليم فاعتمدوا عليهم فى شؤونهم السياسية والعسكرية ويقول كوتى فى كتاب (ماضى افريقيا الشمالية ص 411) ان قبائل بنى مرين انصهرت فى القبائل العربية المختلفة واصبحت العربية لغتهم بل اصبحت اللغة الرسمية الوحيدة فى البلاد ، وظلت اللهجة البربرية فى القبائل النائية . . . ويؤكد طيراس فى كتابه (تاريخ المغرب ج . 2 ص 26) نفس الملاحظة وقد اهتم المرينيون بالثقافة والفن اهتماما بالغا ويشكل الفن المرينى مدرسة قائمة الذات تمتاز بهندسة معمارية دقيقة وهندسة فنية ، فالمدرسة بها اماكن للطلبة موزعة توزيعا هندسيا ، والفن يمتاز بدقة النحت والنقش والنخر والمعرصات والاعشاء بالساعات المائية وساعات الدقة ، كما يمتاز بترويق الحائط بالفسيفساء والزليج واستعمال الخشب ولحته وتصفيفه ـ وقد قل الاقتباس والتقليد للفن القديم واعتمد على المدارس الفنية (الاندلسية واختص النحت على الخشب والرخام بالتلوين والتذهيب ؛ واعانهم اتجاه العربى بجمال اتكاله وبساطتها على جمال النقش وبراطته كما اعتمدوا على (الكابرات) فى البناء لانها تريح الوتحها الجزء السفلى فى البناء وتحمل العلوى لبيلا يتكسر الحائط باعمدة .

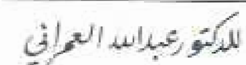
ثم عانى المغرب فى اعقاب العصر السعدى ازمة الطائفية والقبلية ، فظهرت مقاطعات منفصلة عن بعضها تخضع لحكم محلى (كالزواية الدلائية) التى اسسها ابو محمد الدلائي وخلفه ابن محمد بن ابي بكر ، وقد انقلبت من زاوية ذات نزعة دينية الى زاوية سياسية بدات نشاطها بحرب البرتغاليين فى الجديدة وازمور . وكمقاطعة (سوس) التى خضعت للسملاليين ، ومقاطعة الشمال تحت حكم الخضر غيلان ومقاطعة تابو عصامت فى الجنوب بتافلالت ومقاطعة علي بن رشيد من قبل فى الشاون الذى جعل من هذه المدينة مركزا لمواصلة الهجوم على المراكز البرتغالية والاسبانية فى السواحل المغربية ... وكمقاطعة بقايا السعديين بمراكش . ومقاطعة سجلماسة تحت حكم العلويين التى سرعان ما نجحت فى الشمال وبايعت المولى محمد اميرا عليها فى سنة 1050 هـ ثم جاء المولى الرشيد ليؤسس الدولة ، وبعده اخوه اسماعيل الذى ركز اسس الدولة فى الداخل والخارج ، فجرد القبائل من السلاح ووجهها لاصلاح الارض ، ثم شيد القلاع والحصون التى بلغت سبعين مركزا ، والف بين القبائل وفتح طنجة 1095 وكانت بيد الانجليز بعد تنازل البرتغاليين عنها ، والعرائش 1101 هـ واصيلا 1102 وتالمهدية 1109 وبقيت سبتة ومليلية بيد الاسبان ... واسس جيش الوداية ، وجيش البخارى ... وبموته دخلت البلاد فى اضطرابات متوالية من جراء تدخل الجيش فى السياسة الداخلية فى البلاد ...

وعندما توفى المولى اسماعيل خلفه المولى العباس احمد بن اسماعيل المعروف بالذهبي فقضى عهده فى مواجهة الجيش الذى حاول والده ان يجعل منه درعا لمواجهة الاحداث والفتن ولكنه لم يلبث ان اصبح كما وقع عهد العباسيين منتظما يثير الفتن وخلع الجيش المولى احمد وبايع المولى ابن مروان ثم عاد الى تتويج المولى ابى العباس من جديد الى ان جاء المولى عبد الله فبويع سنة (1141) وبقي فى الحكم يعانى ازمات التنظمات والفتن الى ان جاء ابو الحسن علي بن اسماعيل فبويع سنة 1147 ، ثم عاد المولى عبد الله من جديد الى السلطنة ، وبعد فتن دامية بويع محمد بن اسماعيل ثم فى غمرة الاحداث عاد ابوه من جديد ، واخيرا انتقل الملك المستضىء بن اسماعيل ، ثم عاد المولى عبد الله من جديد الى الحكم محاربا المولى المستضيء وفى سنة 1163 تسلم العرش المولى محمد بن عبد الله فنظم الاحوال والجنايات العامة ، ووظف على الموازين والابواب والمحمولات الفلاحية والمواد التجارية وطهر الجهاز الادارى من الانتهازيين ، كما نظم الجولات الاستطلاعية وكرس جهده لبناء اسطول قوي وعمل تجديد الدراسات واحياء العلوم .

الرباط — الحسن السائح







عادت الصحراء الغربية الى حظيرة الوطن الام (المملكة المغربية) ، وكان من الطبيعي بل من البديهي ان تعود، لان فى ذلك عودة المياه الى مجاريها، ورجوع الحق الى نصابه ، والفرع الى اصله والاصل الى فرعه، والرجوع الى الحق هو دائما خير من التمادي فى الباطل .

وربما كان من الطبيعي ايضا ادراج الحديث عن عودة الصحراء المغربية فى مقال عيد العودة المنشور فى العدد الرابع الماضي من مجلتنا الغراء (دعوة الحق) ؛ بيد ان حوائل حالت دون ذلك . منها ان لسان حال المجلة كان ينادي بالاسراع فى تحرير المقال وبعثه فى اقرب وقت ممكن ؛ وان ما جريات الاحوال كانت لما تتضح معالمها بعد ؛ وان المسيرة الخضراء نفسها لم تكن قد شقت طريقها عبر الحدود الوهمية المصطنعة .

اما وقد وضحت المعالم ، واتضح صبح الصحراء لكل ذي عينين ، وخرجت المسيرة الخضراء من منطلقها كما انطلق عفريت الف ليلة وليلة من قمقمه ، وعادت الى قواعدها سالمة ظافرة ، فما علينا الا ان نستبشر بالنتيجة الرائعة ، كما استبشرنا بالمخطط العبقري الذي رسم خطوطه ، ونسج خيوطه عقل الملك الماهر اللبيب ، وفكره المرن المصيب . وما النتيجة الرائعة غير وحدة التراب الوطني المغربي ؛ وما المخطط العبقري سوى المسيرة الخضراء التي شرق لمرها وغرب ، وكانت حدث عام 1975 ان لم تكن حدث القرن باكمله !

لكن ، كيف تمكن معالجة سيكلوجية المسيرة الخضراء ؟ من اين تبتدىء المعالجة والى اين تنتهي ؟ انه بقدر ما توحيه من مسهب القول ، وجليل الافكار ، بقدر ما تشل القلم ، وتعقد اللسان : ان المسيرة الخضراء تكاد تكون فى حد ذاتها معملا نفسانيا فخما ضخما ، كل اجزائها وتفاصيلها الدقيقة عنصر هام من العناصر النفسانية ذات الاثر الفعال فى حياة افراد الشعب المغربي كلهم ، وفي حياة الشعوب الشقيقة والصديقة ، وحتى في حياة شرذمة من المتمردين العصاة ، واولياء نعمتهم حكام الجزائر الموسومين بالخصومة واللدد ، الموصوفين بالضغن والحقد والكراهية ونكران الجميل ، مع التنكر للعهد ، وعدم الوفاء بالوعد .

هل يجعل الباحث نصب عينيه المرحلة الاعدادية للمسيرة الخضراء ، وما تبدى فى اعدادها من عبقرية وروية وتنظيم بديع ؟ ام هل يوجه الباحث اهتمامه الى المرحلة التنفيذية لتلكم المسيرة ؟ ام هل يركز على مفعولها ونتيجتها الحتمية الظافرة ؟

ان بحث ذلك كله خليق ان يودع بطن كتاب ، لا بطون صحائف معدودة فى مجلة سيارة ، ولكنني

وقد عزمت على الكتابة فى المجلة استجابة لطلب كريم لم يسعني غير تلبيته ، اجدني فى هذا المجال ؛ استبدل بالجليل الذي لا يدرك ، القليل الذي لا ينبغي ان يترك ، فاعالج الموضوع من جوانب ثلاثة رئيسة ، مبرزا العناصر النفسية الهامة للمسيرة ؛ عنصر الفكرة — عنصر الوجدان — عنصر العزيمة .

اولا — المسيرة الخضراء من حيث الفكرة:

برزت المسيرة الخضراء الى حيز الوجود مولودا كامل الخلقة غير خديج ، وفكرة عارمة مذهلة ، ومقترحا خارقا للعادة ، صدرت من لسان عاهل البلاد جلالة الحسن الثاني فى خطابه التاريخي الذي وجهه الى شعبه من عاصمة الجنوب (مراكش الحمراء) مساء يوم الخميس العاشر من شهر شوال لعام 1395 الموافق للسادس عشر من شهر اكتوبر لسنة 1975 .

ما زال افراد الشعب يتذكرون تلك السويعات التي سبقت القاء الخطاب التاريخي ، لقد كانوا كلهم آذانا مصيغة ، وقلوبا صاغية ، واعناقا مشرئبة ، وحماسة ملتهبة ، وحواس متأهبة ، تنتظر — وقد اثارها اكثر من مثير او حافز — ما سيصدره لها مخ البلاد ، ودماغها المفكر ، ومركز قيادتها العليا ، لكي تنطلق كالسهم ، بل كالصاروخ فى سبيل تحقيق الهدف الاسمى الذي باتت الامة جمعاء تنتظره بفارغ الصبر ، وعلى احر من الجمر .

كانت الصحراء دائما عضوا ، بل حاسة من حواس جسم المملكة المغربية ، شاء الاستعمار ان يخزها بابرته المخدرة فيؤلمها مدة من الزمن . وكان منتظرا عند احراز المغرب على استقلاله ، ان تنتهي فترة الوخز والايلام والخدر او النمل ، فيرجع للعضو كامل احساسه ، ويعود لينتظم مع جسمه كي يؤدي وظيفته المعتادة على خير وجه . ولكن هذا — للاسف — لم يحصل ، فبقي المغرب — ملكا وحكومة وشعبا — يطالب سلميا برفع الالم ودفع الضيم ؛ وتحاكم الى هيئات دولية وفى مقدمتها هيئة الامم المتحدة . ثم رفع القضية — وكان فى هذا « تكتيك » ديبلوماسي لبق — الى محكمة العدل الدولية بلاهاى .

وقبل ان تصدر المحكمة رايها الاستشاري وفتواها القانونية ، خاطب جلالة الملك شعبه فى ذكرى العشرين من غشت فكان مما قاله :

« وحينما يدين الحين شعبي العزيز ، ويدق الوقت ، يجب على كل واحد فينا ان يهيىء حقيبته ، ويبرىء ذمته ، ويركب مطيته ، لكي يذهب الى الساحة . فى ذلك الوقت سوف اخاطبك لا ببذلتي هذه ، ولكن بالبذلة العسكرية ، حتى اكون على رأس كل من اراد ان يجاهد ويستشهد فى سبيل أرضه ووطنه » .

وصدرت فتوى المحكمة مؤيدة وجهة نظر المغرب فى ان الصحراء قبل استعمارها كانت عامرة لا غامرة ، وان روابط قانونية ، ووشائج بيعة شرعية كانت تربط سكان الصحراء بعاهل المغرب وبعدها قررت اسبانيا التخلي عن الصحراء متعللة — ولها كامل الحق — بان حبات الرمال الصحراوية مهما ادخرته من نعم ، واحتوته من كنوز ، لن تساوي قطرة واحدة من دم ابنائها الزكي !

ووقع الاعلان عن توجيه العاهل الكريم خطابا آخر لشعبه ؛ فانتظر الشعب الخطاب وكله تساؤل : ترى ، ماذا سيقول جلالته ؛ وهل سيظهر على شاشة التلفزة ببذلته المدنية العادية ؟ ام هل سيبدو متحليا بلباسه العسكري ، علامة خضراء للانطلاق نحو التضحية والفداء والاستشهاد فى سبيل الله والوطن؟

حان اوان الخطاب الملكي واغلبية الشعب رابضة امام شاشات التلفزة فى المراكز الرسمية بمختلف اقاليم المملكة ، وفى الاماكن العامة والمنازل الخاصة . وظهر جلالته بلباسه المدني العادي . وتنفس المشاهدون الصعداء ، وتفاءلوا خيرا . وانطلق جلالة الملك بعقلية القانوني الخبير ، وحنكة القائد الماهر ، وكياسة السياسي الحاذق ، يرتجل خطابه محللا معللا فتوى المحكمة الدولية للعدل كأحسن ما يكون التحليل والتعليل . ثم عقب قائلا :

« اذن امام هذا : ما ذا بقي علينا ان نعمل شعبي العزيز ؟ بقي لنا ان نتوجه الى ارضنا ؛ الصحراء فتحت لنا ابوابها قانونيا ، واعترف لنا العالم بأسره بان الصحراء كانت لنا منذ قديم الزمن » .

وبعد ان تطرق الخطاب الملكي الى الالتزامات التي تفرضها فتوى اكبر هيئة قانونية فى العالم ، صرح بانه لم يبق امامنا الا شيء واحد هو :

« أن نقوم بمسيرة خضراء من شمال المغرب الى جنوبه ، ومن شرق المغرب الى غربه . علينا



ان تبتدر غاية يوما لمكرمة * تلق السوابق منا والمصلينا

ـ شعبي العزيز ـ ان تقوم كرجل واحد ، بنظام وانتظام ، لتلتحق بالصحراء ، لتحيي الرحم مع اخواننا في الصحراء . وكيف ستكون هذه المسيرة ؟ سيشارك في المسيرة خمسون الفا وثلاثمائة الف من السكان عشرهم من النساء »

تلك كانت قنبلة الموسم ؛ بل كانت حادثة السنة! بل كانت مسيرة القرن التي عز ان يوجد لها نظير في العالم ! قاد الزعيم الهندي غاندي مسيرات ، وقاد زعماء الهنود الحمر ـ سكان امريكا الشمالية الاصليين ـ مسيرات ، ولكنها جميعها كانت محدودة من حيث عدد المشاركين فيها ، من حيث المدة المخصصة لها ، من حيث المسافة التي قطعتها ، اذ لم تعد ان تكون بنت ساعات معدودة ، ومسافات محدودة .

اما ان يشارك في المسيرة شعب بكامله ، وان يسير فيها الى جانبه وفود اخرى عديدة اسهمت بها شعوب اخرى محبة للسلام شقيقة وصديقة ... اما ان تدوم المسيرة زهاء ثلاثة اسابيع ... اما ان توفر لهؤلاء الآلاف المؤلفة من البشر مؤنهم وكل حاجياتهم من ماكل ومشرب وماوى ، ووسائل نقل وامن ونظام وعلاج طبي ... فذلك ما لم ير مثله ، ولم يسمع بنظيره ، ولم يخطر على قلب بشر من قبل .

كيف تم التخطيط لهذه المسيرة الفذة ؟ ومن قام بتنفيذها ؟ يجيب جلالة الملك عن هذين السؤالين في خطابه التاريخي فيقول :

« هذه مسيرة عملية ظللت اهيئها منذ شهرين شعبي العزيز . منذ شهرين وانا احمل هذا الحمل على اعصابي زيادة على الاعباء الاخرى . منذ شهرين وانا اومن عشر مرات في الصباح ، وفي الليل اشك عشرين مرة . شهرين وانا اقول : هل من حقي ان ادفع شعبي او من غير حقي ؟ هل من واجبي او من غير واجبي ؟

« من واجبي ، ومن واجبك ، ومن واجبنا جميعا ان نسير الى الصحراء . ومن واجبنا ان نسترجع الصحراء سلميا ، ولكن ليس باللسان او بالمفاوضات، بل بالمشي على الاقدام حتى تصل اليها » .

هذه هي فكرة المسيرة الخضراء ، وذاك هو مشروعها ، ظل يعتمل في صدر ملك البلاد ، ويختمر في ذهنه طوال تلك الفترة من الزمان ؛ حتى اذا اشرفت المدة على الانتهاء ؛ اطل المشروع على الوجود خلقا سويا كامل الاعداد والعدة . الامر الذي بهر الاصدقاء ، وبهت الاعداء وكبتهم ، واذهل بقية العالم !

ثانيا ـ المسيرة الخضراء من حيث الوجدان:

منذ احرز المغرب على استقلاله ، وهو يلح في المطالبة بالسيادة على كامل ترابه الوطني . منذ ذلكم التاريخ وانضمام الصحراء المغربية ـ وسائر الجيوب المحتلة ـ يمثل حلما متالقا ملحاحا يداعب خيال المغاربة وحياتهم ووجدانهم ، ويستحوذ على عواطفهم فيصبح حديث مجالسهم المفضل في كل مجتمع وناد. حتى اذا احتل الامل من قلوبهم شغافها ، ومن مشاعرهم بؤرتها ، ولفت انظارهم الى اقصى حد مستطاع ، وجذب انتباههم الى حد الاستغراق ، حفزهم ذلك كله الى العمل والنضال المسالم ، فان لم يجد جدواه ، عمدوا الى الكفاح المسلح المستميت، فاوقدوها نارا (ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر) . وبمعونة الله ، وبفضل جهادهم المشروع ، تستحيل الآمال والاحلام حقائق ثابتة ملموسة .

وسيرا على خطهم المرسوم على درب الوصول، وتحقيقا لهدفهم المنشود المامول الذي لا يبغي بغير استكمال الوحدة ، واسترداد الصحراء بديلا ، هرعوا الى التطوع في المسيرة الخضراء وكلهم امل ان يقع عليهم الاختيار ، فلا يحال بين احدهم وبين الاستشهاد في ميدان من اشرف ميادين التضحية والفداء والجهاد .

ان من ياخذ البندقية بيده ، ويذهب مدافعا عن العقيدة والوطن ، جاعلا نصب عينيه نيل احدى الحسنيين : النصرة او الشهادة (قل : هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ؟) ليس افضل عند الله ـ جل جلاله ! ـ وليس أدنى درجة في سلم الثواب والاجر ، من ذلك الذي اقتحم ميدان المسيرة الخضراء اعزل من كل سلاح الا ايمانه القوي ، المعتلج في صدره ، المعزز بالمصحف الكريم تحمله يسراه ، ويحتضنه الى قلبه ، ويرتله لسانه ، والمزود برايته الوطنية ترفعها يمناه ، وتخفق في الهواء رامزة لمعاني السمو والمجد والعظمة .



المرأة المغربية بجانب شقيقها الرجل تخوض معركة التحرير استجابة لنداء الوطن

اي نعم ، لقد ذهب المتطوعون ، وساروا في المسيرة وهم لا ينوون القتل او الاقتتال ، بقــدر ما كانوا عازمين على الفداء او الاستشهاد . فاذا نالـوا النصرة قبل اللقاء ، وفاتتهم الشهادة الى حيــن ، (فانما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى) .

ذلكم هو منطق المسيرة الخضراء ، وذلكم كان منطلقها . السلم هدفها ، والايمان سلاحها ، واللون الاخضر شعارها — والخضرة هي دوما عنوان الامل، وعربون التفاؤل ولباس اهل الجنة — لقد كان لذلكم الهدف الاسمى ، والايمان الوثيق ، والشعار البراق، اثر السحر على النفوس ، فاغرى المواطنين المغاربة ، واخوانهم العرب والافارقة بالاستجابة للنداء الملكي، ولرغبة المسيرة الخضراء الجامحة .

ان الظاهرة التي تلفت نظر المؤرخ ، والباحث الاجتماعي ، وينبغي ان تسجل بمداد الفخر والاعتزاز، وتكتب بماء الذهب فوق صفحات التاريخ الحديث ، هي الاستجابة الدولية التلقائية المحببة . لقد أعلنت حكومات وهيئات عربية وافريقية شقيقة وصديقة ، رغبتها في مشاركة ابنائها وممثليها السير في المسيرة الخضراء المسالمة ، ليطأوا باقدامهم رمالا صحراوية صفراء ، استحالت في عقول القوم واحلامهم وآمالهم الى حبات اؤلؤ مكنون او قراضة ذهب أصفر ثمين !

لم تشغل المسيرة الخضراء وجدان المشاركين فيها ، او مدبريها فحسب ، بل استحوذت مشاهدها على مشاعر كل من رآها راي العين ، وهي تغلــي في عربات السكك الحديدية غليان النحل في خلايــاه ، وتتحرك في ارتــال وقوافل من الشاحنات تترقرق لمرآها الدموع في مآقيها ، وترتجف لرحيلها الاف القلوب في حجبها واقفاصها ؛ وكأنها لم تكتف بالمشاركة الوجدانية ، بل تريد — لولا الحجب الحاجـزة — ان تقفز الى الشاحنات ، وتسير مع المتطوعين أينمـا ساروا ! ثم ها هي ذي الايادي تنبعـث من نوافـذ السيارات وسطوح الشاحنات ، وتمتد من نوافـذ المنازل وشرفاتها وسطوحها ، وعلى طول الشـوارع والطرقات لتحيي المسيرة ، ولتلوح بمناديل تبـدو خفاقة في اجواء الفضاء ، وكأنها قلوب تنبض بالحياة، وتنفعل بانفعال أربابها !؛

ثالثا — المسيرة الخضراء من حيث العزيمة:

والعزيمة الارادة : ارادة الملك والشعب قاطبة، معززة بارادة الله سبحانه ! استكملـت المسيـرة الخضراء كل مقوماتها المادية والمعنوية ، فلم يبق امامها الا ان تنطلق على بركة الله ، وان تسير باسم الله مجراها ومرساها !

كم كان رائعا ان يتوافد على هذا البلد الامين المضياف الخلاق الذي يمثل اقصى الجناح الغربي لعالم العروبة ، ويجثم في قاعدة « عنقـود عنـب » القارة الافريقية ، وفود متآخية مشاركـة ، جاءت بخيرة ابناء العروبة وافريقية ، لتضحي بوقتها وجهدها وراحتها للتضامن مع اخوانهم وتأييدهم في حقهم المشروع ، وبقصد السير على الاقدام عبر تلكم الرمال الصحراوية ، التي لم تعد تمثل مجرد الصعيد الجرز كما كانت من قبل ، وكما هي في واقع الامر ، بـل استحالت في نظر المتطوعين البعيـد ، وخيالهم الخصب ، وآمالهم الجمة العارمة ، واحلامهم اللذيذة، الى زرابي مبثوثة مزركشة ، والى ثياب خضر مـن سندس واستبرق !

ما اروعك يا صحراء ! لقد اصبحت بقدرة قادر ، وبين عشية وضحاها ، محورا تدور حوله اهتمامات العالم ، وتحوم حوله الحياة النفسية النشيطة للبشر كلهم ! لقد منحتك وسائل الاعلام العالمية — المكتوبة او المقروءة او المسموعة او المشاهدة — من نفسهـا مكان الصدارة ، فاصبحت حديث الدنيا : شرقهـا وغربها ، شمالها وجنوبها !

ما احسن منظرك يا صحراء وانت تحتضنيـن مجموع هذه الخلائق ، تخترق حدودك المصطنعـة الوهمية ، وتزيلها من عالم الوجود ، متقدمة لا تلوي على شيء ، حاملة اعلامها الوطنية في ايد ، ومصاحفها القرآنية في ايد ، لاهجة السنها بذكر الله (الا بذكر الله تطمئن القلوب !) ، شاخصة ابصارهـا صـوب الجنوب ، متجهة عيونها تجاه « العيون » ، واطئـة اقدامها رمال الصحراء وكانها تطأ — من فرط الاشفاق — حبات قلوب لا حبات رمال ، مغترفة تلك الرمال بايديها لتقبلها وكأنها — من فرط الحنان والشوق — تستقبل اغلى امانيها ، وتقبل اعز عزيز لديها !؛

ما ابدع منظرك الاخاذ المثير للعواطف يا صحراء! منظر الآلاف المؤلفة من الخلائق المؤمنـة المتقيـة المطيعة وهي تسجد شكرا لله تعالـى ، وتؤدي على بساطك على هذه الصورة الجماعية ، ولاول مـرة في حياتك ، فريضة الجمعة (ثالث ذي القعدة 1395 /



عزم واصرار لتحرير الصحراء في مسيرة الفتح والعبور

سابع نوفمبر 1975) فيدوي صداها في أرجاء الكون، ويشاهدها النظارة في قارات الدنيا !!

ما اروعك يا مسيرة ! وما أهنأ بالــك ! لقــد ضممت بين جوانك في حنان عظيم رئيس الوزراء ، والوزير السابق ، والنائب المحترم ، والسفير اللبق، والاديب المفكر ، والصحافي القدير ، والعالم النحرير، والشاب الغرير رجل الغد المنتظر ، والعجوز الهرم، والفتاة الغيور ، وربات البيوت المحجلات ؛ اجمــع رايهم – وكلهم قلب واحد وعزيمة واحدة صارمــة – ان ينضووا تحت لوائك ، ويسيروا في حماك ، ويبدلوا وحشة الفلاة انسا ، ويضفوا عليهـــا جمالا وجـــلالا يتجليان في روح الاجماع وروح الاخوة الذي ســـاد الجميع ، واسهم في اظهاره الجميع ؛ الامر الذي يدفع الى التفكير والقول بان الانسان وهو مصمم العزم ، واضح الهدف ، موحد الراي سليم الطوية ، قادر ان يصنع الاعاجيب من اجل خير الانسانية ، وفي سبيل الرقي الحضاري ، والتقدم البشري ، وبناء العالــم بناء جديدا سليما !!

شاء مناوئوك – يا مسيرة – أن يقللوا من قيمتك، وان يهرفوا باخطار وهمية تتربص بك الدوائر – في زعمهم – فقالوا : ان الجوع يفتك بمتطوعيك ، فالمواد الغذائية رديئة او غير كافية ؛ وقالوا : ان الماء الصالح للشرب نادر او معدوم ؛ وقالوا : ان المرض يفتــك ببنيك . وكان هذه النقائص والعيوب الموهومة ، لم تكفهم أو لم تجدهم نفعا ، فعمدوا الى الطبيعة ، والى الجغرافيا الطبيعية بالذات ، فأوعــزوا بأن ريــاح « السيروكو » – ريح السموم الصحراوية – ستهب في وجه المسيرة فتعوقها عن السير ، وقد تدفــن بعض أفرادها تحت الرمال !!

بل ان ابواق الدعاية المعادية المغرضة المفترية صارت توحي بأن المسيرة الخضراء ستنقلـــب وبالا على اصحابها ، وأن انطلاقها كان سهلا ميسورا ، امــا كبح جماحها ، وايقافها عند حدها ، وردها الى عقالها، فسيكون رابع المستحيلات !!

وما درى هؤلاء المخادعـــون – او انهـــم دروا وتجاهلوا – أن التخطيط المحكم حسب لكل شـــاذة وفاذة حسابها ، فلم يكن لينتقص السائرين اية مئونة مادية ، او اية روح معنوية ، بحيث تثني عزمتهم مثل هذه الخزعبلات !

والذي دراه هؤلاء الخبثاء – بكل تأكيد – هـــو ضياع املهم الكاذب واجهاضه ، وخيبة ظنهـــم في فشل المسيرة الخضراء التي حققـــت – باذن الله وفضله – كل ما كانت ترمي الى تحقيقه ، فعاد ابناؤها الى قواعدهم سالمين وبكل نظام وانتظام .

أما الصلات والوشائج التي تربط بين العرش ، والشعب ، فمتينة لا تنفصم عراها ابدا الآبدين ؛ ولا يمكن أن يصيبها رذاذ الزعازع والاكاذيب .

الا ، فليطمئن هؤلاء المنافقـــون ، المســـرون حسوا في ارتفاء ان الاهل والبلاد والنظام بخير ولله الحمد والشكر ؛ وان المغرب عرف طريقه منذ زمن سحيق ، وما زال يشقه بكامل العزم ، ويسير فيـه مظفرا منتصرا ابدا ، تعلو هامته اكاليل الغـــار على توالي العصور والدهور .

تطوان : د. ع. العمراني



للأستاذ سعيد أعراب

اوحى الي شعــار (القــرآن سلاحنا) ، الذى اختــاره للمسيرة الخضراء ، — محــرر الصحــراء ، جلالة (الحسن الثانى) — ادام الله له النصر والتمكين — بموضوع : (المدرســة القرآنيــة) — الذى سأتحدث عنه فى هذه السطور .

دخل القرآن الكريم الــى المغرب ، بدخــول الإسلام ، وكان اول فاتح للمغرب الاقصــى سنة (62 هـ) — عقبة بن نافع الفهرى ، التابعى الجليل ؛ وتاخمت دعوته الى ما وراء جبال درن مــن ارباض الصحراء ، (1) حيث بنى هناك مسجدا (2) يذكــر فيه اسم الله ؛ ويسبح له فيه بالغدو والآصال .

ولما اراد العودة الى المشرق — عــن طريــق القيروان ، عين جماعة من اصحابه يعلمــون الناس القرآن ، وشرائع الاسلام ، وجعل على رأسهم شاكــر بن عبد الله الازدى ، صاحب الرباط (3) المشهور ، — على بعد (85 كلم) من مراكش .

وبعد النكبــة التى اصابت الاسلام بموت عقبة ؛ جاء موسى بن نصير ، فاحيا جذوة الايمــان فــى القلوب ، وشاع الاسلام فى كل بقعة من بقاع المغرب العربى ، واختار من جنده بضعة عشر رجلا مــن الفقهاء القراء ، وندبهم الى سائر الجهات ، يعلمون الناس كتاب الله ، ويفقهونهم فى دينهم ؛ ولم تمض غير فترة قصيرة ، حتى رسخت العقيــدة فــى النفوس ، ورفرفت راية القرآن فى ربوع افريقيــة ؛ وبنيت المساجد ، وانتشرت الكتاتيب القرآنيــة ، التى كانت الحصن الحصين لكتاب الله ؛ وهكذا ظهر فقهاء مقرئون ، وايمة كان لهم شفوف فى الدراسات القرآنية ، وتأسست مدارس كانت منار اشعاع لعلوم القرآن .

لكن جانبا مهما من المغرب — واعنــى بــه الصحراء — ظل بمنأى عــن كــل نشاط فكرى ؛

(1) — ابن خلدون 6\217 ، الاستقصا 1/82 83 .
(2) — البيان المغرب 1\27 ، بهجــة النفــوس ص 26 —
(3) — البيان المغرب 1\27 .

او توجيه ديني ، ما عدا طقوسا باهتة ، وتقاليــد بالية ، ابعد ما تكون عن تعاليم الدين الصحيح ؛ — الى ان قيض الله ابنا من ابنائها ، ومرشدا هاديا من خيرة رجالاتها ؛ ذلك هو ابو محمد عبد الله بن ياسين ، التامالارتي الجزولي ، (ت (4) 451 هـ) ؛ فاسس اول مدرسة قرآنية بتخوم الصحراء علـى حوض السنغال ؛ اقتلعت جذور الجهل ، ورواسب التقاليد والعادات ؛ وقد غرس في نفوس تلاميـذه العقيدة الصحيحة ، وعلمهم اخلاق القرآن ، وآداب الاسـلام ، ومعرفة الحلال والحرام ؛ ودربهم علـى الخشونة وشظف العيش ، والجد في العمل ، والثبات على المبدأ ، والصرامة في الحق ، وحب الموت في سبيل الله — .

هذه المدرسة التي اخرجت لنا امثال ابـي بكر اللمتوني ، الذي زهد في الملك ، ورفع رايـــة الجهاد في بلاد السودان بنشر الاسلام ، الى ان سقط في ساحة الشرف ويوسف بن تاشفين الذي وحـد المغرب ، ودعا الى الانضواء في الجامعة الاسلامية ، وانتشل الاندلس من براثين الصليبيين ؛ وقدر لهـا أن تعيش اربعة قرون او تزيد .

وهناك مدرسة وجاج بن زلو اللمطي ، (ت نحو 445 هـ) ، وربما كانت النواة الاولى للدراسة القرآنية في الجنوب المغربي ، ومنها تخرج عبد الله بـن ياسيـــن .

ولم تظهر المدرسة القرآنية بالمغرب — فـي صورتها الكاملة ، وبمميزاتها الشخصية — الا فـي العصر المريني .

ومن ابرز هذه المدارس :

— مدرسة ابن (5) بري — بتازة

— ومدرسة (6) الخراز — بفاس .

وفي العصر السعدي ، نشطت الدراسات القرآنية — سواء في ذلك الحواضر والبوادي ، وطغت علـى كل الدراسـات ؛ حتى انك لا تكاد تجد عالما لم يحسن علم القراءات ، وامسى لقب الاستاذ ، لا يطلق الا على العالم المقرىء .

ومن اشهر مدارس هذا العصر : مدرسة ابن غازي المكناسي (ت 919 (7) هـ) ، التي سيطرت على الدراسات القرآنية بالمغرب — مدى قرن ونصف .

اما العصر العلوي ، فان اكثر الذيـن يمثلون الطليعة من قراء هذا العهد ، هم من خريجي مدرسة ابي زيد بن القاضي (ت 1082 (8) هـ ، الذي اثرى المكتبة المغربية بمؤلفاته القرآنية .

ثم جاء بعده ابو العلاء المنجرة (ت 1137 (9) هـ)، وهو صاحب مدرسة جمعت بين مزايا المدرســة المغربية ، ومحاسن المدرسة الشرقية — .

ولم يكد ينتهي القرن الثاني عشر للهجرة ، حتى بدا ظل الدراسات القرآنية يتقلص فـي الحواضر ، مما جعل شيخ القراء ابن عبد السلام الفاسـي (ت (10) 1214 هـ) ، يشد الرحال الى جبال غمارة ، وقبائل سوس . بينما انتشرت القراآت في البادية على نطاق اوسع ، وتعددت مدارسها ، وقلما تجد قبيلة ليس بها مدرسة او اكثر (11) .

وساحاول في هذه العجالة ، ان اسلط بعض اضواء على المدرسة القرآنية بالصحراء المغربية ، — واعني بذلك قبائل جزولة — مما وراء درعة ، وآيت باعمران ، وتيندوف ، والساقية الحمراء .

فمن مشاهير قراء جزولة :

---

(5) — انظر بحث (المكتبة القرآنية بالمغرب) — لكاتب هذه السطور — بصحيفة (الميثاق) س 7 ، اعداد 119 ، 120 ، 61 .

(6) — الميثاق س 7 ، اعداد 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 .

(7) — الميثاق س 8 ، اعـداد : 131 ، 132 ، 133 .

(8) — الميثاق س 9 ، اعـداد : 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 .

(9) — الميثاق س 9 ، اعـداد : 151 ، 152 ، 153 .

(10) الميثاق س 9 ، اعـداد : 156 ، 157 ، 158 .

(11) — الميثاق س 9 ، اعداد : 159 ، 160 .

1 ـ ابو عمران موسى بن يبورك بن الحسن الاسكارى الهشتوكى ، تعلم ببلده ، فحفظ القرآن ، وجوده ، ثم رحل الى فاس لاخذ العلم ، والتبحر في على القراآت ، فاخذ عن جمعة من الشيوخ ، وفى مقدمتهم الامام المقرىء ابو زيد بن القاضي ، ختم عليه القرآن ختمتين ، جمع فيهما بين قراآت الائمة السبعة المشهورين ، ـ وقد ادرج فى قراءته الادغام الكبير لابى عمرو بن العلاء ؛ وكل ذلك بطريق (التيسير) لابى عمرو الداني ، وبملخصه (حرز الاماني) للشاطبى ، وقرأ عليه رسالة ابن ابي زيد القيرواني في الفقه ، ومقدمة ابن آجروم فى العربية ؛ واجازه اجازة عامة بتاريخ (1049 (12) ه) .

كان ابو عمران من اهل التجويد للقراآت ، ضابطا لاحكامها ، حافظا للروايات ومتونها ، يستظهر (التيسير) ، و (الشاطبية) ، (والدرر اللوامع) لابن برى ، و (مورد الظمآن) للخراز وسواها من دواوين هذا الفن . (ت 1108 (13) ه) . وله مؤلفات فى علم القراآت .

وابو عمران هذا ، هو اول من ادخل وقف الامام الهبطى (ت 930 (14) ه) ـ الى قبائل جزولة وعلى يديه انتشر فى تلك الجهات ؛ وقد حاول الشيخ الصوابي الذى سنتحدث عنه بعد ـ ان يقف فى وجه انتشاره ، وكتب فى ذلك رسائل الى القبائل ينهاهم من ذلك ، ـ مدعيا انه يخالف الترتيل المطلوب ، وايده فى نفس الاتجاه ابو العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي ، وهما ـ بلا شك ـ متأثرون بالمدرسة الناصرية بدرعة ، التى حافظت على الوقف السني (15) ؛ ولكن مذهب الهبطى قد استطاع ان يشق طريقه ، ويكتسب انصارا ومؤيدين فى الحواضر والبوادى ، وقد الف بعض شيوخ هشتوكة كتابا اسماه (هز السيف ، على من انكر الوقف) . وهذه التسمية تشعرنا بمعركة حامية بين انصار المذهبين .

ولعل اول من انتقد وقف الهبطى ـ ابو عبد الله محمد المهدى (16) الفاسى ، الذى الف كتاب (الدرة الغراء ، فى وقف القراء) ، وناقشه فيه الحساب ، وهو معاصر لابى عمران مترجمنا . وكتب فى الموضوع السلطان المولى سليمان ـ رسائل ، ينتقد فيها وقف الهبطى ، ووافقه على ذلك كثير من العلماء . (17) ولابن عبد السلام الفاسى مؤلف شرح فيه وقف الهبطى ، وبين مستنده فى (18) ذلك .

وامام الحاح كثير من القراء ، وتساؤلهم : اية المدرستين حق : مدرسة الهبطى التى تلمذ لها لقرون ، اما مدرسة (تامكروت) التى تمسكت بالوقف السني ، ولم تحد عنه قيد انملة ... امام هذه التسـؤلات الملحة ـ كتب الشيخ الامام ابو عبد الله المستاوى ، (ت 1136) ـ جوابا مسهبا فى الموضوع ، حاول فيه ان يوفق بين المذهبين ، ويستدل لكلتا المدرستين ، وانتهى الى القول بان لكل وجهة هو موليها (19) .

2 ـ ابو العباس احمد بن عبد الله الصوابي ، نسبة الى آيت صواب ، من قبائل جزولة ، ولد سنة (1095 ه) ، وبدأ تعليمه على شيوخ بلده ، ثم رحل الى زاوية (تامكروت) بدرعة ، ـ وبها من شيوخ العلم ورجال الفضل ـ من قد لا يوجد بغيرها من حواضر المغرب ؛ وهناك اتم دراسته ؛ ومما اظنه درس بمراكش او فاس .

---

12) انظر نص هذه الاجازة باسانيدها فى المعسول 8\126 ـ 127 .
13) انظر ترجمته فى المعسول 8\126 ، وخلال جزولة 4\36 .
14) انظر بحث (الامام الهبطى واضع وقف القرآن بالمغرب) ـ لكاتب هذه السطور ، المنشورة بمجلة دعوة الحق س 11 ع 4 ، ص 91 .
15) انظر الميثاق س 8 ع 139 .
16) انظر الميثاق س 8 ع 138 .
17) انظر بحث الاستاذ العابد الفاسى ، دعوة الحق س 11 ع ، 5 ، ص 36 .
18) انظر الميثاق س 8 ، ع 140 .
19) الميثاق س 8 ، ع 139 .



مشاركة عملية من أبناء المملكة العربية السعودية فى المسيرة الخضراء ...

تأثر الصوابي بمذهب شيخه أبـــي العباس الناصري ، وطريقته في السلوك والجد في العمل ، والنصح للعباد .

وابو العباس الصوابي — وان لم يكن مقرئـا كبيرا — فهو صاحب مدرسة رفعت راية التجويــد ردحا من الزمن ، قضى جل حياته في تعليم كتاب الله ،، ومحاربة القراءة المنحرفة ؛ وقد اعلنها حربا شعواء على وقف الهبطي ، وكتب في ذلك رسائــل — كما اسلفنا . ومما كتبـــه الى بعض المتشككين في اعجاز القرآن : .. ان سبب عدم ادراكــه لاعجازه (القرآن) ، كونه يجهل ما تبنى عليه البلاغة ، التـي هي منبع الاعجاز ؛ وذكر ان الاعجاز من القرآن مجمع عليه من اهل السنة وغيرهـــم ... وان اعجـــازه باسلوبه ، وفصاحته وجزالته ... (20)) والصوابي من العلماء المتبحرين في كثير من العلوم ؛ درس علوم العربية والبلاغة ، والتفسير ، وعلوم الحديث ؛ وكانت له مجالس للوعظ بين العشائين ، يحضرها كبـــار الطلبة ، وشيوخ العلم ، وحتى النساء وراء حجاب ؛ ولم يتخلف عن درسه ومجالس وعظه ، حتـى فـــي ايام مرضه الذي توفي منه — كان يخرج بين الرجلين لدرس البخاري ، ويغمى عليه احيانا فـي المجلس ؛ الى ان توفي — رحمة الله عليه سنة (1149 (21) هـ) .

تخرج على يديه كثيرون ، منهـــم الحضيكي صاحب « الطبقات » المشهور ، وابـو عبـــد الله المرزوكي صهره ، وآخرون .

ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس بالمدرسة — الى جانب الصوابي — العالم المصلح ، ابو العباس احمد الورزازي دفين تطوان (ت 1179 (22) هـ) .

وخلفت رقية الصوابي — والدها في تسيير شئون المدرسة ، يساعدها في ذلك زوجهـا ابـــو عبد الله المرزكوني (ت 1180 هـ) — وهو ممن تخرج على الصوابي — الى ان توفت سنة (1185 هـ (23)) ورقية هذه انتفعت بدروس والدها كثيرا ، وكانت من الفضل والصلاح بمكان ، وقبيل وفاتها سلمت مقاليد المدرسة الى ابي عبد الله محمد التاكستي (ت (24) هـ) — وهو من الشيوخ الكبار ، سار علـــى نهـج الصوابي في الدعوة الى الله ، ومحاربـــة الجهـل والضلال ، وهو الذي اثار حمية الناس ، ودفعهم الى محاربة الرجال (ابي احلاس) ، التائر بـ (آيـت باعمران) ، فطاردوه — بعد ان امر امـره — حتـــى لقي حتفه ، ومات شر موتة (25) .

وعندما زار السلطان المولى سليمان قبائـــل الصحراء ، عرج على رباط ماسة ، وشكر التاسكاتي على موقفه النبيل ، ودفاعه عن وحدة البـلاد (26) ؛ وليس ببعيد أن يكون انعم عليه ، واصـــدر ظهيرا بتوقيره واحتـــرامــه .

وجاء بعد التاسكاتي — تلميذه ابو العباس احمد بن محمد المرزكوني سبط الشيخ الصوابي (ت 1216 هـ) — وكان عالما كبيرا (27) . ثم ابنه ابو عبد الله محمد بن احمد المرزكوني (ت 1280 (28)) . وقد كان من العلماء البارزين ، والشيوخ المعتبرين ، ادرك شانا عظيما في زمنه ؛ وهو الذي زاد فـي المدرسة زيادات مهمة ، وادخل عليها اصلاحات جذرية ؛ اتصل بالسلطان المولى عبد الرحمان ، فانعم عليه ، واصدر ظهيرا بتجديد التوقير والاحترام لآل المركزوني ، مؤرخا بـ 23 محطرم (1260 (29) هـ) ، ثم صارت بعده في ايدي اولاده واحفاده (30) .

---

(20) خلال جزولة 4\14 .
(21) خلال جزولة 4\34
(22) خلال جزولة 4\43 .
(23) خلال جزولة 42/4 .
(24) خلال جزولة 4\46 .
(25) خلال جزولة 4\47 .
(26) نفس المصدر 4\49 .
(27) نفس المصدر .
(28) نفس المصدر .
(29) نفس المصدر .
(30) نفس المصدر .

وهكذا ظلت هذه المدرسة التاريخيـة فـي ابد امينة تؤدى مهمتها، الى ان انقطع منها التعليم منذ زمان ، واوشكت آثارها ان تصبح فى خبر كان (31) .

وهذا مقرىء ثالث مـن اساطين المدرسة القرآنية بجزولة ، وهو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اعجلى ، ولد فى حدود (1200 هـ) ، وبعد ان حفظ القرآن وجوده ، رحل الى قبائل (جبالة) لاخـذ القراآت ، كما اخذ بمراكش عن جماعة من ايمة هذا الفن ، منهم ابو العباس مولاى احمد ، ختـم عليـه ختمة من القرآن برواية حمزة ، ويذكر استاذه هذا ـ انه لم يكن يقرأ الا على وضوء ، فاذا انتقض وضوؤه ، وضع لوحته حتى يجدد الوضوء .

وهذا يدلنا على ان الشيخ اعجلى ، كان ـ منذ حداثة سنه ـ على جانب كبير من الفضل والصلاح ، وقد ذاع صيته ، واتسعت شهرته ، وكان للناس فيه اعتقاد كبير ، يقفون عند اشارته ، ولا يتخطون امره ؛ وكان يخرج مع طلبته الى القبائل للسياحة ، واصـلاح ذات البين .

اما المدارس التى أقرأ بها ، فهى : مدرسـة (ايكضى) ، ومدرسة (موزايـت) ، ومدرسـة (افاوزور) ، و (تازروالت) ، وسواها ، وقـد امضى عمره اجمع فى تعليم الروايات ، واخـراج جمهرة كبيرة من المقرئين .

توفى سنة (1271 هـ) ودفن بـ (سفا السطح ـ (32) افاوزور . ومن اولاده : الشيخ الطاهر الـذى خلف والده فى تعليم الروايات ، وعلم بمدرسـة (بوكورا) من رسموكة ، ـ (30) سنة ، فكان الطلبـة الذين يدرسون عنده يفوق عددهم المائة (33) .

بقى ان نشير الى ان الشيخ اباعيد الله اعجلى ، كان من اصحاب مدرسة الحظ (الحظيات) ، التـى اشتهرت اخيرا بقبائل (جبالة) ، وكادت تطغى على كل المدارس ، وله فى ذلك عدة مؤلفات (34) . لكن الامام السخاوى يقلل من اهمية هـذه البحـوث الهاشمية على القرآن (35) ـ ، على ان ابن الجوزى قرأ ورد فى كتابه (فنون الافنان ، فـى عيون علوم القرآن) بحوثا مهمـة من هذا القبيل (36) .

وذهب السيوطى فى الاتقان ، الى ان الاشتغال باستيفاء ذلك مما لاطائل تحته ، بل هـو ـ عنده ـ من البطالات (37) .

1 ـ الاتصال الكبير) ، وهو مجمـوع متداول بين الناس .

وقد وقفت على عدة نسخ منه ، تختلف عـن بعضها البعض اختلافا بينا ، وهى ـ فى مجموعها ـ تتفق على الابواب التالية :

ـ الاتصال ـ الانفصال ـ الوزن .

2) ـ (ميم الجمع) ، رتبه علـى حروف المعجـم .

3) ـ (هاء الضمير) : رسالة صغيرة ، ضمنها هاء الضمير المذكر ـ طرفا ، مرتبة علـى حروف المعجم .

4) ـ (التنوين) ـ قال فى مقدمتـه ، (... هذا تقييد التنوين الذى جاء فى آخر الكلمات فـى القرآن العظيم ، وفيه ثلاثة انـواع : المرفوع ـ

---

31) خلال جزولة 4\50 .

32) انظر ترجمته فى المعسول 5\292 ـ 294 ، والميثاق س 10 ، ع 163 .

33) المعسول 5\295 .

34) انظر سوس العالمة ص 199 .

35) انظر الاتقان 1\70 .

36) انظر ص 40 ، 43 .

37) 1\70

المنصوب ــ المجرور ...) رتبه علـــى الحروف الهجائية .

5) ــ (ضبط الكلمات الموقوف عليهـا) ، ــ وتسميه بعض الفهارس : (الهدايــة ، لمـــن أراد الكفاية ، على ضبط اواخر الكـلام ممـــا صـــح بالرواية) .

ــ وتوجد (وقفيات) احصت وقف الهبطي ، ورتبته على حروف المعجم ، وبينت عـــدد الوقوف لكل حرف ، فالهمز مثلا (237) وقفـــة ، والبــاء (329) ، والتاء (550) ، وهكذا ... ومجمـوع وقوف القرآن ــ على خلاف في ذلك ــ (8877) . (38)

ولنجترىء بهذا القدر ؛ فان أمامنا عشـــرات القراء امثال هؤلاء ممن تزخر بهم قبائل جزولـــة ؛ ولو اننا حاولنا إن نستقصى الصفـوة منهـم فـــى وفرة القراء بها ــ لأعيانا البحث ، واتسع بنا القول ، وناهيك ان مدارسها تنيف على الثلاثين ، فلنتـــرك ذلك الى فرصة أخرى ، ولنتابع الحديث عن مدارس (آيت باعمران) ، و (تيتـــدف) ، و (الساقيـــة الحمراء) ، ــ في عدد قادم بحول الله .

تطـــوان : سعيد اعراب

38) ــ انظـــر دعـوة الحق س 11 ، ع 9 ــ 10 (مزدوج) ص 127 ، والميثاق س 10 ، ع 136 .





ارتباط الحضارة المغربية بالصحراء

للدكتور ابراهيم حركات

ان استرجاع الصحراء الغربية في اعقاب سنة 1975 ليس عملية سياسة فحسب ، بل هو ايضا ، اسهام في عملية تكامل حضاري ضارب الجذور في صفحات التاريخ البشري للمغرب . وهذا التكامل لم ينقطع قط منذ عصر ما قبل التاريخ على الرغم من تقلص السيادة المغربية او امتدادها حسب الظروف ، ومنذ أن اصبح للسيادة معنى دولي يذكر ، وحيث ان التركيز هنا على الجانب الحضاري قبل غيره فان ما يهم ، هو المفهوم العام للتفاعل الحضاري بين شمال المغرب وجنوبه ، دون اهمال التطورات السياسية الاساسية .

التكامل الجيولوجي والمناخي :

لا احد ينكر ما للتكوين الظاهري للقشرة الارضية والمناخ الذي يسودها من تأثير على التكوين الفسيولوجي للانسان وسلوكه ونشاطه . وانطلاقا من هذا الاعتبار فان الطابع الصحراوي بالمغرب ، يبدأ مباشرة أو يكاد عند مشارف الاطلس الجنوبية ، وكل الجزء الممتد في حمادة درعة والجزء الشرقي من الساقية الحمراء يتكون من سلسلة رسوبيات تعود الى العهود الجيولوجية الاولى ، بينما يتكون الجزء الغربي من رسوبيات ترجع الى العهدين الثاني والثالث، ثم لا يختلف التكوين كثيرا في بقية اجزاء الصحراء جنوبا ولكن الاختلاف يبرز أكثر كلما ابتعدنا جهة الجنوب الشرقي حيث تتكاثر الجبال البركانية والعروق الكبرى .

ولا تختلف مناطق الصحراء بعضها عن بعض من حيث ندرة امطارها ، لكن التفاوت يبدو على العموم فيما بين القسم الشرقي والقسم الغربي من الصحراء، والاول يسامت الجزائر طولا وهو اكثر مطرا ، وقد كان الى عهد غير بعيد داخلا بصفة عملية في منطقة النفوذ المغربي . أما الجزء الغربي فقلما يتجاوز معدل المطر فيه بين 5 ملمترات و 23 . وغزارة الامطار في الاودية الشمالية والجهات القريبة من الجبال ليس الا شيئا نسبيا ، اذ كثيرا ما تمضي بضع سنوات متلاحقة من الجفاف .

حضارة ما قبل التاريخ :

اكد الانسان وجوده في الصحراء منذ العصر الحجري القديم حيث صنع ادواته وسلاحه البدائي من حجر غير منحوت كما دلت على ذلك مخلفاته بدرعة وغيرها . وقد جاءت هذه المرحلة بعد انتهاء العهد الجيولوجي الرابع الذي شهدت فيه الصحراء مولد العديد من الانهار والبحيرات ، وكان الماء يغطي اجزاء شاسعة من المنطقة . وما عظام السمك التي تخلفت في عدة مغارات ، لم اكتشاف الفوسفاط بالصحراء الغربية الا احد الامثلة التي تجسم ذلك الشكل الموغل في القدم والذي كانت عليه الصحراء المغربية . ولقد كانت منطقة الصحراء تتوفر على مناخ اقرب ما يكون الى المناخ الاستوائي ابتداء من مشارف الاطلس جنوبا . ولقد اكدت ذلك الآلاف العديدة من النقوش التي تركها الانسان المغربي في فم الحصن وغيره من مراكز الصحراء جنوبا مثلما تخلفت نقوش مماثلة على امتداد الصحراء شرقا . ومكانها عادة ، الصخور والمغارات . وهي تمثل انواعا من الحيوانات كالفيلة وبعض أنواع اللمط التي انقرضت ورسوم

ما يفترض كاتب هذه السطور) . الخيل منفردة او يركبها فرسان او صيادون . ومن الواضح ان الخيل العادية كالتي توجد حتى الان بالمغرب وليست المرسومة على الصخور الا نظيرتها لا يمكن ان تتحمل مناخا باردا . ان معظم هذه النقوش تؤكد التفوق الرائع فى الرسم لهذا الانسان الصحراوي الذي تفصلنا عنه آلاف من السنين عديدة . وهكذا انتقلت عدة انواع من الحيوانات التي هي موضع هذه الرسوم اما الى المناطق الاستوائية بعد ارتفاع حر الصحراء او الى الشمال لنفس السبب . ولا توجد منطقة فى العالم غنية بهذه الرسوم كغنى الصحراء منها .

وما دمنا فى فترة سحيقة من عصر ما قبل التاريخ، فليس لدينا اية تفاصيل عن التطور الذي تنتهي اليه الانسان الاول بالمغرب . ولكن ، مما لا ريب فيه، ان هذا الانسان الذي عاش على القنص كانت تتوفر لديه كل الظروف الملائمة ، فهو بعد الانتقال من مرحلة القنص المباشر الى تعقب طريدته بواسطة الخيل يكون قد وضع بصماته الاولى على اول حضارة مغربية جديرة بهذا الاسم . ومن جهة اخرى كان يجد الحيوانات بوفرة ، وهذه تعيش بين الحشائش او الادغال . فالصحراء كانت تتوفر على غابات تتيح العيش للفيلة والحيوانات الشبيهة بها فى طريقة العيش .

العهد الفنيقي والروماني :

وعند ما دخل الفنيقيون وحتى الرومان الى المغرب وجدوا شطرا من سكانه يعتمدون على الصيد كمورد وحيد لعيشهم . ولقد شهدت الصحراء الشرقية والغربية والجنوبية بعد حضارة الصيد ، مرحلة حضارة الواحات التي لا تزال حتى يومنا هذا قائمة مع تقلصها بشيء من السرعة ، بالنظر لزحف الحضارة الحديثة ، ولعوامل طبيعية ايضا .

ولنا أن نفترض ان الصلة بين سكان الصحراء واخوانهم فى الشمال لم تنقطع قط ، لان حاجات الاقتصاد والعيش تدعو الى ذلك . والى ان نتبين حقيقة تاريخية مخالفة ، فقد تمكنت الصحراء من استخدام الجمل الذي قدم به بعض المهاجرين من الشام ، ابتداء من العهد الروماني ، اما النخيل الذي هو زينة الواحات واحد الموارد الرئيسية القليلة بها

المغربية . ولكنها صحراء يتأخر بعد فتح

كذلك وجد الفاتحون قبل الاسلام منطقة الصحراء الجنوبية عامرة بصنهاجة الذين كانت مجموعاتهم تتنقل فى خط يمتد حسب ابن خلدون الى الحبشة شرقا والى حوض النيجير غربا . ولندع ابن خلدون يتحدث عن مجموعة الملثمين من صنهاجة الذين كان لهم وجود قبل الاسلام بزمن طويل ، حيث يقول :

« هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، ابعدوا فى المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف اولها، فاصحروا عن الارياف ووجدوا بها المراد ، وهجروا التلول وجفوها ، واعتاضوا منها بألبان الانعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد ، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر ، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا ، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا ، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الامم ، وعفوا فى تلك البلاد وكثروا » .

ان هذا النص يؤكد مدى الصلات المجتمعية الوثيقة التي ربطت المغرب منذ القدم ليس فقط بالحضارات الصحراوية ، بل بالحضارات الافريقية ايضا ، وكانت صنهاجة فى تحركاتها بحثا عن موارد العيش تنقل عددا من عناصر الحضارات الافريقية الى المغرب وبالعكس . وسنعرض لبعض هذه العناصر خلال هذا التحليل .

دور سجلماسة ابتداء من القرن الثاني / 8 م

ويصبح للصحراء شأن بالغ الاهمية فى تاريخ الاسلام بالمغرب خاصة ، وغربي افريقيا عامة منذ القرن الثاني الهجري ، فهي معبر ضروري لكل قادم من هذه الجهة الى الاقطار الواقعة شرقا . وبنشأة سجلماسة سنة 140 هـ يتأسس اول مركز اقتصادى عظيم فى غربي افريقيا يكون فى آن واحد ، محطا للقوافل المتنقلة فيما بين اقطار المغرب وافريقيا ، وسوقا تجارية كبرى لها صبغة دولية حقيقية ، حتى ان سجلماسة كان يفد عليها تجار من مصر والعراق والشام ويستقر بعضهم بها بصورة نهائية . ولعلنا هنا نكشف بعض السر فى اختيار العبيديين لسجلماسة فيما بعد ، كمنطلق لدعوتهم .



نورهم يسعى بين ايديهم ، وبايمانهم ...

وهكذا فان سجلماسة قد لعبت طيلة ثمانيــة قرون دور الوسيط الاكبر في نقل حضارة الصحراء الى المغرب وبالعكس ، فهي مركز اشعــاع فكـــري سبق غيره من المراكز المغربية الداخلية بعقود كثيرة في نشر المعرفة والتلحيم بين النزعـــات الفكريـــة الاسلامية على اختلافها ، فهي قبل كــل شــيء من تاسيس الخوارج . ولا بد ان يتقبل قسم كبير مـــن الصحراويين المذاهب الخارجية التي لاءمت بيئتهم وطبيعتهم ، كما التقى المذهب السنـــي المالكـــي بالاعتزال وغيره ، تبعا للمؤثرات الخارجية من جهة ، ولميول الحكام انفسهم من جهة اخرى .

ومن الوجهة الاقتصادية تستقبل سجلماســـة منتجات الاقطار الســودانية من ذهب وعاج وصمــغ وما الى ذلك ، كما تتيح للصحراويين ترويج بيع ابلهم ومنتجاتهم الواحية كالتمر وبعض الحبوب ، وتبادل الوافدين من سائر البلاد الاخرى البضائع المحليـــة والوطنية من اقمشة وجلود واغطية وغيرها .

انتشار الاسلام بالصحراء على يد الادارسة :

قد يكون عقبة بن نافع انتهى في فتوحه بالمغرب الى السوس على ما تذكره بعض الروايات ، ولكـــن لا يمكن ان تكون حملته قد تركت اثرا اسلاميا عميقـــا فيما وراء السوس وهي المنطقة التي تبدأ عندهـــا الصحراء الواقعة غربا ، اي ابتداء من كوليمين ومـــا جاورها جنوبا . حتى اذا كانت سنة 197 هـ قـــام ادريس الثاني بحملة لنشر الاسلام عبر هذه الانحاء التي اصبحت بعده مباشرة تكون اقليما باسم لمطة ، وهي احد بطون صنهاجة ، كما انها من القبائل التـــي ساندت حركة المرابطين فيما بعد . وقد تولت قبائل صنهاجة نفسها عملية نشر الاسلام بعد ذلك واعتناقه بصورة تلقائية ولكن هذا الاسلام ظل سطحيا بل اقرب ما يكون الى الانحراف في معظم الجهات الصحراوية كما دلت على ذلك ، الثورة الاجتماعية والدينية التي سيقودها المرابطون .

وتصحيح العقيـــدة الاسلاميـــة لدى سكـــان الصحراء عمل من الخطورة بمكان ، لكن لنا ان نطمئن الى ان عملية تعريب صنهاجة او قسم كبير منهـــم ستتم بفضل الادارسة اولا ثم بفضل المرابطين ثانيا . وفي نهاية المطاف ستاخذ عملية التعريب صورة اكثر تركيزا وشمولا ، بفضل بني معقـــل الذين تتـــوارد جموعهم من الشمال ، انطلاقا من العهد الموحدي ، ولما كان بنو معقل رحلا ظاعنين وصحراويين اصلا فقد اندمجوا في الحياة الصحراوية جنوبا وغربـــا بمنتهى السهولة ، كما انصهرت فيهم عناصـــر مـــن صنهاجة ، واصبح الطرفان يكونان مجتمعا واحدا .

امتداد الحضارة الاسلامية الى اقطار السودان :

قامت صنهاجة بدور عظيم في نقـــل الحضارة الاسلامية الى اقطار السودان . وتولى المرابطـــون عملية نشر الاسلام وتصحيح عقائده في الاوســـاط الصحراوية ثم مراكز الحضارة الســـودانية ، ونشط المرابطون في هذه المهمة مدة نصف قرن منذ حـــل بينهم عبد الله بن ياسين . ولقد كانت « اودغشت » عاصمة غانا تعيش فترة مجيدة من حضارتها في هذه الفترة ، فهي الى جانب كونها سوق تبادل تجاري بين الاقطار السودانية تكثر بها المساجد كما اكد ذلـــك البكري ، كما انها تقع في منطقة خصبـــة تزودهـــا بالحبوب والمنتجات الزراعية ، وبها حركة عمـــران زاهرة . كذلك سيكون « لتومبوكتو » مستقبل زاهر في الاشعاع الفكري بفضل العناصر الصوفية التي ستمثل معظم سكانها في قرون لاحقة . وخلال القرن 11 / 17 م سيبلغ هذا المركز اوجـــه في عمليـــة تنشيط المعرفة العربية الى جانب اهميته الدينيـــة والاقتصاديـــة .

واذا كان المرابطون الصحراويون قد قاموا بنشر الاسلام في معظم انحاء افريقيا الغربية اما عن طريـــق اتصالاتهم الخاصة او بالدعاية المتواصلة او بالكفـــاح المباشر ضد الوثنية المتغلغلة آنـــذاك في الاوســـاط الافريقية فلربما كانت مهمتهم اضخم مدى في الشمال ، ذلك انهم لاول مرة في التاريخ يصنعـــون من المغرب وحدة سياسية ومذهبية متماسكة الاجـــزاء . فان الادارسة من قبل ، بما كان لديهم من الوسائل البشرية والعسكرية والمالية المحدودة لم يتمكنوا من تحقيق هذه الوحدة بالرغم من الجهود الطيبـــة التي بذلهـــا المؤسسان بصورة خاصة . وقد خرجت عن نفوذهم مناطق شاسعة وجيوب متعددة كتامسنا وسجلماسة والنكور وجل المناطق الاطلسية ، فلما بدا المرابطون دعوتهم كان منطلقهم شمالا من سجلماسة بناء على نداء من وكاك بن زلو . وبسجلماسة بدا الاصلاح الخلقـــي والاجتماعي والديني ، والاقتصادي ، والى كل انواع

هذا الاصلاح كانت تفتقر سجلماسة الزناتية . ثم وضع حد لانحراف برغواطة وثورتهم التي صمدت في وجه الفاتحين مدة تناهز ثلاثة قرون ونصف .

كل هذه الجيوب تم تفريغها من العناصر الانفصالية وذوي النزعات الاستقلالية ، وبعد ان كانت البلاد مرتعا لكل مذهب قويم أو منحرف ، ينزع كل مواطن الى ما شاء منها ، وبعد ان انتظر المغرب أربعة قرون منذ دخول الاسلام لاول مرة ان تتحقق وحدته السياسية ومن ورائها شخصيته العقائدية والفكرية ، ها هو يجد ضالته في هذه الفئة من ابناء الصحراء الذين ما كانوا سوى رعاة ابل بسطاء ، سكناهم الخيام ومورِدهم الاساسي ابلهم التي يركبون ومنها ياكلون ... فقد تمموا ما بداه قبلهم الفاتحون العرب ، ثم الادارسة وطبعوا بالاصالة الصحراوية النقية عقيدة الاسلام السنية مثلما بدات كذلك في موطنها العريق صحراء العرب . وان مدينة مراكش لتشهد هندستها المعمارية الاصيلة ، ومناخها الذي لا يبعد في كثير عن المناخ الصحراوي ، ونخيلها الذي حول بطحاءها الجرداء الى مشهد فاتن بذلك التلاحم العجيب بين حضارة الصحراء وحضارة الاندلس والحضارة المحلية الشمالية ، ففي النقوش المرابطية القليلة التي تبقت بعد عملية « التطهير » الموحدية نلمس الاثر الاندلسي . وفي حفر الخطاطير يتضح الطابع الصحراوي الاصيل ، بينما يمثل سور المدينة اثرا مستمرا للطابع المحلي العريق . وكذلك نجد مؤسسات الحكم والاعتماد على آراء الفقهاء في حل المعضلات اخطرها واهونها تستمد في آن واحد من المؤثرات الاندلسية والمحلية والصحراوية . فالصحراويون كسائر اخوانهم بالشمال متشبثون بالعمل الجماعي واستشارة ذوي الراي ، وانسجام المرابطين والفقهاء ما هو الا تشخيص لهذا الاتجاه الجماعي الذي يبلغ من المراقة في مجتمعات المغرب الكبير قرونا متطاولة لا يعرف لها مبدا .

تمرد الصحراء يزعزع الكيان الموحدي :

لم تكد دولة المرابطين تلفظ انفاسها على يد الموحدين بعد أعمال مجيدة حتى تحركت الصحراء مرة أخرى بزعامة بني غانية الذين سبق أن كانوا حكاما ببعض اقاليم الاندلس والجزر الشرقية . ولما كان الدليل التاريخي من أقوى الادلة على الترابط بين المغرب وصحرائه ، فان تمرد بني غانية الذين انتقلوا الى الصحراء يعلنون ثورتهم بها انطلاقا من صحراء افريقية قد عطل بحق ، جهود الموحدين في كل من الاندلس والمغرب الكبير . وبنو غانية هم بنو عمومة الاسرة اللمتونية التي حكمت المغرب ، من بين القبائل الصنهاجية ، فهم اذا يمثلون محاولة مصرة لمواصلة الحكم الصنهاجي بالمغرب . ولقد بدات ثورتهم منذ عهد عبد المومن ، ولم تنته الا بعد ان فقد المغرب زهرة أبطاله وقواده في معركة العقاب الخاسرة التي واجه فيها الناصر الموحدي جيوش قشتالة ، ولذلك نجد الموحدين لا يستطيعون ان يعنوا بالصحراء الا فيما يخص الكفاح ضد بني غانية . ومن الواضح ان عديدا من العناصر الصنهاجية التي طردت من الحكم او خشيت على نفسها تراجعت من جديد نحو الصحراء بينما تبقت عناصر كثيرة أخرى ساهمت هي نفسها في حروب الموحدين بالاندلس . غير ان ثورة بني غانية ما كان يقصد بها اقتطاع الصحراء واقامة حكم مستقل بها ، فهذا ما لم يسبق ان حدث من قبل كما لم يحدث بعد ذلك خلال عدة قرون ، وانما كانت الثورة المذكورة لمجرد اعادة اقرار الحكم المرابطي بالمغرب ، وهو ما لم يحققه بنو غانية .

عودة الترابط السياسي والحضاري :

ان نصف القرن الذي سبق سقوط دولة الموحدين ، لا نجد حوله الا معلومات ضئيلة فيما يرجع الى العلاقة بين المغرب وصحرائه الشاسعة . ولكنه يمثل عهد استقرار نسبي في الجهات الجنوبية القصوى وفي الصحراء الغربية ، حيث تتعايش قبائل بني معقل مع القبائل البربرية . وما يكاد يشتد ساعد الدولة المرينية في عهد أبي الحسن حتى نسمع عن تبادله للهدايا مع ملوك السودان والمشرق ، ويكون في رفقة هدايا أبي الحسن الى ملك مالي وفد من بني معقل الضاربين في الصحراء بينما بعث «كونكو» ملك مالي سفارة سابقة وهدايا الى ابي الحسن يرافقها ترجمان من الملثمين المجاورين لمالي كما يفيدنا بذلك ابن خلدون في المجلد السابع من تاريخه .

وكذلك تنشا مدينة شنقيط في ظل السلطة المرينية في أوائل القرن 9 / 15 م . وفي وقت مقارب لهذا التاريخ يبدأ الاسبان في رحلات واتصالات استطلاعية بالساقية الحمراء حيث تلقى محاولات استقرارهم المباشر مقاومة ضارية في عين المكان ، ولا يتم هذا الاستقرار في النهاية الا قبل عقود قليلة.



ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

وستشهد كل من الصحراء الجنوبية والشرقية احداثا جديدة لن تؤثر في مجرى الاوضاع السياسية فحسب ، بل ستشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي ايضا . فقبيل ان ينصرم القرن التاسع / 15 م تفقد سجلماسة الكثير من مظاهر عمرانها وتتناقص تبعا لذلك اهميتها كسوق تجارية دولية وكاداة ربط حضاري بين الشمال والجنوب . ويحدثنا الحسن الوزان عن كونها اصبحت اطلالا في مطلع القرن العاشر / 16 م . والحقيقة ان سجلماسة ستسترجع بعد هذا شيئا من انتعاشها خلال فترة القوة والتماسك السياسي من عهد السعديين ، ولكنها ستفقد اهميتها كمعبر تجاري رئيسي بين الشمال والاقطار الافريقية ، فمن جهة يحل الاتراك حكاما بكل من الجزائر وتونس وليبيا ، ومن جهة ثانية يشرع البرتغال في اقامة مستوطنات استعمارية على الشواطيء الافريقية ، غير ان السعديين قد اهتدوا مقدما الى الخطر البرتغالي فبسطوا سلطتهم على الصحراء الغربية والجنوبية فضلا عن جل اقطار افريقيا الغربية . وفي هذه المدة لعبت درعة والصحراء الغربية وشنقيط دورا نشيطا في حركة التبادل بين المغرب والسودان ومع ذلك فان سجلماسة التي حلت محلها تافيلالت بقصورها وواحاتها المتعددة لم يضمحل نشاطها الاقتصادي ولا الفكري ، فان « مرمول » يذكر ان كل ما كان يباع في اسواق اسبانيا من تمر كان يجلب من هذه المنطقة خلال العقد الثاني من القرن السابع عشر ، كما اعجب بما لاحظه من وفرة الضان والمعز في الصحراء الشرقية .

اما في الطرف الغربي : سوس والصحراء الغربية فان ابا حسون السملالي الملقب ببودميعة والذي انشأ امارة مستقلة بسوس قبل ان تسير الدولة السعدية نحو الانهيار في منتصف القرن 11 / 17 م . فقد مد نفوذه الى الصحراء الغربية ضامنا بذلك تأمين الطريق التجاري الممتد الى السودان جنوبا ، وعلى الرغم من التكالب الاستعماري على المغرب خلال القرون الموالية فان الصحراء لم تعلن قط انفصالها عن السلطة المركزية ، كما لا يوجد اي دليل على ان هذا الجزء التاسع من منطقة السيادة المغربية قد كون في يوم ما مجتمعا مستقلا بكل المميزات الشخصية والتاريخية والسياسية التي تكون مجتمعا ودولة .

واخيرا فان مقومات الترابط الحضاري بين المغرب وصحرائه بصفة عامة ، تتضح كما يلي :

1 — ان جميع الدول التي حكمت المغرب منذ الفتح الاسلامي ككيان متماسك او قريب من التماسك، اصلها من الصحراء باستثناء دولة الموحدين . فادريس الاول جاء من الحجاز ، اي من صحراء العرب . والزيانيون من الصحراء الشرقية ، والمرابطون من صنهاجة الصحراء ، والمرينيون من الصحراء الشرقية ، وهم زناتيون ، والسعديون من درعة ، والعلويون من تافيلالت .

2 — ان لكل قبيلة في الصحراء نظيرة لها في الشمال او اسرة ذات علاقة وثيقة بها .

3 — ان دول المغرب اذا كانت كلها او جلها من أصل صحراوي فهذا يعني أن الصحراء تتشبث بالمغرب منذ احقاب متطاولة تمتد الى فجر الانسانية . وقد وجدنا ان هذه الدول الصحراوية كان همها ان تخلق من مغرب الشمال والشرق والجنوب وحدة مجتمعة لا تنقسم ، وهذا اسمى ما يحقق التركيب الحضاري البعيد المدى ، وليس غريبا بعد هذا ان يتحقق التعريب اللغوي على يد مجتمع صحراوي ايضا، هو مجتمع بني هلال وسليم ومعقل .

الرباط : **ابراهيم حركات**

الصحراء المغربية عبر التاريخ

للأستاذ محمد حجي

تنتسب الصحراء للمغرب ويمتزج تاريخها بتاريخه منذ فجر الاسلام . وتحدثنا كتب التاريخ بأن الفاتح العربي عقبة بن نافع الفهري اجتاز في منتصف القرن الهجري الاول جبال الاطلس سيرا مع سيف البحر الاطلنطيقي من آسفي الى ماسة بسوس ، وبنى المسجد المنسوب اليه هناك . ذلك المسجد الذي لم يلبث ان تحول الى رباط للقراء والعباد والمجاهدين ومنطلقا لنشر الاسلام في ربوع الصحراء وما وراءها من بلاد السودان . ومن المعروف الثابت تاريخيا ان قبيلتي كدالة ولمتونة الصنهاجيين كانتا ضمن قبائل مسلمة اخرى تسكنان في القرن الهجري الرابع وقبله اقصى الصحراء الغربية مما يلي حوض السينغال ، حتى قيل ان هذا الاسم انما هو تحريف لكلمة صنهاجة .

ولا يخفى على احد الدور الذي قامت به دولة المرابطين الصنهاجية في الصحراء من تركيز السلطة ونشر الوعي الديني والوطني، سواء قبل طلوع ابطالهم الملثمين الى الشمال ، او بعد ان اسسوا مدينة مراكش وجعلوا منها قاعدة امبراطوريتهم العظيمة التي ضمت الصحراء الكبرى وشمال افريقيا والاندلس . وظلت الصحراء بعد ذلك تابعة لحكم المغرب على عهد دولتي الموحدين والمرينيين .

ولما استلم الشرفاء السعديون مقاليد امور هذه البلاد في مطلع القرن الهجري العاشر – السادس عشر للميلاد ، اولوا الصحراء ، وهم من ابنائها ، ما اولوه من عناية لمسالة الجهاد ومقاومة الاجنبي المحتل للشواطىء ، فكان النجاح حليفهم في الواجهتين ، وطهروا الصحراء من عناصر الشغب والفتنة والانتهازية ، واصبحت طرقها من جديد آمنة ، والمراكز التجارية والمعدنية نشيطة مزدهرة ، والقوافل تغدو وتروح عبرها بانتظام من المغرب واليه .

خضعت الصحراء الكبرى كلها لنفوذ السعديين من المحيط الاطلنطيقي غربا الى حدود ليبيا شرقا الى تخوم السودان جنوبا ، بل والى ما وراء هذه التخوم. ولم يكن النفوذ التركي في المغربين الاوسط والادنى يبتعد عن سيف البحر المتوسط الا قليلا في كل من المغربين الاوسط والادنى ، وظل الحال على ذلك حتى بعد ضعف الدولة السعدية في اواخر عهدها . وقد نص الرحالة المراكشي محمد بن احمد القيسي السراج الملقب بابن مليح في رحلته الحجازية **انس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب** على انبساط النفوذ السعدي على كل الصحراء الكبرى الى بلاد فزان الليبية . وقد خرج هذا الرحالة مع ركب الحجاج المراكشيين الذين غادروا مدينة مراكش يوم الاثنين آخر صفر من سنة 1040 / اكتوبر سنة 1630 م . ، وسلك الطريق الجنوبي الصحراوي من درعة الى توات . وفي هذا الاقليم اجتمعوا مع ركب الحجاج السودانيين الذين اتوا مع باشا السودان القائد المغربي علي بن عبد القادر الشرقي ، وكان معه من الفقهاء محمد بن الشيخ المؤلف الشهير احمد بابا

اطلال مسجد مدينة السمارة الذي بناه المولى الحسن الاول للشيخ ماء العينين ، لينشر منه تعاليم ديننا الحنيف ، وهو شاهد اثبات على مغربية الصحراء ، وكان المسجد قد تعرض لهجوم سافر قام به سنة 1913 قائد الحامية الفرنسية في جنوب الجزائر الكولونيل موري .

وفد من شيوخ قبيلة الركيبات التي تسكن مدينة السمارة ، وقد خرج لاستقبال المبعوث الاممي ، باواني طهي الشاي على الطريقة المغربية ، وهي عادة متاصلة في سكان الاقاليم الجنوبية ويستقبلون بها اقاربهم .

السوداني ، ومحمد بن عبد العزيز الدرعي ، واحمد ابن محمد السوداني . وبعد ان استراح الحجاج في توات سبعة عشر يوما في كنف قائدها المغربي الشيخ عافة ، غادر الركبان المراكشي والسوداني هذا الاقليم ليقطعا الصحراء المغربية الشرقيـة في خمسين مرحلة ، كل مرحلة في يوم . والمؤلف يصف هـذه المراحل وما فيها من ارض بعل واودية وآبار واشجار وكلأ وغير ذلك . وفي المرحلة الاخيرة من المراحل الخمسين التي هي نهاية منطقة النفوذ المغربي وجد الحجاج المراكشيون والسودانيون الركب الفاسي الذي يضم حجاج شمال المغرب في انتظارهم هناك تحت اشجار غابة الطلح التي تكسو هذه المنطقـة . وبذلك اكتمل الركب المغربي ودخل في اليوم التالي بلاد فزان ، واضطر حينئذ الى استئذان اميرها الذي ازعجه خبر ورود هذه الاعداد الضخمة من البشر والدواب والامتعة والاسلحة . وفي ذلك يقول ابن مليح :

« وصلنا بلاد فزان وقد انتفضت الجراب ، وعجزت الركاب ، وماتت الرواحل ، لبعد المراحل ، وقد اشرف الناس فيها على المهالك ، لولا لطف الواحد المالك . سبحانه ما اعظم شأنه واعز سلطانه ! فاول منزل نزله الركب ، وجاد به المولى الرب ، قصر ابار صانه البارى . وقد محيت بحول الله الذنوب ، فجادت البلاد بخيرها ، واظهرت للناس من برها . فما غربت الشمس ، ولا ارتاحت النفس ، حتى اقبل الخير من كل مكان ، وذلك اول منزل من بلاد فزان . فاتصل الخبر باميرها ، وذكر له من كبر محلتها وعظيم رئيسها ، وان بها شريفا قرشيا ، ومملوكا غنيا حبشيا فحار امره لذلك ، وطاش عقله هنالك . فوجه من فرسان دولته ، وخدام مملكته ، نحو اثني عشر فارسا لتجسس واختبار احوال المحلة ومن فيها من الرماة واصحاب التروس ، فطافوا بالمحلة واختبروهـا ، والتقوا بالشيخ وتبركوا منه بالدعاء ، فعادوا بسلام ، وتيقنوا انهم حجاج بيت الله الحرام » .

وبعد هذا التاريخ بعقود قليلة من السنين استلم شرفاء سجلماسة العلويون مقاليد الامور بالمغرب ، فساروا على سنن اسلافهم الاقيال في حماية الحمى والحفاظ على التراب الوطني من اقصى البلاد الى اقصاها . وليس بسر تحركات ملوك هذه الدولة من المولى اسماعيل ابن الشريف الى المولى الحسن الاول في الصحراء المغربية ، والعنايـة باحوالها السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية .

ونود هنا ان نسوق بعض النماذج التاريخيـة للحياة الثقافية في الصحراء المغربية ، نختارها من عهد السعديين في ثلاثة مراكز علمية فقط ، عاش فيها اعلام تكونوا في عين المكان او في شمال البلاد كمراكش وفاس والمحمدية وغيرها ، وكان لهم نشاط ملحوظ في الصحراء تدريسا وارشادا وتاليفا .

ا ـ بني عباس

تقع قرى بني عباس على وادي الساورة جنوب ملتقى الرافدين كير وزوزفانة . وهي ـ كما رآها الرحالة أبو سالم العياشي في اواخر العهد السعدي ـ « ثلاث قرى متصلة في سفح جبل صغير على شفير الوادي . فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين » .

اشتهرت قرى بني عباس كمركز علمي عند ما حل بها احمد بن عبد الله ابن ابي محلي (ت. 1022 هـ/ 1613) الفقيه الاديب الصوفي الثائر . دخل اليها للمرة الاولى وهو في طريقه الى الحج عام 1000 هـ / 1591 فمكث بها ثلاثة اشهر تزوج اثناءها بنت شيخ البلد عبد الله بن محمد ابن شمس الدين العباسي ، ثم استقر بها نهائيا بعد رجوعه من الحج ، وولد له فيها الاولاد وعاش في رغد وسعة يضيف الزوار الواردين عليه من المشرق والمغرب الاوسط والاقصى ، ويقضي حاجات العلماء الذين يكاتبونه من مكة والقاهرة وفاس وغيرها ، لما كان له من الوجاهة والنفوذ بسبب ناموسه الصوفي ومكانة صهره العباسي ، حتى ان احمد المنصور اتخذه كمستشار خاص له بشؤون الصحراء فكان يامر عماله بتيكورارين وتوات بالاتصال بابن ابي محلي والاخذ برايه في المشاكل التي تعترضهم هنـاك .

اقبل ابن ابي محلي في بني عباس على التدريس وتنوعت دروسه فشملت اللغة وقواعدها والحديث والفقه والتصوف واخذ عنه (ملأ من خيار الطلبة) ـ على حد تعبيره ـ وفيها الف معظم كتبه .

وجاء الى قرى بني عباس في جملة الوافدين على ابن ابي محلي للمقام فيها شهورا او سنين .

ـ سليمان بن محمد الكومي (ت. نحو 1040 هـ/ 1630) فقيه اديب متصوف كان من اتباع شيخ فجيج

الاطفال خرجوا بدورهم لاستقبال اخوة لهم من شمال المغرب حلوا باقاليمهم الجنوبية المحررة أخيرا ، ليصلوا بهم الرحم ، ويمتنوا العروة الوثقى التي لا انفصام لها .



شباب قنع لا خير فيهم * وبورك في الشباب الطامحينا

عبد القادر السماحي ، ثم تخلى عنه في جملة المتخلين على اثر الحملة الكبرى التي قام بها ابن ابي محلي فى التشهير بذلك الشيخ . وصحب الكومي بعد ذلك ابن ابي محلي واتخذه شيخا .

ـــ سعيد بن ابراهيم قدورة (ت. 1656/1066) تونسي الاصل جزائري النشأة ، تخرج على يد علماء تلمسان متمكنا فى المنطق والكلام ، مشاركا فى الحديث والفقه واللغة . جاء الى بني عباس عام 1015 / 1606 واقام بها يدرس مدة غير قصيرة . وخلال شهر رمضان من نفس العام عقد هو وابن ابي محلى بمسجد القرية دروسا حديثية مشتركة على غرار ما كان يقع فى القرويين . فكان قدورة يمسك بيده نسخة البخاري وعليها سنده المتصل بمحدثي تلمسان ، ويمسك ابن ابي محلي أخرى بسنده عن الفجيجيين .

ب ـ تيكورارين

تيكورارين عبارة عن واحة كبرى تقع جنوب شرقي بني عباس ، وتشتمل على قصور كثيرة ، اشهرها قصبة اولاد عبد الله ، وتيميمون ام القرى واهمها . وذكر ابن ابي محلي بحكم الجوار اسماء عدد وافر من معاصريه علماء وادباء تيكورارين . واورد فى كتبه مراسلات ومساجلات ادبية وصوفية معهم .

من علماء تيكورارين وادبائها على عهد السعديين :

ـــ عمر بن صالح الاوكروتي الجراري (ت. قبل 998 هـ / 1589 م) فقيه مشارك تخرج فى فاس على يد ائمة القرويين ثم انتصب للتدريس فى تيكورارين مدة طويلة حتى عد شيخ الجماعة بها . وقد قصده الطلبة حتى من تفيلالت ، ومنهم الاديب عبد الحكم بن عبد الكريم السجلماسي صاحب المساجلات النثرية والشعرية مع ابن ابي محلي .

ـــ محمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي الجراري (ت. بعد 1017 هـ / 1608 م) فقيه اديب صوفي أسند اليه احمد المنصور مهمة القضاء فى تيكورارين وما وراءها من المناطق الصحراوية ، فكان قاضي الجماعة هناك . ولم تصرفه مهامه فى الحكم عن التدريس وارشاد المريدين على طريق الشيخ السماحي .

ـــ محمد بن اسماعيل المستاوي الجراري (ت. 1064 هـ/1654 م) الفقيه المتصوف الثري صاحب المكتبة الغنية بتيكورارين . كان كثير التلاميذ والاتباع ، وقال عنه معاصره الرحالة ابو سالم العياشي بعد ان ذكر كثيرا من احواله : « بالجملة فهذا الرجل اعجوبة زمانه ونادرة وقته سخاء وذكاء ودهاء ونجد وعلو همة ، لولا ما ابتلاه الله به من وسوسة الامارة التى توسوس فى دماغه » .

وقد دخل المستاوي معظم بلاد الاسلام غربا وشرقا مدعيا المهدوية فلم يتم له امر ، واخيرا رجع الى مسقط راسه تيكورارين حيث مات بعد ان اعتق عبيده ووزع عليهم ماله ، واوصى بفرسه للجهاد وبكتبه للحرم النبوي الشريف .

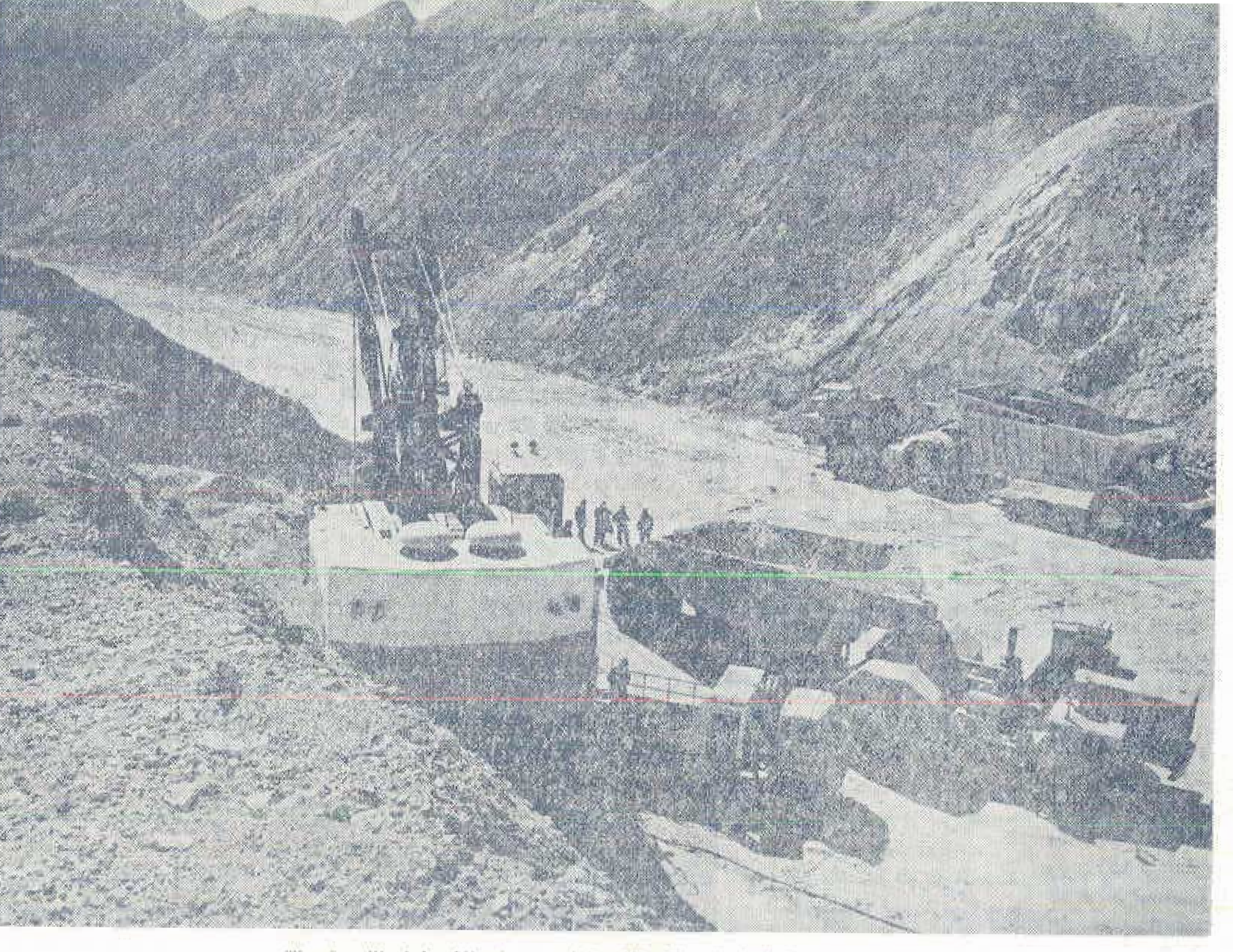
ج ـ تــوات

توات اقليم صحراوي واسع يتزل جنوبا مع وادى الساورة الذي يسمى طريق النخل حتى مصبه بسبخة المخرفن فى قلب الصحراء ، ويتسع شرقا فى واحات متلاحقة وقصور كثيرة ، من اشهرها تيمي ، وتيمنطيط ام القرى التي غلب عليها اسم توات عند الاطلاق .

من الاسر العريقة فى توات العصنونيون الذين توارثوا العلم والقضاء فى هذه المنطقة منذ ايام المرينيين ، وكان منهم فى العصر السعدي :

ـــ عبد الله بن أبي بكر العصنوني التواتي (ت. 927 هـ / 1521 م) ، فقيه متمكن مارس التدريس والافتاء والقضاء بتوات مدة طويلة ، وعارض بلدية محمد بن عبد الكريم المغيلي فيما كان يراه من نقض ذمة اليهود واباحة دمائهم واموالهم ، فكان ذلك سببا فى استفتائهما علماء المغاربة ، وكانت معارضة اغلبية الفقهاء لرأي المغيلي المتطرف ومناظرته علماء فاس فى الموضوع .

ـــ سالم بن محمد ابن ابي بكر العصنوني التواتي (ت. 968 هـ / 1560 م) ، ابن اخي من قبله وتلميذه . تخرج فقيها مشاركا على علماء توات وسوس وتلمسان واشتغل فى تيمنطيت على عادة قومه بالتدريس والافتاء ، ثم ولي القضاء هناك فحمدت سيرته ، ووصل نفوذه الى بلاد السودان



مشهد يوضح عودة العمل الى حالته الطبيعية فى منجم فوسفاط بوكراع الذي يقع بالقرب من مدينة العيون ، تحت الادارة الجديدة والتي تضم كل من المكتب الشريف للفوسفاط والمعهد الاسباني للصناعة . ويضم هذا المعمل 800 مستخدم بين عمال وتقنيين على اختلاف مستوياتهم

— عبد الرحيم بن عبد الله العصنوني التواتي فاسلم على يده عدد كثير من الوثنيين ، وفى ضمنهم سلطان كاني نفسه .

(ت . نحو 990 هـ / 1582) ، عالم مشارك مبرز فى النحو والفقه ، له عارضة قوية فى الحفظ والفهم . درس فى المشرق على يد اكابر علماء مصر والشام قبل ان يرجع الى قريته الصحراوية مملوء الوطاب ماضي العزم فى افادة الطلبة من بني قومه .

— محمد بن محمد ابن ابي بكر العصنوني التواتي (ت . 1010 هـ / 1602 م) ، فقيه محدث جيسوبي فرضي . درس فى الصحراء والسودان ومراكش ، وحصل على سند عال فى الحديث يتصل بالحافظ ابن حجر ، وسلك مسلك اسلافه فى التدريس بتوات وقد اقام مدة يدرس بمراكش فى جملة الوافدين عليها من العلماء ، وتدبج مع احمد ابن القاضي فاجازه فى الحديث ، واخذ هو الحساب والفرائض عن ابن القاضي .

تلك اشارات عابرة ونماذج قليلة للالتحام العضوي القائم بين المغرب وصحرائه الكبرى طوال العصر الاسلامي .

الرباط : محمد حجي



على ضوء المعطيات المغربية والعالمية :

تأملات تحليلية لمضمون وظرفية المسيرة الخضراء



للأستاذ المهدي البرجالي

المسيرة الخضراء ، ذلك النهج فى ممارسة النضال ، الجامع بين اعتماد الطاقة الروحية فى الانسان كأساس كلي للعمل ، واطار شامل لاستخلاص ثمراته ، وبين التركيز على ايجابية الحركة وحيويتها وفعاليتها ، وسعة المرونة والتكيف فيها لاحتواء مختلف الاحوال المستجدة ، وانتزاع النتائج المطلوبة من خلال ذلك .

فاعلية الاستقطاب فى المسيرة

ككل حدث فى حجم المسيرة الخضراء ، من حيث ضخامة مظهرها الكمي والنوعي والتنظيمي ، وطبيعة الحسم فى دلالتها الآنية والتاريخية ، واهمية معطياتها الموضوعية فى الامد القريب والبعيد ، فان الانطلاقة التى سجلها فى 16 اكتوبر 1975 خطاب جلالة الملك المعظم الحسن الثانى نصره الله ، ستبقى — ولغير حد — موضوعا قيما للدرس والتحليل العلمي ، ذي مكامن جد خصبة من الناحية الفلسفية والنفسية والسياسية ، والاجتماعية ، وغنية بما تتيحه من استنتاجات وخلاصات فى هذا النطاق .

وتعدد هذه الاوجه فى مضمون المسيرة ، يري مدى البعد الانساني الذى اتخذته باستقطابها روح وفكر امة كاملة ، وجهدها المادى ، على نحو بدا معه ان هذا الاستقطاب كان معدا لان يستمر اطول مدة ممكنة ، بقدر ما يقتضيه الحال ، تحفزه طاقة معنوية من شأنها ان تصعد من فاعليته كلما تقدم به الوقت .

وحول هذا الاستقطاب للقوى والممكنات على الصعيد الداخلى ، كانت هناك ملابسة الاستقطاب الواقع للرأى العام الدولى ، وفى نطاق اخص ، للرأى العام العربى والاسلامى والافريقى الذى لم يكن للمسيرة الا ان تشده اليها — بدرجات متفاوتة — يتظافر على ذلك من جهة ادراك البعض لاهمية التحرك الحاصل فى هذه النقطة الحساسة من العالم على ضفاف المتوسط والساحل الاطلسى ، وصلته بموازين الاستقرار الدولى ، ثم بواعث الشعور عند الآخرين من جهة ثانية ، بدقة التداخل فى حيثيات وعوامل الامن ، داخل النطاق القارى الافريقي ، وعلاقة الامر بضرورة استرجاع المغرب وحدته

الترابية والبشرية ، للتفادى من سبب جاد للاخلال بالامن ، على نحو يعسر رقع فتقه اذا ما انفتق ، ثم من جهة ثالثة ، مؤثرات الاحساس عند البعض بالتعاطف مع اصحاب القضية ، لدواعى الرحم والقربى الرابطة بهم ، او استمدادا من بواعث التجاوب القائم فى كثير من القضايا الاساسية معهم .

ان هذا الاستقطاب ، ليشكل ــ بطبيعة الحال ــ مظهرا مثيرا لفكر الدارس ، بما يلحظه فى الامر من عمق واصالة وارتكاز وشمول ، ولوجدان الشاعر ، بما يستحسه فى حركة المسيرة من حرارة اللحظة ، وما يستشرفه خلال افقها المفتوح ، من فيض العواطف ، ونبل المشاعر .

انها رحابة فى نطاق المورد المعنوى للمسيرة ، تمكن ــ كما تلحظ ــ من النظر اليها على ضوء النهج العلمى والادبى كليهما ، مع ما بينهما من فروق فى الروح والاسلوب وطبيعة الدلالات المستخلصة .

وفى استشراف الحركة التاريخية التى تمت فى نوفمبر الماضى واستجلائها من هذا المنظور ، تتبدى من خلال الصورة المستشرفة ، مواطن تفاعل شتى بين تقاليد هذا الشعب الجهادية الموغلة فى القدم ، وبين دينامية الحوافز التى تحركه فى آونته الحاضرة نحو العمل على حفظ اصالته ، ورسوخ هويته ، وصيانة ما له من مقومات هى مناط هذه الاصالة اساسا .

مميزات رائدة

الموضوع الذى طرحته المسيرة ، واتخذت على اساسه شكلها وتحركها ، ينطوى ــ بحكم طبيعته ــ على حتميات النجاح الذى حالفها محالفة ملتزمة ، سواء فى انطلاقتها ، او فى تطور مراحلها ، او فى قيمة الحصيلة التى نجمت عنها .

الا انه يتعين التمييز فى هذا الصدد بين النجاح الذى تكللت به المسيرة فى خاتمة مطافها ، اذ تحققت بها جملة الاهداف التى تحركت لبلوغها فى الاصل ، وبين ذلك النجاح الآخر ، المتمثل فى المدلول المبدئى لبروز هذه الصيغة الفريدة فى العمل الجهادى ، وما تبلور بموجبها من دلالات قيمة ، على صعيد الفكر السياسى العالمى ، وعلى صعيد الفكر الانسانى عموما .

وجماع الامر فى هذا ، ما حملته المسيرة ــ منظورا اليها خلال زاوية النضال التحررى المعاصر ــ من عناصر التجديد والتنويع والتأصيل ، التى من شأنها أن تسهم فى اثراء موضوع هذا النضال ، وتفتح مزيدا من الآفاق امامه .

التجديد

مكمن التجديد الذى حققته المسيرة ، انها برزت ــ باعتبار الشكل الذى برزت به ، والروح التى سادتها ــ كصيغة غير مألوفة فى ساحة الصراع التحررى ، الذى يزخر العالم بالكثير من حالاته ، ويفتقد مثل هذه الصورة بالذات ، على الرغم من تعدد صور العمل النضالى فى مختلف القارات وتباينها .

وحتى لو تدرنا حدوث مسيرات تكون قد حصلت من قبل فى ظروف نضال بعض الاقطار ، فان المسيرة الخضراء تبقى متميزة بسمتها النوعية ، التى جعلتها تشكل بمفردها موضوع ستراتيجية مستقلة متكاملة وشاملة ، وليست مجرد جزء من ستراتيجية اعم ، أو خطوة مرحلية من الخطوات المرسومة بموجب هذه الستراتيجية .

لقد كانت المسيرة الخضراء ، منطلقا لعمل سريع مثلما هو حاسم ، ولم تكن مجرد تمهيد اولى لتحقيق هذا العمل ، وبقدر ذلك ، كانت نتائجها كاملة ونهائية ، غير محتاجة الى مزيد من التعقيب او التكميل ، مثلما تحتاج لذلك عادة المبادرات فى اوليتها .

واذا اضيفت لهذا ، قياسية الزمن الذى تطلبه استيفاء المسيرة اغراضها على هذا النحو ، تمكنا من استيعاب مدلول التجديد الذى يمكن أن ينعت به هذا التحرك ، مقارنا بغيره من التحركات النضالية فى عالمنا الحاضر .

التنويع

بتقييم سمة التجديد فى صورة المسيرة الخضراء وملابساتها ، تبرز فى مضمون نفس المعنى ، قيمة التنويع الذى حملته فى طيها ، الى ساحة النضالات التحررية اليوم .



صاحب الجلالة سيد البلاد مع السكرتير الاول لهيئة الامم المتحدة السيد كولد فالد هايم

لقد تطورت — بحق — فى خلال هذه العقود الاخيرة عقب الحرب العالمية الثانية ، اساليب العمل النضالى ومناهجه عند الشعوب ، غير انها لكثرة مـا ترادفت وتواتـرت ، فى شتى الجهات بالعالم ، فقد غدت — فى الكثير — ذات مظاهر نمطية ، يكـرر بعضها بعضـا فى الجوهـر ، وان كانت تتقمص — على السطح — اشكالا مختلفة .

وقد برزت المسيرة الخضراء تنويعا حقيقـيـا لمناهج النضال المتبعة ، تنـويعا جوهريـا يتجاوز المظاهر الى المخبر ، وهذا امر ذو بال ، اذا وضعنا فى الاعتبار ، ان العبرة بالتـنويع فى هذا المقـام ، ليـس هو مجرد التغايـر بين الحالات والاشكال فى نطاق معين ، وانما المراد ، هو مدى مـا يمكن ان تقدمه حالة أو صورة نضالية معينة ، من اسـهام فى تلقيح التراث النضالى الانسانى بالتجارب الرائدة ؟ ثم الى اى حد يمكن ان تذهب مثل هذه المساهمات فى رسـم سبل — امام الشعوب الاخرى — لتحصيل الحقوق ، دون مس عشوائى بالاستقرار والسـلام الـدوليـيـن ؟

من هذا المراى ، تتخذ قدرة تجربة من التجارب النضالية على تنويع الاسـاليب المتـبعـة فى العالم ، الاهميـة التى تصورنا لهـا ، ومن ثـم ، اصطبغت المسيرة الخضراء — من هـذا الجانب — بالقيمـة الابداعية التى تكمن فيها ، وهو ما مكن لها ، من ان تستمر لامـد غير محدود خلاصـة مفيـدة ، يمكن الاستيحاء منها ، بما يطعم بعض خلاصات العمـل النضالى على نحو ناجح ، تبعا لما حققته — هى — رغم تفردها عن تجارب الآخرين — من نجـاح غير مجـادل فيـه .

التـأصـيـل

واذا كانت المسيرة الخضراء اسلوبا فى العمل ، ينطوى ، بالقوة وبالفعل ، على مظهر تجديد وتنويع لانماط الفكر النضالى فى عالـم اليوم ، فانها تحوى من منظور آخر ، مفهوما لتاصيـل هذا الفكـر ، فى تكامل سليم بين التجديد والتأصيل .

لقد كان مبنى ميزة المسيرة الخضراء من هذه الناحية ، اعتمادها الانسان — مجردا عن الادوات المالوفة فى ممارسة الضغط النضالى — استـنادها الى طاقة الانسان الروحية وحدهـا ، بديـلا عن الوسـائط المادية التى تستعمل فى تأكيد حق ، او اقرار ارادة ، أو دفع عامل معترض لها ، او شىء من هذا .

صحيح ان التوسل بالطاقة الروحية عند الانسان شىء وارد ، بـل ومعتاد فى شتى حـالات الكفـاح المالوفة ، المعتمد فيها على الطرق والادوات المادية ، لتحقيق غرض ما يراد فرضه ، أو دفع ما يتعين ان يدفع ، الا ان مثل هذه الطاقة ، تكـون فى حالـة كهذه ، مجرد حافز او محرك ، وليسـت بمثابة نهج كامل ، مؤهل لتعويض مختلف الادوات المادية التى يتطلبها الكفاح بالطرق والوسـائل العـادية ، وثمـت بعض اساليب العمل النضالى المغالية فى الاسـتـناد للقوة الروحية ، وما فى هذا الباب ، مثل تلك التى استعملت بموجب فلسفة اللاعنف مثلا ، لكن نوعية خاصة فى العمل النضـالى على هذا الغرار ، لا تؤتى أكلا ، الا فى ظروف معينة ، وربما اعتمدت — وهذا جانب مهم فى ترجيـح احتمالات النجاح او الفشـل فيها — على اتخاذ المواقف السلبية او الامتناعية فى الممارسة النضالية ، وكل هذا ، مما يختلف عن نهج المسـيرة الخضراء وروحيهـا ، وهى ذلـك النهـج الراديكالى فى ممارسة النضـال ، الجامع بين جانب اعتماد الطاقة الروحية فى الانسان ، كاسـاس كلـى للعمل ، واطـار شامل لاستخلاص ثمراتـه ، وبين داعى التركيز على ايجابية الحركة ، فى معرض هذا العمل ، والتنصيـص على حيويـة هذه الايجابيـة وفعاليتها ، وسـعة المرونة والتكيف فيها ، لاحتـواء مختلف الاحوال المستجدة ، وانتزاع النتائج المطلوبة من خـلالـهـا .

هذا التركيـز الكثيـف على الانسان بالصورة المتوازنة البـادية على صعيـد المسيرة الخضراء ، يشكل — بحق — مبادرة جدية لتأصيـل الفكـر النضـالى ، منطويـة فى تضاعيفهـا على جملـة من الاقباس الفكرية الرائـدة .

وفى التنظيرات التى تبرز مادتها هذه الاقباس ، مجال رحب لكثير من التامل والرؤى الفكرية ، بيـد ان مثار الانـتباه فى هذا الموطن من النظـر ، يبقى متعلقا — ولا شك — بما تكشفت عنه المسيرة من فاعلية عملية لهذه النظرة فى توظيف الطاقة الروحية للانسان ، وما اثمرته فى معرض احصاء النتائج .

الرئيس الغابوني: قضية الصحراء انتهت
وارفض مناقشتها في اديس أبابا



أكد رئيس جمهورية الغابون الحاج عمر بانغو استمرار تأييد بلاده المطلق للمغرب في قضية الصحراء وجاء هذا التأكيد في مقابلة أجرتها وكالة الانباء الفرنسية مع الرئيس الغابوني وهو يغادر مدينة – نيس – الفرنسية .

قال الرئيس الغابوني بان بلاده ساندت المغرب في قضيته العادلة تجاه الاسبان وانها ستواصل مساندتها سواء بالنسبة للمغرب او لموريطانيا .

اما فيما يتعلق بموقف الجزائر ازاء المغرب فاشار الرئيس الغابوني الى ان ذلك مبعث قلق كبير وانه يريد أن يعرف في الواقع ما ذا تريد الجزائر من هذا الموقف .. واذا ما رفعت القضية امام منظمة الوحدة الافريقية – يقول الحاج عمر بانغو – فانه سيرفض المشاركة في المحادثات وانه يرفض كذلك أن يطرح القضية امام المنظمة الافريقية تلك أن القضية – يقول الرئيس الغابوني – قد انتهت بالنسبة الينا .

مدلول الاستمرارية فى المسيرة ، ومدلول الريادة

برزت المسيرة الخضراء مظهرا استمراريا ، وفى نفس الوقت رائدا ، سواء ذلك فى الزمان او فى المكان ، او فى نطاق المعنى الذى تبلور من خلال قيامها ، وتطورها .

وتعكس هذه الازدواجية فى الاتصاف — ازدواجية الاستمرارية والريادة — تباين الملابسات التى كان لا بد ان تحف هذه المبادرة ، فى وضعها داخل الكيان الوطنى ، والظرفية والدلالات الموصولة به من جهة ، وفى وضعها من الجانب الآخر ، على الصعيد العالمى ، وما يداخله من ظرفية ، او تتلون به مفاهيمه ضمن البيئة الفكرية السائدة فيه .

فالمسيرة — موضوعة فى النطاق الوطنى ، ومنظورا اليها من خلال حركة التاريخ فى هذا النطاق — تشكل بطبيعة الحال — استمرارا عاديا لسياق التواصل ، بل والتفاعل الحتمى الذى ما فتىء قائما على تطاول الدهر ، بين شطرى الوطن الواحد ، واذا ما كانت فترة الوجود الاجنبى بالصحراء التى استمرت خلال بعض العقود ، قد استحدثت حواجز مبتسرة امام انسياب مجرى هذا التواصل وتلاحقه ، فانه لم يكن فى وسع تلك الحواجز اطلاقا ، ان توقف تلاقى المشاعر والاهداف بين جانبى الحدود الاعتباطية ، بل ولا تلاقى الاشخاص ممن كانوا يجتازون الحواجز فى تلك الاثناء رغم كل شيء .

ومن ثم ، تتخذ المسيرة الخضراء من هذه الرؤية صفة الحركة المحفوزة بدينامية الاستمرار الطبيعى والبشرى والتاريخى .

الا اننا اذا احللنا موضوع المسيرة فى النطاق الاوسع من هذا ، النطاق العالمى ، فاننا نجد — باعتبار الظرفية القائمة فى تلك اللحظة ، والمفاهيم السائدة اثناءها — ان مدلول الريادة فى تلك الحركة ، يتخذ — بصورة ما — كامل مغزاه .

وقد استعرضنا — آنفا — بعض المميزات التى اصطبغت بها المسيرة ، مما يضفى عليها سمة الريادة فى طريقة تكوينها وتحركها ، وحصيلة استهدافها ، بالصورة التى تم بها كل ذلك .

هذه الريادة بالذات فى صفة المسيرة ، كعمل وطنى ذى ابعاد فكرية وسيكولوجية وحضارية ، وانعكاسات سياسية على المستوى العالمى لم يكن من شانها — كما اسلفنا — الا ان تستقطب — مثل ما هو الحال فى كل عمل رائد — الانتباه العام فى العالم ، وتثير فى ضمنه ، حالات واسعة من التعاطف معها هنا وهناك ، وحالات اخرى واسعة كذلك ، من التحدى فى اشكال مختلفة .

طبيعة التحديات المصوبة

ان التحديات التى طفرت على السطح اثناء بروز المسيرة ، لم تكن كلها ، صادرة عن اعتبارات المناوأة لها لداع او آخر من الدواعى الحافزة على شيء من هذا القبيل ، فثمت تحديات يمكن اعتبارها « بريئة » كان مبعثها مجرد قصور فى ادراك القيمة العملية لهذا الاسلوب على درب الممارسة النضالية ، وهو قصور متأت — كما يعلم — عن عدم توثق الفكر النضالى فى العالم ، الى تجربة مثل هذا المنحى الانسانى فى معالجة القضايا المطروحة عليه ، واستخلاص الحلول لها عن طريقه .

وربما انساق من قصر عن ادراك شيء من هذا المعنى ، الى انكاره بالمرة ، وتحدي النموذج الفكرى الذى يمثله .

والواقع انه كان لا بد ان توجد جملة من التحديات على هذا القرار ، مطروحة نظريا او عمليا بمواجهة المسيرة الخضراء ، غداة ان اتخذت وجهتها نحو السبيل الذى استهدفته .

بيد انه كانت قائمة — الى هذه التحديات البريئة ، تحديات اخرى ، صادرة من ستراتيجية معينة ، محورها ، معاكسة تيار التاريخ الذى تجسده المسيرة .

وقد اكتست هذه التحديات « الستراتيجية » اكثر من صبغة ، فبعضها ذو صبغة نظرية ، شديدة التركيز على الارتياب فى صحة مبدا المسيرة كنهج فعال للعمل على تصفية التعقيدات القائمة .

ومنها ذو الصبغة السياسية ، ويعتمد على خليط من التنظيرات الايديولوجية ذات الطابع السياسى ، المقحمة بكيفية جزافية لتكدير صفاء الموضوع الذى هو بطبيعته صاف لا غبار عليه ،

والاستناد لجهل بعض الجهات فى العالم ، للاسس الصحيحة للقضية ، بغية استدراجها الى اتخاذ مواقف مجانية فى امرها ، تكثيفا لحجم التحديات « الستراتيجية » التى يقوم بها البعض فى الموضوع .

ومنها (من تلك التحديات) ما كان باعتبار طبيعته السيكولوجية مصوبا فى اتجاه احداث ضغوط نفسية على المدد البشرى ، المتكونة منه المسيرة ، وذلك بهدف التدخل المقصود فعليا او ضمنا ، فى توجيه نفسية السائرين على منوال معين ، بل والخلوص من ذلك — بقدر ما يمكن — الى تكييف نفسيتهم تكييفا ، يتناقض مع اهداف المسيرة ، عن طريق التثبيط المنظم للعزائم ، وتفتير حمي الهمم .

وقد ركز — خاصة — بموجب هذه التحديات — على الجانب التنظيمي للمسيرة ، وباعتبار ان هذا الجانب كان مضبوطا محكما من حيث التأطير والتسيير ، فقد كان هم التحديات « السيكولوجية » الموجهة ، محاولة اصابة مكامن الاستجابة النفسية لدواعي الانضباط ، والنيل من عفوية هذه الاستجابة ، حتى لا يكون هنالك مجال لاستمرار التطابق بين التنظيمات المعدة لاستيعاب الكتلة البشرية السائرة ، وبين تلقائية تجاوب السائرين مع هذه التنظيمات .

وثمت مكامن عدة لمحاولة التأثير عبر هذه ، ضمن نطاق التحديات « الستراتيجية » والذى سقناه هو من بين امثلتها الاساسية .

الا ان كثيرا من هذه التحديات — « الستراتيجية» انما كانت واقعة — بتأثير حتمية لا حيلة لها فيها — تحت مفعول ضرورة رد الفعل ، ازاء الفعل الذى احدثته المسيرة .

رد الفعل هذا ، كان عشوائيا فى عمومه ، وكذلك كل رد فعل تثيره سلبية التفكير ، التى لا تستطيع معايشة الايجابيات المنطقية .

وبقدر هذه العشوائية فى رد الفعل ، كانت صلابة الارضية التى برز عليها الفعل ، ممتنعا على كل التحديات ، كامل الحصانة تجاهها .

لقد شكلت المسيرة هى بالذات — وبمجرد وجودها — تحديا ضخما لمختلف الصعوبات القائمة ، وكان هناك من مظاهرها التنظيمية وملابساتها الفكرية والنفسية والحضارية ، ما اتخذ به هذا التحدى ، حجما لا قبل للعوامل المضادة بمواجهته ، الا ان مدلول هذا التحدى فى المسيرة كان يكمنه فى ايجابية الفعل والاستهداف ، وليس فى سلبيته كشأن عدد من التحديات المعترضة فى نطاق الظرف .

وبحكم هذه المميزات فى المسيرة روحا وموضوعا، فان الصعوبات التى كان عليها أن تتجاوزها ، لم تستطع ان تشكل امامها حاجزا ذا بال .

وقد كانت الصعوبات هذه ، المتخذة طابع التحدى ، ذات مآت مختلفة ، منها ما كان مصطنعا فى عين المكان على صعيد الارض المحتلة ، ومنها ما كان فى طور مخاض متستر او مكشوف فى بعض انحاء المنطقة الجغرافية التى توجد فيها الصحراء ، ومنها ما كان مأتاه من جهات دولية اخرى لها هى كذلك حالة من « الاهتمام » بالتطورات فى الاقليم ، مثل ما كان لـ « المهتمين » من « اهتمام » بذلك .

وبقدر ما كانت هذه الصعوبات متشابكة ملتوية ، كان تحدى المسيرة الخضراء لها باتا وجازما ، لكن مع اختلاف اساسى فى النهج والوسائل ، فقد كان النهج المتبع عند جانب ، نهجا مطبوعا بالمسالمة والسلام ، وكان نهج الآخرين نهج تهديد ووعيد ، وفى مناط اهم من هذا ، كان حافز المسالمين ، حافزا واقعا فى صميم مشاغلهم الوطنية المصيرية ، فيما كان الحافز عند « الآخرين » قائما فى نطاق استهدافات جيوبولتية واقتصادية ، وخاضعا لخط ستراتيجية نفوذ معينة ، لا علاقة لها بمصالح وطنية او اعتبارات حقوقية .

والى هذه التحديات « الستراتيجية » المنظمة ، ذات الطابع السياسى الدولى ، كانت هناك التحديات الفكرية ، الصادرة ببعض البراءة ، عن بعض اوساط الفكر والراى ، التى الفت أن تقيم الاشياء من خلال اقتناعات حاصلة لها ، تحسبها بمثابة معيار صالح فى كل ما بدا لها تقييمه وترتيبا على هذا ، قد تستبيح انطلاقا من اقتناعاتها الخاصة — اتخاذ موقف او آخر من بعض القضايا ، دون أن تعنى بالتأكد مما اذا كانت المواقف الفكرية المتخذة ، مستوعبة لشتى الاعتبارات اللازمة لصلاحيتها ، ومنطبقة بالضرورة ، مع اطلاقية الموضوع المنطلق ، وشموليته

على ان وجود التحديات ، الفكرية بالاخص (الصادرة عن نوع من البراءة فى التفكير) يمكن ان

يوجد تفسيره (لكن لا تبريره) فى بعض المعطيات التى لابست ظرف المسيرة ، متداخلة — خلال عمق اناى من ذلك — فى بعض جوانب الوضع التاريخى الذى تندرج فى نطاقه القضية بملابساتها البعيدة .

ومـن ذلـك :

1) آثار التراكم الكمى والنوعى ، للعزلة التى احيطت بها الصحراء خلال مدة غير يسيرة ، قبل عودتها لحظيرة الوطن ، الامر الذى نتج عنه نشوء عدد من الاغاليط التاريخية والمنطقية ، تجذرت بمرور الوقت فى اذهان بعض الذين يكتبون انطلاقا من مراى نظر « مجردة » وهم معدودون على اى حال ، وطفت على اقلامهم ، كما كان متوقعا ان تطفو ، بحكم كدرة الرؤية الواقعة لهم فى سياق الموضوع ، الا ان « تجرد » مثل هؤلاء اذا كان صادرا عن براءة فكرية حقيقية ، فان الحقيقة المنطقية التى جلتها لهم المسيرة وما بعدها ، لا بد ان تكون ساعدتهم — مهما يكن — على تصحيح مفاهيمهم وتصوراتهم ، والمظنون انهم فاعلون .

2) مؤثرات الخلط عند البعض بين « الايديولوجية » والمشروعية القانونية .

وبصرف النظر عن لا معقولية هذا الخلط ، وخياليته ، فان الذى لا شك فيه ، انه بدا واضحا لمثل هؤلاء ، سواء اثناء المسيرة او بعدها ، ان التحديات « الستراتيجية » الموجهة باسم الايديولوجية لمعاكسة منطق التاريخ والقانون فى موضوع الصحراء ، هى ابعد من ان تكون ذات علاقة ما ، بالمسائل الايديولوجية ، بل ان « مذهبة » المناورات بهذا الوجه ، لا تخرج عن دائرة التكتيك الذى يمكن ان يوضع فى بنيته اى اعتبار ، الا ما كان من اعتبارات المثالية « المذهبية » .

ولعل ما تكشفت عنه المواقف فى ظروف عملية تحرير واسترجاع الصحراء ، كان واضحا فى بلورة ما يجب ان يتبلور لمنظور هؤلاء من دلالات من هذا التـبـيـل .

3) تأثر آخرين — فكريا — بما بثته فى اذهانهم اوساط عالمية معينة عن طرف او آخر من اطراف العالم العربى ، فى مغرب او مشرق .

ويعلم الى اى حد ، تذهب ستراتيجية مثل هذه الاوساط ، فى اهتبال « فرصة » الصحراء لخلق نقطة توتر جديدة فى المحيط العربى ، تضاف الى عوامل التوتر المزمنة فى هذا المحيط ، وذلك بما يتطابق مع الهدف المتوخى فى توزيع الجهد العربى ، واضعاف طـاقـتـه .

ومن المنطقى ان يكون حسم المسيرة للتعقيدات المحبوكة فى عين المكان وحواليه ، قد استصفى الى حد كبير قيمة « الفرصة » التى كانت عائمة ، الامر الذى من شانه ان يدعو من كان واقعا ، — ببراءة فكرية — تحت تأثير ما ، من هذه التأثيرات المدبرة من قبل الاوساط المتربصة بالعرب — الى التحلل من قبضة تأثراته هذه ، وتفتيح بصيرته جيدا — على ما تعنيه عقلانية الامور وموضوعيتها فى هذا المجال .

فى استجلاء بعض الآفاق المرتبطة باصالة المسيرة الخضراء

ونأتى ونحن نستطلع — هكذا — ملامح الصورة فيما حسمته المسيرة الخضراء ، وركزته من ابعاد ودلالات — الى تبين بعض الآفاق الملابسة لها — فكرية وتاريخية وحضارية وحقوقية .

وكما سنرى ، فهذه الآفاق تعكس فى جانب منها مزيدا من مظاهر الاصالة فى هذه المبادرة التاريخية ، كما يعكس بعضها الآخر ، ركائز الارضية المعنوية التى انطلقت عليها ، واستهدفت فى مداها ، ما استهدفته من مقاصد .

الافق الفكرى

اسلفنا آنفا فى سياق هذا الموضوع ، ان المسيرة الخضراء ، تشكل طريقة فى التحرير ذات منطويات فكرية رائدة ، مما يجعل منها مجالا لتفتح فكرى على الصعيد النضالى ، خصب فيما ينم عنه ، ويفيد به .

ومن الاهمية بمكان ، ان هذه القيمة الفكرية المرموقة ، المنطوية عليها المسيرة ، هى قيمة مغربية على نحو كامل ، يتمثل ذلك فى كون المبادرة التاريخية التى تمت خلال نونبر الماضى ، كانت ذات مضمون مغربى بحت ، سواء من حيث موضوعها ، او الروح التى سادت جوها وحوافزها ، او من حيث الجهد المصروف فيها ، او التأطير المنتظم لها ، او باعتبار جهاز التسيير واساليبه ، او صورة المتابعة وممكناتها



متطوعون من السودان شاركوا فى المسيرة الخضراء تضامنا مع الشعب المغربي فى حقه

لقد كان كل ذلك مغربيا ، فى أتم ما يكون مدلول المغربية انطباقا على مقتضيات الحال ، ويدعو هذا ، الى استقبال ملاحظتين ، تنبثق احداهما عن صورة الحالة التى صنعتها المسيرة ، وتبدو الثانية من خلال وجهة المنطق فيها .

1) ان صميمية المغربية فى اصول المسيرة وتفرعاتها ، تجعل من الطبيعى ، أن تكون النتائج المستولدة منها نتائج مغربية بقدر ذلك ، وبكل ما يعنيه هذا الوصف من محتوى انسانى ، وما يدخل فى مدركه من دلالات حضارية .

2) فى مداخلة القيمة الاصولية للمسيرة ، تكمن ايضا قيمتها الموضوعية كاضافة خلاقة لحصيلة عبقريتنا القومية ، وكعامل اغناء لمضمون تراثنا الفكرى فى مناحيه الانسانية والسياسية .

والملاحظتان تتصلان اتصالا تكامليا فيما بينهما ، ومن مجمل هذا التكامل ، تتبادر لنا حقيقة اولية ، وهى انه بقدر ما كان للمسيرة من انعكاسات بعيدة الغور فى تصحيح صورة كياننا الترابية والبشرية ، فلا بد أنه سيكون لها بموازاة ذلك ، انعكاسات على محصولنا الفكرى بما فيه من جوانب ادبية وعلمية .

الافق التاريخى

تتخذ تاريخية المسيرة وجهين متتابعين ، احدهما ذو نطاق مستقبلى ، ويشير الى جذرية الاثر الذى احدثته المبادرة فى حياتنا الوطنية ، وفى نظرة العالم الينا ، والثانى ماضى النطاق ، وينبىء عن عمق الجذور النفسية التى تاصلت الحركة عنها — تاريخيا — ومظاهر هذا التجذر فى مجرى التطور التاريخى للبلاد .

اما من حيث الوجه المستقبلى لتاريخية المسيرة ، فمناطه الامكانية التى تهيأت لها لتصنف فى دائرة التحولات المرموقة على الصعيد العالمى ، مع ما تحمله — تبعا لذلك — من انعكاسات ذات شأن فى فهم جوانب من حركية التاريخ واتجاهاته ، فى الحقبة التى تمت فيها ، وفيما يتلو هذه الحقبة من مراحل .

واما الوجه الماضى لجذور المسيرة — تاريخيا — فيتجلى فى وجهة السير التى سلكتها نحو الجنوب بعد أن استمدت روافدها البشرية من مختلف ارجاء البلاد

ان هذه الوجهة لتدخل فى نطاق التفاعل الدائم الذى ما فتىء يجرى — على مدى الدهر بين شمال وجنوب ، مكونا معالم كبرى فى صورة التاريخ المغربى ، كما يعرف فى شتى الحقب .

ومن هذه المعالم ، تاريخ المرابطين بكامله ، وتاريخ ما بعد المرابطين فى تواصل ملحوظ على مراحل شاسعة .

الافق الحضارى

ان يستكثر بعض الملاحظين فى العالم على المغرب — تبيل انطلاقة المسيرة الخضراء — استطاعته مواجهة كل اعبائها ، حشدا وتنظيما واستيعابا ، واستيفاء متطلباتها ، شتى المتطلبات ، تجهيزا ونقلا ، وتموينا ، وايواء ، وتطبيبا ، وغيره ، فهذا لم يكن صادرا كله بالضرورة عن مجرد روح اعتراض او مناواة .

فالواقع ان الضخامة الفائقة التى تميزت بها ابعاد المسيرة من حيث الكثافة البشرية ، وحجم المستلزمات والوسائل ، كانت — حقيقة — مما يعسر على الكثير من هؤلاء الملاحظين تصور كيفية الايفاء به ، وهذا — بدوره — مترتب عن عدم تصورهم مبلغ الطاقة الحضارية لهذه البلاد ، وما هو متهيىء لها — بحكم رسوخ قدمها فى هذا الباب — من سعة افق فى التدبير والترتيب ، وطول نفس فى تطويق المصاعب التنظيمية وتذليلها ، وبعد جذور التقاليد المنصبة فيها مضامين مميزاتها هذه .

وقد كانت هذه الطاقة قوية الحضور فعلا فى نهج المسيرة ، وفى تأطيرها المادى ، بحيث ان ما حصل من ذلك ينم عن وفر عزيز الرافد فى ممدات القدرة الحضارية ، سواء على مستوى العقلية او الممارسة العملية .

لقد اوضحت المسيرة ، ان الاطار الحضارى للمغرب — وهو اطار جامع بين دينامية الذهنية الحضارية الحديثة ، والمعية العقلية الحضارية الاصيلة ، يسعه أن يستوعب من تعقيدات التنظيم العصرى ، قدر ما يستطيعه من ممكنات فى احتضان مقاييس التراث العملية والتنظيمية واستثمارها .

وهذه قدرة مزدوجة ، تعكس ـ كما هو ظاهر ـ نطاقا من الامكان ، موفورا لهذه البلاد ، في مستوى عراقة مواكبتها لتاريخ المدنية .

الأفق الحقوقي

تستمد القضية الوطنية التي انتظمت لنصرتها المسيرة الخضراء ـ اصولها الحقوقية من طبيعة تكوين الكيان المغربي ، ونوعية الحتميات الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والحضارية وغيرها ، التي لحمت ـ جوهرا ـ مكونات هذا الكيان ، واضفت عليه في نطاق استمراري ـ طابعه المتميز ، ونوعية هويته .

وجاءت ـ في 16 اكتوبر 1975 ـ فتوى محكمة العدل الدولية ـ لتكرس ـ من منطلق القانون الدولي ـ هذا المدلول الحقوقي لتكاملية الكيان المغربي في دائرة وحدته الطبيعية والتاريخية ، وذلك بما نصت عليه من وجود روابط البيعة بين المغرب وصحرائه ، وما أقرته ـ بفحوى ذلك من شرعية التلاحم ـ اصلا ـ بين اطراف هذا الكيان شماله وجنوبه ، الى اقاصي الجنوب .

وما توالت انظار المجتمع الدولي في القضية بعد ذلك ، (لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة، الجمعية العامة للمنظمة الاممية) الا وتظافرت الآراء الصادرة عنها ، على اخذ الوضع الناجم عن استرداد المغرب لحقه ، على اثر المسيرة الخضراء واتفاقية مدريد ، بعين الاعتبار ، بناء على مدلول توصيات الامم المتحدة نفسها ، في غضون الستينات وماتلاها ، وارتكازا على القانون الدولي في اظهر ما تنص عليه مبادئه .

* * *

تعيش الصحراء المغربية ـ وقد اهلت عليها طلعة الذكرى الخامسة عشرة لتربع جلالة الملك المعظم على عرش اسلافه المنعمين ، تعيش ، كبقية الوطن عرسها الكبير ، اغتباطا بمعاني الذكرى الكريمة ، واستشعارا للنعمة التي اوتيها الشعب المغربي باستكماله لوحدته ، والتآم شمله بابنائه .

وفي غمرة هذا الشعور ، تذكر المسيرة الخضراء بما كان لها من اثر مبدع في تحقيق ما تحقق من هذه النعمة ، وما تحتله ـ بحكم مدلول الحسم فيها على هذا النحو ـ من مكانة في تاريخنا ، تضعها بين الممع تحولات هذا التاريخ ، واخصبها مردودا .

سلا : المهدي البرجالي





اهتمام العرش العلوي المغربي بشؤون القضاء ورجاله

للاستاذ
محمد التاودي بن سودة

يطيب لي أن اتناول في حديثي ناحية هامة من النواحي التي شغلت بال ملوكنا العظام واستأثرت باهتمامهم كل اهتمام ، تلك الناحية التي يتعين على الباحث الاعتناء بها ولا سيما رجال القضاء في هذه الديار المغربية فانه يتاكد في حقهم ان يخصوها بالدرس والتنويه والاشادة حتى يدرك قضاتنا ومتقاضونا على السواء ما عمله اولئك الملوك طيب الله ثراهم في هذا الميدان الحيوي بالنسبة للدول والشعوب والامم .

نعم ان ملوكنا الحاكمين العادلين لم يالوا جهدا في ارساء قواعد العدل والحق والانصاف ببلدنا الامين ، ان هذه الناحية التي لفتت نظري اليوم لابرازها في هذه المناسبة الطيبة تعد الجانب الاساسي لحياة الشعوب لذلك نجد دولتنا الشريفة العلوية قد اعتنت بها لان العدل هو اساس العمران وبه تأسست بنيان الدولة الحاكمة التي اخذت بشؤون هذا الوطن العزيز قرابة ثلاثمائة وخمسين عاما لذلك نجدها قد خصصت العدل بعناية فائقة واضفت على رجاله ما يليق بمقامهم السامي من الاجلال والاكبار ، فلم يخل عصر من عصورها الزواهر من الاشادة بذكر العدل والانصاف والرفع من شأنهما. فكانوا يلزمون قضاتهم بما يكفل للمتقاضين لديهم كل ضمانة في الدفاع عن حقوقهم حتى يتوصلوا بها عن طريق الحكم والقضاء ، فقد قامت دولتنا حول القضاء المغربي بمجهود جبار واصلاحات متعددة تتناسب مع ايامهم وعصورهم بل خطت خطوات واسعة تتجلى فيما سنتعرض اليه في هذه الكلمة باختصار لان تتبع ذلك والاحاطة به يحتاج الى عدة مجلدات لمن اراد ان يستقصي في البحث من جميع جوانبه (انظر مثلا كتاب العز والصولة في معالم نظام الدولة ـ المطبعة الملكية بالرباط 1382 ـ 1962) ففيه الشيء الكثير فاقاموا باعمالهم واهتمامهم بهذه الناحية عدالة اجتماعية مثالية وصانوا القضاء ورجاله عن كل ما يحط من قيمته او يسوء الى سمعته ، فكانوا رحمهم الله اسوة صالحة في هذا الميدان بما عملوه وشيدوه، وبما كانوا يجعلونه لنيل هذا المنصب الجليل من شروط للصحة والكمال لا بد من تحققها فيمن يسندون اليه هاته الخطة السامية التي لا يوازيها الا منصب الخلافة العظمى ، اذ كانت الامور كلها بيد القضاة النزهاء الاكفاء الا ما فيما يرجع الى تجهيز الجيوش ونظام الحرب وما يتبع ذلك من شؤون الدفاع عن الاوطان ، فكان الملوك فمن دونهم ينزلون الى ما حكم به القاضي ويرونه امرا شرعيا لا يحيد عنه الا كل خارج عن ربقة الدين (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ، الآية) .

كما انهم كانوا لا يتدخلون في أحكام القضاة النزهاء العدول بل كانوا يرون ان استقلال القضاء هو اول شيء يجب ان يتوفر عليه القضاء الشرعي ، وقد اهتموا رحمهم الله بالمسطرة التي يجب ان يكون عليها التقاضي بين الخصوم بحيث تكون واضحة تسهل

على الناس الوصول الى نيل حقوقهم من اقرب طريق كما انهم قدس سرهم نظموا ما يتعلق بمن له اتصال كبير بالمعينين للقضاة على الاحكام من رجال اهل الفتوى والعدول والوكلاء والخبراء حتى تكون الامور مضبوطة ،ومعروفة لا يعتريها تدليس وتزوير او اعانة على الفجور ، كما يتجلى ذلك للقارىء الكريم من خلال موضوعنا الذي اخترناه بهذه المناسبة الطيبة السعيدة التي ينبغي ان يذكر فيها كل ما لدولتنا الحاكمة من امجاد في ميدان التشريع والقضاء وغيرهما .

فالحق يقال : ان دولتنا المالكة المتربعة على عرش مغربنا قد اهتمت بهاته الناحية وغيرها من طرق الاصلاح ، لا سيما القضاء الذي حظي لديها حظوة كبرى ، ونال عندها منزلة عظمى من اول يوم تأسست فيه الى عهدنا الحاضر ، كما ستقف على ذلك ايها المتطلع لمزيد من المعرفة واذيالها في هذا الحديث الذي اخترته لك وقدمته بين يديك .

وسينقسم هذا البحث الى ثلاثة اقسام اولها من لدن نشأة دولتنا الى زمن عهد الحماية بالمغرب وثانيهما من ذلك العهد الى يوم حصول المغرب على استقلاله ، وثالثها من يوم بزوغ فجر الاستقلال الى يومنا الحاضر .

ولنشرع في التعرض الى القسم الاول فأقول: ان اهتمام الدولة العلوية الشريفة المالكة يتجلى واضحا غاية الوضوح في اول خطاب توجه به الى الشعب المغربي امير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله حينما افضت اليه الخلافة العظمى حيث قال : « ايها الناس انني أحكم بينكم بالعدل ، واقابلكم بالحلم الذي عرف به البيت العلالي الى ان يقول في آخر خطبته وما ترقى الملك والامراء الا بالنظر في مصالح بلادهم ، والقيام بشؤونها ، ومن الواجب عليهم الزهد في مصالحهم الشخصية وشغل اوقاتهم بالنظر في مصالح اوطانهم .

ولذلك نجدهم يتحرون غاية التحري فيمن يسندون اليه هاته الوظيفة السامية التي هي النيابة عنهم في امر القضاء بين الناس فتراهم يبحثون عمن يتصف بالاوصاف التي تليق بهذا المنصب الرفيع في الدولة من كونه متضلعا في العلوم الاسلامية وبالاخص علم النوازل والاحكام عارفا بسيرة القضاة السابقين له في هاته الخطة لتكون سيرتهم له نبراسا يستضيء به فيما يزاوله من حكم وان يكون زيادة على ذلك له اطلاع واسع على روح التشريع الاسلامي ومعرفة اسراره وان يكون قد سبق له ان تعاطى العدالة والتوثيق اللتين هما بمنزلة المدرسة القضائية اذ ذاك لان القضاء صناعة لا بد من مزاولتها ، وان يكون متحليا بالزهد والاستقامة وحسن السلوك ، وان يكون حاصلا على اكبار وثقة في اعين المواطنين لانه قاضيهم الذي اليه يتحاكمون ، وعن رايه ينزلوا ولقضائه يستسلمون ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ، انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ، ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم » . لهذا المعنى سمي قضاؤنا بالقضاء الشرعي لان تشريعه ماخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ومن اجتهاد اهل العلم والراي وايضا فان القاضي على المسلمين هو امامهم في صلواتهم واعيادهم الدينية ، وبالجملة فان منصب القضاء من اعظم المناصب وخطته من اهم الخطط الشرعية المقررة في دواوين الاحكام ، عند المسلمين .

فلذلك كان ملوكنا رضوان الله عليهم يبالغون في البحث عمن تسند اليه هاته الخطة الرفيعة بالاضافة الى ذلك فان راي القاضي كان يؤخذ في الامور المهمة قبل الاقدام عليها ، ويستشار فيمن يستحق بقية الخطط والمناصب الاخرى في الدولة .

فهذا المولى الرشيد رحمه الله حينما عزم على تولية مناصب بمدينة فاس عاصمة ملكه ، بعث الى قاضيها ابى زيد عبد الرحمن ليدله على من يتولى ذلك ، وكان من وراء ذلك يرى ان لا يقدم على أي عمل من هاته الاعمال الا باشارة من احد قضاة مملكته المعروفين باستقامة والعلم والزهد والعدل والصلاح، وكان القاضي المذكور قد كبر سنه ملازما لداره فاعتذر له بعدم قدرته على التوجه الى قصر الملك ، فما كان من خليفة المسلمين العارف بقدر العلم وذويه الا أن توجه هو اليه بنفسه الى داره بدرب الدرج من حومة العدوة وكانت غرسة الدار موالية لحائط مصمودة ففتحوا له في حائط الفرسة نقبا . دخل منه اليه ، وماذا قال له بعد ما استقر في مجلسه قال له : جئتك لاستشيرك بمن اوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر ، فقال له أما الحاكم فلا اتقلده ،

والقاضي حمزون المزوار والمحتسب عبد العزيز المركني الفلالي ، والناظر العدل مسعود الشامي .

فهذه هي اهم المناصب في الدولة اذ ذاك بعد الوزارة الكبرى ، فكان ملوكنا رحمهم الله لا يقلدونها الا لمن اشار بتوليتهم اياها القضاة العدول الذين يخافون الله اشد الخوف وكان الملوك من جهتهم يقفون عند اشاراتهم ، وينفذون تعاليمهم من النصيحة الواجبة عليهم لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، فهذا ان دل على شيء فانما يدل على كبير عنايتهم بهذا المنصب السامي في نظر الشريعة الاسلامية .

وهذا ابو النصر الملك الهمام فخر الملوك والاقبال المولى اسماعيل ابو الملوك طيب الله ثراه ، يصدر كتابه الى الفقيه العلامة القاضي الاعدل بفاس الجديد ابي العباس احمد ابن الحاج السلمي المرداسي يقول فيه : وبعد فقد ورد على ابوابنا العالية بالله الرجل الصالح ابو العباس الكبير احمد بن ناصر بقصد الزيارة ، فطلبنا منه النصيحة والدلالة على رجل من اهل الظاهر وستر الباطن نستعين به على امور ديننا ودنيانا ، وما نحن بصدده من امور الخلافة ، فخيرن فهم الجد منا دلنا عليك ، هكذا كانوا يختارون القضاة بعد طول التاني ومشاورة اهل الدين والصلاح حتى يكون تعينهم لهذا المنصب في محله . فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا واثابهم على نياتهم الصالحة وقد ظهر سر ذلك للعيان وصح اعتباره في كل الازمان التي تقلبت فيها دولتنا المحافظة على ديننا الحنيف .

كما شمل اهتمامهم ايضا جوانب عديدة في سبيل اصلاح شؤون القضاء بوطننا العزيز فنظموا شؤونه واحكموا بنيانه بما سطروه من مساطير لعلها سبقت عصرها أن تفوقت على ما هو معروف عندها ، لتسيير مسطرة القضاء التي يتبعونها في منهاج احكامهم ، والتي يتخذونها نبراسا يضيء لهم الطريق السوي ، ولتوصلهم الى اصدار الاحكام في النوازل والقضايا على اختلاف اشكالها وانواعها في اقرب سبيل لتكون هاته المسطرة بعيدة عن التطويل والجور والظلام والتعدي واكل اموال الناس بالباطل ، اذ الشغب والفجور لا يسوغه مسوغ شرعي ، ولا تقره عدالة اجتماعية . فهذا الخليفة الاعظم والسلطان الافخم العلامة المحدث الواعية المؤلف الشهير امير المؤمنين المجدد المصلح سيدي محمد بن عبد الله طيب الله ثراه قد بادر الى ابراز اصلاحات عدلية في عهده . وأيام ملكه ، نعم قد اخذ فيما اخذ من تشريع واصلاح فشرع مسطرة قضائية يتمشى عليها وبها القضاة بايالته الشريفة ، فكان من السابقين في هذا الميدان بل كان من اول المتزعمين لحركة اصلاح العدلية الشريفة .

فرغم ماكان معروفا لدى القضاة من مساطير قضائية يرجع عهدها الى عهد دولة الاسلام بالاندلس المبسوطة في كتب النوازل والاحكام من تبصرة لابي فرحون ، وتحفة الحكام لابن عاصم ومن لامية الامام الزقاق وغيرهم من رجال الحكم والنوازل والتوثيق ، فان هذا الخليفة رضي الله عنه احب ان يضيف الى كل ذلك بعض القوانين التي رآها مفيدة في عهده وعصره ؛

لهذا نجده قد نظم العدلية الشريفة حيث اصدر ظهيره الشريف الذي يقول فيه : يعلم من كتابنا هذا اننا نامر سائر القضاة بايالتنا ان يكتبوا الاحكام التي يوقعونها بين الناس في كل قضية ولا يهملوا كتابة الحكم في شيء من القضايا ، وليكن المكتوب رسمين يأخذ المحكوم له رسما بيده حجة على خصمه ، اذا قام عليه يوما ويأخذ المحكوم عليه رسما ليعلم ان القاضي حكم له بالمشهور من اقوال الفقهاء ، وعلى كل قاض من القضاة ان يعمل بموجب ما ذكرناه ، ويقف عندما رسمناه ، لكونه حكما شرعيا ، ومنها جابين قضاة العدل مرعيا ، ومن خرج عما ذكرناه ، بان حكم ولم يكتب حكمه ، او لم يشهد عليه العدول فهو عندنا معزول ، ولتناله العقوبة في هذا الامر ، حتى يجري عليه عمل القضاة ولا يهملوه الا في المحقرات التافهة من المقالات ؛

فهذه اول خطوة فيما اظن خطاها اصلاح القضاء في عهد هذا الخليفة العظيم ، والداعية الكبير المهتم بأمر رعيته ايما اهتمام ، فاصبح من يومئذ كل قاض من بعد هذا الظهير الشريف اصدر حكمه الا ويلزمه ان يكتبه في نسختين احداهما يتمسك بها المحكوم له ليكون بيده سندا لما حكم له به وليتحقق المحكوم عليه ان القاضي قد استند فيما حكم به ، عليه ، على النصوص الفقهية المشهورة او الراجحة او ما جرى به العمل اما ان لم يكن مدعما بما ذكر فله اصدار فتوى من العلماء على انه غير صواب وله طلب مراجعته لاعادة الحق الى طريقه وصوابه وهل هذا الا مجلس الاستئناف الذي يعقب الاحكام الخارجة عما سن وشرع في هذا المرسوم الملكي .

هذا ما قصده هذا الخليفة من سن هاته المسطرة الاولى من نوعها الواجب اتباعها لدى كافة المحاكم ، وبذلك تستقر الاحوال ، ولا يتكرر طلب الحق الواحد مرتين ، ولا يلجأ ذوو الخصومات الملدون الى استصدار احكام ربما تكون متضاربة فيما بينها ، وبذلك يقل الشغب ويذهب الفجور ، وتستريح المحاكم من امثال هؤلاء المتلاعبين بالاحكام والمتهاونين بامر الشرع المطاع ، كما انه الزم القضاة باشهاد عدلين على احكامهم حتى الطريق على قضاة السوء بما يتحيلون به من نكران لما سجل عليهم من احكام ، فلنعمت هاته الخطوة الاولى التى خطاها امامنا رحمه اللـه .

ثم اتبعها بخطوة اخرى جبارة فى سبيل اصلاح عدليتنا الشريفة بما سنه لها من تبسيط للمسطرة يتبعها قضاة الايالة اجمع ، مشتملة على فصول سبعة تتلخص فى النقط الآتية :

1) ان لا توكل المراة زوجها لاستخراج حقوقها خوفا من توصله بذلك الى اكل اموالها بعد الحكم لها بها « وكم شاهدنا امثال ذلك » ولها ان توكل احد اقاربها « تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور » .

2) عدم المعاملة مع من ظهر افلاسه حتى لا يؤدى ذلك الى ضياع الاموال ، وان يشهر بالمفلس فى الاسواق والمحلات العمومية الشبيه ذلك بالجرائد والمجلات اليوم حتى يغتر احد بمعاملته .

3) اما من له صنعة يتعيش منها وركبه دين فللقاضي ان يقتطع من اجرته نصفها لتدفع لرب الدين فى الدين المترتب على المدين .

4) من ثبت افلاسه شرعا فانه ينفى من البلاد فان عاد اليها فى السجن

5) اذا ضرب الزوج زوجته بدون موجب شرعي فان القاضي لا يطلقها عليه فى اول الامر بل ينزلها عند اقاربها حتى يتوب اذ لعله يرجع عن غيه فلا يجد امراته طلقت عليه « لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا . »

6) اذا كانت المعاملة تتوقف على تاخير فى اداء الثمن فلابد من ايداع رهن للايفاء بذلك توفيقا للحق على القول الذي يقول ان الرهن يسوغ فى المعاملات واو فى الحضر اما قوله تعالى « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا برهان مقبوضة الاية » لان من العلماء من يرى ان سبب النزول لا يخصص .

7) من اراد تفويت ملك من املاكه لابد من ان يحضر للقاضي مستندات ملكه ، حتى لا يقع المشترى ضحية بالبائع المغرر له وبذلك تقل المنازعات والخصومات فى هذا الشان .

فهذه هي اهم الاصلاحات التى قام بها هذا الخليفة الهمام رحمه الله فى ميدان القضاء وغيرها « انظر كتاب العز والصولة للمؤرخ الكبير المولى عبد الرحمن ابن زيدان ففيه الشيء الكثير وحديثنا لا يتسع لجلب ذلك كله هنا » .

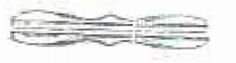
ومن اهتمامهم ايضا بشؤون العدالة اصدارهم لضوابط الشهادات التى يتلقاها العدول لتكون جارية على المنهاج الصحيح وطبق القواعد الشرعية وما سنه فى شانها اهل التوثيق ، مع مراعاة ما جد فى عصرهم عن حوادث تدعو الى مزيد من الضبط والاتقان ، حتى لا تضيع حقوق المتعاملين ، من ذلك الظهير الشريف الصادر من المولى الحسن الاول الى قاضيه بمكناس ابى العباس احمد بن الطالب ابن سودة المرى المؤرخ 1291 وهو مشتمل على نقط مهمة وحساسة انظرها فى كتاب العز والصولة ج 2 : 48

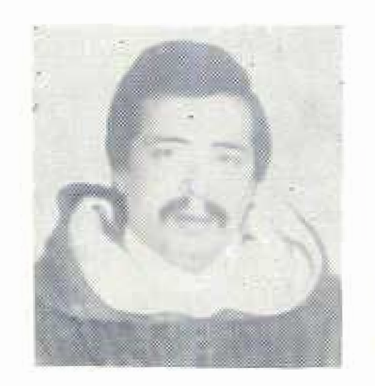
كما انه قدس سره امر قاضيه المذكور ان لا يكتب العدول الوكالة لذوى حماية الا على شرط اسقاطها ولا يكتبونها لمجهول الحال الا بالاشادة عليه انه ليس من اهل الحمايات ، ليتسنى فى حقهم ان تنالهم الاحكام التى تصدر حولهم

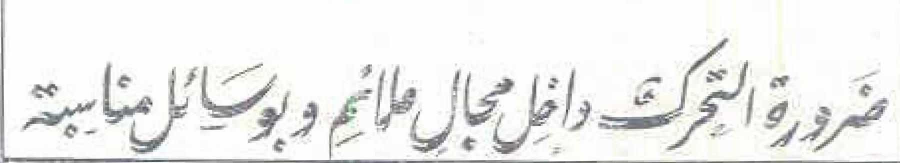
كما اعتنى ملوكنا رحمهم الله بامر الافتاء الذى يقوم به طائفة من رجال العلم والفقه وهم اشبه ما يكون بالمحامين اليوم بان يضرب على ايدى الجهال منهم وان لا يفتوا للخصمين معا وان تكون فتواهم آخذة بالقول المشهور او الراجح اما ما جرى به العمل وقد اعتنى بهذا الامر بالخصوص المولى محمد بن عبد الرحمن قدس سره فقد اصدر ظهيرا فى هذا الشان مؤرخا فى 25 رمضان عام 1274 هجرية الى عامله القائد بن العربى السعيدي بطنجة انظره فى المصدر السابق اما ما عرف عنهم من احترام للاحكام التى تصدر عن القضاة واستقلال للقضاء ووحدته وعدم

التدخل فى شيء من هذا الجانب فهو امر معروف عنهم توارثوه ابا عن جد وتمكن فى قلوبهم ورسخ فى اذهانهم منذ أن دخل الاسلام فى هذا الجزء المغربى من الوطن الاسلامى يكفى للتدليل على هذا القدر ماساقه المؤرخ الكبير مولاى عبد الرحمن ابن زيدان فى كتابه « العز والصولة ج 2 : 18 » حيث قال : وكان للقضاء الشرعى نفوذ واسع واختصاصات متنوعة بحيث يشمل القضايا الجنائية والشخصية والعقارية ، وترجع اليه دعاوى المعاملات ضرورة ان الشرع الاسلامى متسع الاكناف لكل ما يمكن تصور حدوثه على وجه الارض القضايا الخ .. الى ان يقول وكان استقلال القضاء معين القضاة على تنفيذ الاحكام الشرعية فى أسرع من لمح البصر ، كما جاء فيه ايضا : وكانت وحدة القضاء سائدة فى جميع اجزاء المغرب ، وكافة اطراف حواضره وبواديه بربره وعربه وكانت الشريعة الاسلامية جارية معمولا بها فى جميع ما ذكر ولم يكن مسموحا لاحد فى ان يتدخل فى شؤون القضاء الاسلامى ابدا بل ان التاريخ يحفظ لنا ان ملوكنا رحمهم الله كانوا من اشد المحافظين على عدم التدخل فى شؤون القضاة او فى احكامهم وقد تضافرت مراسيم ملوكنا العلويين فى هذا الامر العظيم ، ولا احتاج الى جلبها كلها بل نقتصر على بعضها فقط : من ذلك الظهير الصادر من المولى الحسن الاول المؤرخ فى 26 رمضان عام 1303 الموجه الى عامله بفاس الحاج عبد الله بن احمد وبعد فقد تشكى قاضي مكناس بفرط ترامى ابناء واشياخ الزراهنة على الاحكام الشرعية ، وكثرة دخولهم فيها والتعرض لها بلا حياء ولا تقية حتى نشا بذلك فادح الضرر فى الدنيا والدين ، والتشغيب على المسلمين ، مع ان الاحكام على انواعها واصنافها شرعية ومخزنية انما هي مقصورة قصر افراد عليك ولا مدخل لامين ولا لشيخ فيها .. الخ وغير هذا الظهير فى هذا المعنى كثير وانما هو قل من كثر هذا ما يرجع الى القسم الاول من هذا البحث الذى اخترت ان يكون موضوع حديثي . واما القسم الثاني من البحث فسيكون موضوع حديث مقبل بحول الله والسلام

الرباط **محمد التاودى ابن سودة**







للاستاذ ابو عدنان عبد القادر البوشيخي

ويسالونك عن حركات المسيرة

اية مسيرة اعنى واية حركة ؟ اهى حركة المتطوعين امام مكاتب التسجيل فى صفوف طويلة متعرجة ؟ ام هى حركتها والحماس يكاد يزحزحها عن صوابها، وهى تهتف بحياة ملكها وصحرائها وتجوب شوارع مدنها قبيل لحظة الانطلاق ؟ ام هى حركة القطارات الهادرة فى جوف الليل والشاحنات تشق عباب الرمال المتلاطمة ؟ ام هى حركة ذلك الزحف الرهيب الذى قامت به الجموع البشرية مخترقة الحدود الوهمية هاتفة الله اكبر ، لبيك اللهم لبيك ؟

ام هى حركة دبلوماسيتنا ورؤساء احزابنا وبعثتنا النشيطة التي تجولت فى مختلف بقاع العالم مقنعة اياهم بعدالة قضيتنا ومشروعيتها ؟ ام هى تلك الحركة التى صححت الخطأ الذى ارتكبته الامم المتحدة باتكائها على فكرة تقرير المصير وتجاهلها لقرارها المتخذ سنة 64 والمطالب باجراء مفاوضات مباشرة بين المغرب واسبانيا من اجل تصفية الاستعمار فى الصحراء المغربية ، تلك الحركة التى انتشلت ملفنا من ارشيف الامم المتحدة ـ بعدما كاد ان يختنق داخل قفص تقرير المصير ـ وطارت به الى رحاب محكمة العدل حيث ازهر الاطار القانونى لمسيرتنا الخضراء ؟ ام هى حركتنا الادارية والتنظيمية التى سهرت على رعاية المسيرة وطى مراحلها ـ بداية ونهاية ـ فى نظام ودقة عجيبين ، اثارا دهشة واعجاب الاعداء والاصدقاء وبرهنا على اننا شعب عبقرى عظيم عريق فى الحضارة والمجد ؟ ام هى حركتنا العسكرية البطولية التى تظفت ولاتزال ـ صحراءنا الحبيبة ، وطهرت رمالها ـ ذرات انفسنا من الدخلاء والمرتزقة والمنحرفين ؟ المجد لجيشنا والعزة لمتطوعينا .

او لعلها تلك الحركة الفكرية والوجدانية التى اثارتها الخطب الملكية الاخيرة والتى استقطبت اذهان ووجدان المغاربة قاطبة ، وحولت صحراءنا السليبة الى كعبة وقبلة وقطب جاذب ، وواجهة لماعة نقرا عليها ايام غرا وسطورا خضرا من تاريخنا وماضينا المجيد ؟ او لعلها تلك الحركة النفسية الشعورية التى فجرها نجاح المسيرة ، فتفجرت فى اعماقنا كل احاسيس الشعور بالفخر والاعتزاز والعظمة ؟ اننا لنشعر بالزهو ، واننا بالنخوة والفخر كلما تذكرنا ايام المسيرة الخضراء ، وكيف ننساها فننسى اجمل لحظات عشناها وامتعتها ؟

مركز واطار فكرى واحد

انها حركات انطلقت داخل اطر مكانية وزمانية وسياسية وقانونية وعسكرية وادارية وفكرية ونفسانية ، وجرت على مستويات وداخل قنوات متعددة . ولكنها حركات متوازنة ومتوازية يتمم بعضها بعضا ، ويركب بعضها بعضا ، وتزحف كلها

نحو هدف رئيسي ، كشحنات اليكترولية تدور حول مركـــز النـــواة الذرية . اذ انهـــا جميعـــا ترجع الى مصـــدر واحـــد وتستمـــد قوتهـــا وفاعليتها من حركة جوهرية عامة تنبع من قلب النواة المركزية، ويحيطها اطار كلي وينظمها تنظيم وفكر واحد. وتلك عبقرية ملكنا العظيم الذي شهد له العالم اجمع بالحكمة والحنكة السياسية والتبصر في معالجة القضايا الشائكة العويصة ، والذي لا تزيـده الايـام والاحداث والمواقف الا اشراقـا وسطوعـا وتميـزا واضحا.

الزاوية والمنظار :

عندما قررت ان اكتب عن المسيرة تساءلت من اية زاوية انظر اليها ؟ هل اعرف بها ؟ كلا، لقـد تجاوزت المسيرة ذلك، وعرفت نفسها عن طريــق اجهزة الاعلام من جرائـد ومجـلات واذاعة وتلفـزة وسينما ، محدثة زلزالا فكريا ونفسانيـا لا زالـت هزاته واهتزازاته مستمرة لحد الآن، ليس في المغرب فقط، وانما في العالم باسره، فلم يعد هناك فـرد مميز لم يسمع بالمسيرة الخضراء، او يشاهد صورا ساكنة او متحركة لزحف بشري هائل يولي صدره صوب المدافع والرشاشات والاسلاك الشائكة والالغام ولا سلاح له الا المصاحف والايمان. اذن فالاقـلام التي تحاول التعريف بالمسيرة هي كشموع تحاول ان ترشد الاعين الى شمس ساطعة !

هل اقوم بتحليل المسيـرة وتحديـد ابعادهـا ورسم اهدافها ؟ مستحيل هذا في الوقت الحاضـر على الاقل ، ربما يتاح ذلك للاجيال اللاحقة . . اذ هي كما قلت حركات واتجاهـات ومستويات واهـداف، واذا كان استرجاع الصحراء هو الهـدف الواضـح الساطع فليس هو بالهدف الوحيـد والفريـد الذي وصلناه عبر جسر المسيرة. فلقد كانت جسرا الى الصحراء والى الماضي والى المستقبل والى اعمـاق نفوسنا. وحققت اهدافا سياسيـة وفكريـة ونفسية واجتماعية وتربوية ؛ والذي يحاول ان يسيطر على المسيرة فكريا ــ غير مبدعها ــ ويحـدد اهدافهـا وابعادها هــو كمــن يحـاول اصطيــاد حــوت ضخم في حجم سفينة عملاقـة بشبكـة من خيـوط العنكبوت !

هل اقوم بالقاء الضوء على جانب من جوانبهـا وابراز بعض الدروس والعبر والعظات ؟ هذا ممكـن وذاك ما فعلت.

ومع هذا التناول الجزئي فانني اسمح لنفسـي بان ارجو من القارئ الكريم الا ينطلق من الافكار الى المسيرة، بل الاتجاه المعاكس هو الصحيح. ارجوه ان يقرأ من خلال الاستعراضات والخطب الحماسيـة للوزراء الموقرين والعمـــال المحترمين في جمــوع المتطوعين ، من خــلال الزحــف والخيـام والعمائـم السـود والشموع ، من خلال الخطب والندوة الملكية واضواء الكاميرات الساطعة. من خلال ملهام العقول والرعاية الملكية ، وتجديد بيعة الجماعة الصحراوية من طرف السيد خاطري ولد سعيد الجماني ورفاقه. من خــلال الصحفييــن العالمييــن وآلات الارســال والالتقاط والتصوير. مـن خــلال العبــور التاريخـي والرجوع في نظام وانضباط عجيبين، وبكلمـة مـن خلال واقع المسيرة الحي النابض لا من خلال الفكر الصارم الجامد.

وقد بدأت بنفسي فلم انطلـق من تخطيـط او تصميم جاهز، وانما من احساس حاد بعظمة المسيرة وتاثيراتها الحاسمة على مستقبل المغرب . وهـذا الاحساس كون كتلة ضغط هائلة ضغطت على قلمي ووجهته يرسم ــ طائعا ــ صيغا عقلية من خلال احداث المسيرة. فليعذرني القراء الكرام اذا ما خلطت عملا صالحا وآخر سيء وجمعت بين اشياء تبدو متنافرة واستعملت المصطلحات في غير اماكنها. وعذري انني منفعل بالمسيرة متاثر بها خاضع لضغطها، لا اكـاد افكر الا من خلال زجاجها واشعتها والوانها، فحيثما وجهت فكري اصطدم بالجمــوع الغفيـرة وحماسهـا وهتافها ، وحاصرته القطارات والشاحنات والرمال والعمائم والاعــلام والرايــات. حتــى امتزجت في وجدانــي التيــارات والافـلاك السمـاويـة بالاطـر، والمنظومات الشمسية بالمسيرة، والنجوم بعناصرها والشمس بقائدها وحافظ توازنها. ولذلك جاءت هذه الكلمة مزجا ــ قد يبدو غريبا ــ بين الفكر المجـرد وواقع المسيرة الخصيب.

افكار غامضة اوضحتها المسيرة

كنت اعرف شيئا عن المجال والحركة، والاطار والعناصر، الجزء والكل، وعناصر المجال من اهداف ووسائل وعوائق، وامكانيات وحوافـز وحواجـز ، وضرورة التوازن بين الغايات والوسائل. الا ان هذه المعلومات كانت في ذهني مجردة باردة وغامضة ، تفتقر الى المثل الحي والتطبيق على الواقع المعاش.



ويسالونك عن حركات المسيرة .. ؟!

اذكر مثلا انني القيت في السنة الماضية درسا في دراسة المؤلفات، وكان الدرس تحليلا لنص ادبي لابن المقفع جاء في بدايته «اما بعد، فان لكل مخلوق حاجة، ولكل حاجة غاية، ولكل غاية سبيلا، ولكل وقت للامور اقدارها وحيا الى الغايات سبلها..» وان الطالبات امطرنني بوابل من الاسئلة تتركز كلها على العلاقة بين الوسيلة والغاية، وتدخل الارادة الالهية في التوقيت، وتهيىء السبل والوسائل. واذكر ان اجاباتي كان يعتريها غموض، لان العلاقة بين الطرفين ـ الوسيلة والغاية وهما العنصران الرئيسيان في مجال التحرك ـ كانت في ذهني غامضة حتى اذا جاءت موجة المسيرة الخضراء وركبناها كوسيلة عظمى وتخطينا على ظهرها حواجز مادية بوسائل معنوية، وسقطنا عدة عصافير بحجرها الوحيد، وحققنا اهدافا اكبر من امكانياتها المادية بفوارق خيالية . ورأينا كيف حفت العناية والالطاف الالهية بمسيرتنا وتدخلت حتى في الهام الفنانين ليبدعوا اناشيد حماسية ونشيدا «العيون عيني» لجيل جيلالة و «نداء الحسن» كلمات فتح الله الامغاري، وتلحين عبد الله عصامي وغناء المجموعة ـ خير شاهد . اقول حتى اذا جاءت المسيرة وعشناها باعصابنا وقلوبنا وفكرنا واحساسنا اتضحت الغوامض ، وخرجت الافكار المجردة الى دائرة الواقع الحي المتحرك الساخن. فما ساعرضه من افكار انما ابصر نور الوضوح من خلال قنواتها الخضراء.

الاطار ـ او مجال التحرك ـ والعناصر

لكل موجود او حدث ـ سواء كان ماديا ام معنويا ام مركبا منهما ـ وجودان : ذاتي فردي آني، وموضوعي جماعي تاريخي. يقتضي الاعتبار الاول النظر اليه على انه واحد صحيح مستقل عن غيره مقطوع الصلة بالعناصر المتواجدة في مجاله ، قائم بنفسه ، يستمد وجوده وفاعليته وقدرته على الحركة والتاثير من قواه الذاتية. هدفه الدوران حول نواته منبع وجوده ـ الفردي ـ ومصدر قوته. كما لو نظرنا الى حركة المسيرة على انها حركة مستقلة عن كل التحركات السياسية والقانونية والعسكرية والفكرية والنفسية ، وانها حققت هدفا واحدا فريدا هو استرجاع الصحراء ، وان عمرها الزماني محدود بداية ونهاية بيومي الانطلاق والرجوع.

اما في الاعتبار الثاني فينظر الى الموجود او الحدث على انه كسر وجزء من كل، وعنصر في اطار يضم عناصر واحداثا متشابهة او متنافرة ، تربطها خيوط متشابكة ذات ابعاد وامتدادات متعددة المستويات والاتجاهات تنتهي لدى حرفي الاطار او الشبكة او الكل المتكامل الذي يحيط العناصر ويحدها وينظم حركتها.

وفي هذا المستوى الجماعي العالي من الوجود تستمد العناصر والاحداث وجودها وقيمتها وفاعليتها وقدرتها على الحركة من روح وكيان الكل، وحركته العامة المشتقة من النواة المركزية للاطار. وهدف الموجود هنا ليس مقصورا على تحقيق ذاته والدوران حول نواتها وانما ايضا الدوران حول العناصر الاخرى والتأثير فيها. كما لو نظرنا الى المسيرة على انها حدث داخل اطار يضم عدة عناصر واحداث، وهي هنا تستمد قوتها وفاعليتها ليس فقط من دقة التنظيم والطاعة والولاء المطلق لولي الامر، وانما ايضا من الاحداث والتحركات السابقة والموازية لها. ويمكن ان نتصور مثلا وجهة المسيرة لو لم انها لم تتحرك داخل اطار قانوني اقرته محكمة العدل عندما اعترفت بوجود علاقة بيعة بين قبائل الصحراء وملوك المغرب. او لو لم تقم بتلك الحركة الديبلوماسية والاعلامية الهائلة التي اقنعت العالم باننا طلاب حق مسلوب . او لو لم تقم بتلك الحركة الفكرية والوجدانية التي عبأت النفوس وحولتها الى طيور مجنحة تتلهف لحظة الانطلاق والطيران الى العالم الصحراوي السحري المجهول المعلوم ! او لو لم يكن هناك جيشنا الباسل يصون الحدود ويسد الثغرات في وجه المتسللين ويحمي ظهر المسيرة . او لو لم يكن شعبنا البطل قد تدرب على المظاهرات ومقابلة القوة المادية باشياء معنوية. اذن فحدث اجتياز الحدود الوهمية ـ من خلال هذه الزاوية ـ ليس الا عنصرا مؤثرا متاثرا وان كان اعظم العناصر واشدها فاعلية وتاثيرا واقربها الى قلب وجوهر الاطار الكلي الذي انطلقت من نواته المركزية تلك الحركات والاحداث.

وعمرها لا يبتدىء بيوم انطلاقها وانما هو سابق على ذلك . ويمكن ان نرجع بداية تكوين مجالها الى اليوم الذي صادقت فيه الجمعية العامة للامم المتحدة على طلب صاحب الجلالة نصره الله القاضي باحالة القضية على محكمة لاهاي . كما ان عمرها لم ينته بيوم الرجوع ؛ بل هي حية باقية ، تؤثر فينا ، وستظل تؤثر في الاجيال اللاحقة الى ان يرث الله الارض ومن عليها. بل انها ستنسحب على الماضي. فبالاضافة الى انها دفعتنا الى الاعتزاز بتاريخنا واصالتنا وماضينا



فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ !

فانها ستدفع الكثير من المفكرين الى الغوص فى اعماق التاريخ المغربى والتنقيب فيه عن بذور هذه القوة العجيبة التى طفت الى السطح اثناء المسيرة، وسيعاد النظر الى الماضى من خلالها وستدخل تاريخ المدارس الفكرية والفلسفية كأعجوبة واحدوثة القرون. وكاهم نظرية فلسفية مزجت بين الفكر والحركة والحسابات الدقيقة والواقع المتغير السريع التحول، والنظام الصارم والنفوس الجياشة.

واذا كانت جوانبها الفكرية والفلسفية لم تظهر بوضوح ـ كجانبها السياسى ـ فمرد ذلك الى اننا مبهورون بأشعة المسيرة المتبعثة من حركتها السطحية لا نكاد نفطن وننفذ الى تياراتها الباطنية التى توارت كنجوم حجبتها عن اعيننا اشعة شمس ساطعة تشرق من اطار قريبا من قلب الاطار المحيط لكل الحركات والموجه لها.

تأثير الاطار فى عناصره

اذا تغير وضع العنصر داخل الاطار تغيرت قيمته واهميته تبعا لقربه او بعده من قلب الاطار مركز الحركة والارادة الجماعيتين، وتبعا كذلك لفاعلية حركته واتساقها او تناقضها مع الاتجاه العام

وتزداد قيمة واهمية العنصر او الحدث اذا كان داخل اطار ملائم له مناسب لخصائصه . وفى وضع يتيح له مجال التحرك بحرية تسمح له بابراز قواه الذاتية . وتقل هذه القيمة او تنعدم اذا كان داخل اطار مناقض له، متنافر مع خصائصه مؤد الى تجميد قواه وشل فاعليته. فلو بقى ملف الصحراء داخل اطار تقرير المصير بأرشيف الامم المتحدة ولم «يهاجر» صوب اوربا لضاعت الصحراء الى الابد. لان الامم المتحدة نسيت او تناست قرارتها السابقة ولم تعد تنظر الى قضيتنا الا من خلال مبدأ تقرير المصير الذى اقرته لجنة تقصى الحقائق المسيسة. وكان هذا الاطار خانقا لقضيتنا وقاتلا لها. واحالة القضية على محكمة العدل كان يعنى تغيير الاطار المناقض بآخر افضل وأنسب، لان مستنداتنا ووثائقنا الصحراوية وهى اسلحتنا القانونية ومعتمدنا لم تكن تجدى فتيلا لو طرحت على طاولات الجمعية العامة للامم المتحدة، بينما كان المجال القانونى ـ لمحكمة لاهاى ـ خصبا ومناسبا ومثمرا.

وعلى هذا فالاطر ضربان : ضرب حى مرن دينامى يسمح للمتحرك داخله باللعب بكل اوراقه الرابحة واستعمال كافة اسلحته على اكمل وجه حتى تؤتى اكلها وتوصل الى افضل النتائج باقل التضحيات. وضرب صلب صارم وجامد، يعوق حركة العنصر ويجمد قواه ويحد من فاعلية اسلحته او يعدمها نهائيا. واذا انتقل العنصر المرفوض الى اطار مناسب له واكتسب قوة اقوى من الاطار المناقض والواقعى له، وعاد اليه فانه يستطيع ان يؤثر فيه ويصبغه بصبغته، والشاهد على ذلك هجرتان وعودتان : فلقد حان وقت توقف فيه المد الاسلامى بمكة تحت ضغط الطرف المكى وقيمه وعاداته، ولم يعد ممكنا الزيادة فى كمية المسلمين، وتحول الاذى الذى لحق بهم الى ظرف نفسى خانق كاد ان يؤثر على الكيفية عند بعض الضعاف ان لم يكن قد اثر بالفعل. وكانت الهجرة تغيرا للاطار المكانى وبالتالى النفسى. وكانت المدينة المنورة هى الظرف المكانى المناسب لنشوء المجتمع الاسلامى وابراز فاعلية الاسلام. ونقل ملف قضيتنا الى «لاهاى» كان هجرة نحو الحق وحرية التصرف وابراز القوى الذاتية. وقد عاد الاسلام الى مكة قويا وفتحها وادمجها فى مجاله، وعادت قضيتنا الى الامم المتحدة قوية مقنعة مؤثرة. وتجلى هذا الاقتناع والتأثير فى مصادقة الجمعية العامة على مشروع القرار التونسى الاردنى السينغالى الذى يزكى ويبارك الاتفاق الثلاثى الاسبانى المغربى الموريطانى.

فاعلية العناصر :

لكن لا يجب ان تذهب بنا المغالاة والافراط فى تقدير اهمية الاطار الى الطرف الثانى فنسقط من حسابنا عامل العناصر والافراد وقواهم الذاتية. فاذا كان الاطار مثلا فكرة فان العناصر مادة طبيعية طيعة او عصية منضبطة او غير منضبطة هادفة او شاردة . وقد نجحت مسيرتنا ذلك النجاح الحاسم لا لانها فقط تحركت داخل خطة دقيقة ونظام محكم ومهدت لها واحاطت بها عدة اطر ومجالات مناسبة، ولكن ايضا لان العناصر المنفذة كانت طيعة ومنضبطة وهادفة ومتفانية فى محبة ملكها ورمز وحدتها.

فأهمية الاطار الفكرى ترتكز على التصميم والتوجيه وعدم السماح بحركة خارجة عنه او صادمة لاحد قوانينه، حتى يكتب للحركة النجاح، (للانسان حرية الحركة والتصرف بنجاح ما دام ذلك داخل حدود النواميس الالهية والقوانين الكونية، والحسابات

هكـــذا همـــة الرجـــال تكـــون ...

الدقيقة والمقادير المضبوطة ـ القدر ـ فاذا ما اختلت معادلاته وغلطت تقديراته ، او جمع في حركته فصدم احد القوانين ـ وهي جوفي الاطار ـ تلاشت ظروف نجاحه ودخل منطقة الفشل. واذا ادرك الانسان اسرار القوانين والنواميس فانه يستطيع ان يركبها وسائل لغاياته، ويستغلها لمصلحته. اذ هي خاضعة لمدرك سرها). فالتأثر والتأثير متبادل بين الكل والاجزاء ، والاطار والعناصر ، والخطة والحركة ، والتصور والواقع، والصيغة والحدث، والقشرة واللباب، والحركة الكلية العامة وحركة العنصر. فكلما بالغنا في اهمية الصيغ المنطقية المجردة، اقللنا بالتالي من اهمية الواقع الحي في الوقت نفسه وبالمقدار نفسه.

بل ان بعض العناصر ما يكون قويا الى درجة التأثير في باقي العناصر وفي الاطار نفسه. وقد اثر نجاح مسيرتنا في تحركاتنا السياسية والاعلامية والعسكرية واعطاها قوة ، وطبعها بطابع المشروعية، كما اثرت هذه في المسيرة وفي بعضها البعض . الا ان المسيرة طغت وكسفت ما عداها لانها كانت اقوى العناصر اطلاقا واقربها الى جوهر ومركز الاطار الكلي.

ويمكن ان اقول ان الاقليم الصحراوي ـ كعنصر مكاني واجتماعي ـ سيؤثر على بقية الاقاليم او العناصر الاخرى وسيفرض وجوده القوي وحضوره الدائم.

بل ان لي كامل اليقين ان المغرب الجديد الذي ولد يوم انطلاق المسيرة سيكون ذا «مناخ» صحراوي وليس هذا اسراف في التخمين والخيال، بل حقيقة مستمدة من التجربة والواقع. فالصحراء كانت دائما وأبدا مركز انطلاق القوى المغربية عبر التاريخ الطويل . وعظماء ملوك المغرب كانوا اما صحراويين او ينحدرون من عائلات سبق ان استقرت بالصحراء.

وليس من الضروري ان تكون الصحراء الآن مركز انطلاق القوة المغربية ـ مكانيا ـ بل يكفيها ان تكون مفجرا لهذه القوة حتى ولو كانت بالشمال .
ولقد فجرت فينا الحماس، وفجرت فينا الاعتزاز بالماضي، وفجرت فينا الشعور بـ «النحن» والادراك الحاد لعامل الوحدة الحاسم. وعمامة الاجداد الم يعد لها اعتبارها ؟ انظر الى هؤلاء الشبان المتجولين في الشوارع وهم يتفجرون حيوية وحماسا ونشاطا ، يعلو جبينهم الاسمر الساطع تلك العمامة السوداء التي تزيدهم جمالا وجاذبية وقبولا. من كان يظن قبل بزوغ فكرة المسيرة ان العمامة سيكون لها هذا الاعتبار في اعين الشباب ؟ هذه هي الهدايا البواكر التي قدمتها لنا الصحراء وستقدم غيرها كلما ازددنا قربا من قلبها وروحها الطافحين بالهدايا والحب.

سياتي الى هنا سكان العيون وسمارة والداورة والحكونية والداخلة وغير ذلك من المدن الصحراوية والرحل، وسيؤثرون فينا بملابسهم وعاداتهم وتقاليدهم واخلاقهم السمحة وبساطتهم وعفويتهم ، وسنذهب الى هناك وسنؤثر ونتأثر ، لكن الغلبة للاقوى، والجنوب اكثر اصالة من الشمال واشده تشبثا بالروح والقيم المغربية ومثلها ، لذلك ستنتصر الصحراء وستفرض وجودها ونظرتها الى الحياة، ستاخذ من الشمال العلوم والتقنية وستمنحه الروح المغربية الصحراوية الاصيلة. واعظم بها منحة.

بل ان اليوم الذى تتحول فيه العيون ـ او الحسنية البيضاء ـ الى مركز اشعاع ثقافي وحضارى في افريقيا قاطبة لهو آت وقريب بلا ريب ، ففي بحر هذه السنة سيوضع الحجر الاساسي لجامعة في العيون تضم اقساما لكليات الآداب والحقوق والطب، وغير ذلك من فروع المعرفة والعلوم الانسانية، كما صرح بذلك السيد ادريس البصرى كاتب الدولة في الداخلية، في جموع الطلبة الصحراويين الذين جاءوا لتجديد البيعة والاعراب عن مغربيتهم وتعلقهم بعاهلهم الشرعي جلالة الحسن الثاني ايده الله وسدد خطاه.

اخواني الشماليين، اخواني الصحراويين ، لنسجد لربنا شكرا ونسبحه بكرة واصيلا، على ما اعطى واسبغ واسبل واسدل من نعم لا تحصى. لقد جاء نصر الله والفتح ورأينا آباءنا وابناءنا واخواتنا وأجدادنا وشباننا الصحراويين يعودون الى الاندماج في اطارهم المغربي الاب الرؤوف الرحيم العطوف ـ افواجا . فلنهيء لهم مكانا ليس في الرباط او الدار البيضاء او طنجة او مراكش او مكناس او فاس ، ولكن داخل قلوبنا وفي اعماق نفوسنا .

اخواني الصحراويين ، لقد فتحنا لكم قلوبنا وبوأناكم عرشها بجانب ملكنا الحبيب فافعلوا بها ما تشاءون.



ورفعت الراية فوق كثبان الرمال ، وردت الصحراء الى اهلها ..

عناق المغرب وتونس

كنت اضع مسودة لهذا المقال يوم جرت مباراة الاياب بالملعب الشرفي بين المغرب وتونس برسم اقصائيات مونريال. وبينما انا افكر في امثلة محسوسة للاطار والعناصر ، شرعت التلفزة في نقل وقائع المباراة، فلم ار مثلا ملموسا واكثر حسية وواقعية منهما. فقد كانت تجرى - كغيرها من المباريات - في اطار مكاني هو الملعب - المحدود بمستطيل ابيض - واطار زماني ، وهو 45 دقيقة لكل شوط ، واطار قانوني ، وهو القوانين والانظمة والتشريعات المسيرة لكرة القدم عموما، والاقصائيات الدولية خصوصا ، واطار فكري ، وهو الخطة التي رسمها المدرب، واطار نفسي، وهو الحالة النفسية العامة لدى اللاعبين والجمهور المتحمس.

والخطأ الذي كان يقع او يمكن ان يقع انواع، يهمنا ان نذكر منه ما يأتي : نوع يكون بتخطي وتجاوز حوافي الاطار، كخروج الكرة خارج الشرط، او اللعب خارج الوقت القانوني، او خارج الخطة التي وضعها المدرب ، اما النوع الثاني فهو حالة الشرود التي تجسد معنى العشوائية داخل الاطار وانعكاساتها السلبية على الحركة العامة للفريق. وفي اللعب الفردي يتجسد معنى تفكك العلاقات بين العناصر وضعف الروح الجماعية وانحلال الصيغة او الخطة وتلاشي الارادة الجماعية. وفي الحماس والقذفات المتبادلة والحركة السريعة والخفة والحيوية التي تسود اثناء اللعب الجماعي وسيطرة الروح الجماعية - نجد تفسيرا لقولنا ان العنصر - في حالة وجوده الجماعي العالي - يستمد قوته وفاعليته وحيويته من الروح الجماعية وقلب الكل، فعندما تتلاشى الانانية والفردية والذاتية يصبح كل جزء «كلا» تنبع من قلبه الروح الجماعية وتضيف الى قوته قوة.

وقبل ان اتابع الحديث عن تلاحم المغرب وتونس اشير الى ان كثيرا من الصحفيين الذين رافقوا المسيرة اندهشوا للابتسامة الدائمة التي لم تكن تفارق محيا المتطوعين، ولتلك الروح المعنوية العالية التي كانوا يتمتعون بها، ولتلك السرعة الخارقة التي قطعوا بها المسافة الفاصلة بين الطاح والداورة، حتى ان بعضهم وصفها بأنها مباراة في العدو الريفي وقد حكى لي كثير من المتطوعين انهم كانوا يشعرون بقوة غريبة، وانهم كانوا لا يكفون عن الحركة طول النهار، بينما يقضون جل ليلهم في الرقص والغناء وتبادل النكت والحكايات المضحكة، وأن من غلبه النوم كانوا يضعون في شفتيه سيجارة مشتعلة حتى اذا لسعته استيقظ واخذ مكانه في الحلقة. وحكى لي أخي وهو دركي عظلي من مؤطري المسيرة، انه قضى ثلاثة ليال متوالية دون ان يغمض له جفن، ولم يحس بأي الم او ارق او عرض من اعراض النوم. والسر في هذه القوة العجيبة التي كان يتمتع بها المتطوعون والمؤطرون لا يرجع الى جو الصحراء الصحي كما اعتقد البعض، وانما يكمن وبالذات في الروح الجماعية التي سادت المسيرة، تلك الروح التي حولت المغرب كله الى قلب يخفق بمحبة ملكه وصحرائه، وفكر واحد لا يفكر الا فيها. وحيثما سادت الروح الجماعية انبثقت القوة الغيبية. «ويد الله مع الجماعة».

وأعود الى مباراة الملعب الشرفي لاقول ان بيت قصيدها ليس في كونها مثالا ملموسا للاطر الكافية والزمانية والقانونية والفكرية، ولكنه يكمن في روحها ومناخها. فقد سادها جو اتسم بالروح الرياضية والايخاء والمحبة والاحترام المتبادل. وقد صفق الجمهور لكل من اتقن فن اللعب سواء كان مغربيا ام تونسيا. وهذا الجو الاخوي لم يسبق له مثيل ابدا في المباريات الاقصائية السابقة التي جرت بين المغرب وتونس.

والسر في ذلك انه كان لموقف الجمهور المغربي من الفريق التونسي خلفية فكرية عاطفية نابعة من الموقف المشرف والنبيل الذي وقفته تونس الشقيقة - رئيسا وحكومة وشعبا - من قضيتنا العادلة.

وعبد ربه شخصيا لم احب الفريق التونسي كما احببته ذلك اليوم حتى لو انتصر واقصى فريقنا. فلم اكن ارى فريقا يلعب على ارضية خضراء ، وانما الشعب يعانق المغرب في مسيرته الخضراء. وقد جمحت بي لحظة حلم على خيال مجنح ؛ فلم اعد ارى فقط الاعلام التونسية والمغربية والبرتغالية - كان الحكام برتغاليين - ترفرف بجانب الملعب ؛ بل رأيت كل الاعلام التي عانقت علمنا الاحمر في مسيرته الخضراء، وكانت بي اذ ذاك رغبة جامحة في ان اعانق ليس فقط الشعب التونسي في شخص فريقه، وانما كل الشعوب التي اعلنت تأييدها لنا او شاركت في مسيرتنا، او صوتت لصالح المشروع التونسي الاردني السينغالي.

ولقد دفعتنى الاعتزاز بمساندة هذه الشعوب لنا ووقوفها بجانبنا الى الارتفاع فوق ذاتى فنسيت فرديتى ووجودى الآنى، وشققت قشرة انـاى ونـواة انانيتى وانيتى واصبحت لا شىء، وذبت فى «كـل» كنت اذ ذاك تونسيا واردنيا وسينغاليـا وموريطانيا وغابونيا وسودانيا وفلسطينيـا وسعوديـا وعراقيـا وكويتيا وقطريا وبحرانيا ولبنانيـا الـخ. احببت الفرنسيين والاسبانيين والالمانييـن وغيرهـم مـن الاوربيين الذين ساندونا سياسيا او عملا. كنت ذرة فى محيط كل شعب وقف الى جانبنا واعلن تأييـده لنـا.

قبل وعناق واحترام عميق

كلما رأيت على شاشة التلفزة صحراويا ساكتا منصتا او متحركا او متكلمـا الا وددت ان اعانقـه واقبله . وقد تحققت هذه الرغبة بطريقة ما على يد الاستاذ المحترم السيد احمد بن سودة عامل جلالـة الملك على الاقليم الصحراوى وابن جامعة القرويين البار. (جامعة القرويين دائما فى واجهـة المعـارك. ففى عهد الحماية كانت مركزا لتعبئة النفوس وبـث الحماس والاعتزاز بالوطن والعرش، واثناء المسيـرة الخضراء ارسلت علماءها وخريجيها يؤطرونها بروح دينية فيعظون ويرشدون، واليوم ها هى ترسل احد خريجيها النجباء الى الصحراء عاملا لصاحب الجلالة وخطيبا مقنعا، مؤثرا ومعبرا بصدق عن احاسيسنـا العميقة تجاه الصحراء والصحراويين. وغدا سترسل علماءها وخريجيها للتدريس هناك وبعث الاسـلام الذى لا زال صافيا وكامنا فى وجدان الصحراويين. حقا ان مسيرتنا مسيرات وحركتنا حركات).

قلت ان العامل الموقر المحترم اروى الغليل، وحقق رغبتى ورغبة كل المغاربة، بما امطر اخواننـا الصحراويين من عناق وقبل حارة صافية وخالصة. كلمـا رأيت السيـد العامل يخطـب فى جمـوع الصحراويين او يتلقى بيعتهـم شفويـا وكتابيـا الا وتواردت على ذهنى صورة الرئيس الموقر المحترم السيد احمد عصمان، وهو يتقدم المسيرة الخضراء قرب مركز الطاح، بنظارته الصحراوية رفقة اعضـاء حكومته الموقرة. فازداد يقينا بان مقاليد امورنا فى ايادى امينة ملهمة وموفقة، ويزيدنى ذلك اعتزازا بوطنى وفخرا.

فللسيد العامل احمد بن سودة وللسيد احمـد عصمان وأعضاء حكومته الموقرة، جزيـل الشكـر، وعميق الاحترام.

وليكن عناقنا ـ نحن البعداء القرباء ـ لـروح الصحراء وقيمها ومثلها؛ ولتكن قبلاتنا علـى جبين سمارة والعيون والداورة والداخلة.

وكل عيد وأنتم بخير ايها القراء الاعزاء، وتقبلوا تهانئى الحارة بمناسبة عيد العرش المجيد، وميلاد المغرب الصحراوى الجديد.

مكناس ـ ابو عدنان عبد القادر البوشيخى

قبل المسيرة الخضراء :



للشاعر المدني الحمراوي

لبيك صحراءنا ؛ انا على اهـــب   لبيك يا وادي الآمال والذهـــب
لبيك من اطلس الاحرار يا وطنـــا   لم ينتسب عرقـه الا الى العـــرب
فانت فى كل عين نور مقلتهـــا   وانت فى كل فكـر غايـة الارب
غدا تعود الى اهل لهم خـــرب   عليك يا خير مسلوب ومقتـــرب
فها هنا - لو ترى - شعب برمتـه   مشمـــر للقـــاء فيـك مرتقب
قد صاح فى مسمع الدنيا بصرخته   ولم يدع سببـا الا الى سبـــب
رمى باهوائه ؛ فصـار متحــدا   وبات ملتحما بالدين والحســب
واصبحت تلكم الانساب ذائبـــة   فصبها صاهر الاجماع فى نســب
دنيا تمـوج بآمـال يصدقهـــا   عزم يكاد ينال رقعة السحـــب

* * *

نحن المغاربة الاحرار حوزتنـــا   حرز منيع الحمى مناعة الشهـــب
ولا ننام على ضيـم تباح بـــه   اوطاننا - سفها - من اي مغتصب
فنحن نحن اباة الضميم من قـدم   ونحن اظفر فى الهيجـاء بالغلـــب
ونحن من دق آناف الطغـاة علـى   صخور اطلسنا المستوعر الأشـب
فلتلتمس جارة البوغاز قصتنــا   من دارها ، ومن الآثـار والكتـــب
تر اليقين الذي يوهي عزائمهـــا   ان حاولت أن تسوس الجد باللعب
فان يكن غرهـا منـا تريثنـــا   فالريث يقضي بنا غدا الى غضـــب
وكيف تهناهم صحراءنا ، ولنـــا   بارضها كلف ، وحرص منجـــذب
والشعب اقسم فى سهل وفى جبل   على اغاثتها ، وجد فى الطلـــب
وامة الاطلس الشماء عابســـة   عبوس مستوفز امسى على اهــب
باتت عزائمها تغلي ، وانفسهـــا   تحتد فى حنق من شدة الحـــرب
ترجو وتنتظر الايذان من ملــك   دعا الى الحق بالاعمال والخطـــب



اعضاء الوفود الشقيقة والصديقة يتتبعون باهتمام خطاب صاحب الجلالة بمدينة أكادير
وهو يعطي الاشارة الاولى للانطلاق ...

وسوف نسترجع الصحراء راضية … ولن ترى بعد في أسر وفي كرب
انا بنوها ؛ فلا نرضى بدلتها … بل نفتدي امنا بالنفس والنشب
عزيزة تخلب الاعماق رنتها … حبا ، وتغمها بالعطف والحدب
واحاتها يملأ الابصار منظرها … حتى كأنه في الاحساس لم يغب
تدنو وان بعدت ، فالقلب موطنها … والحب قربها منا على كثب
وددت لو لمست كفاي رملتها … وسرت في صعد بها وفي صبب
فأملا العين من قومي واصحبهم … وامتطى مثلهم رحلا على قتب
واستقي من زلال العين ان وردوا … ما بين منحجر وبين منتقب
وتسمع الاذن لحن الحب منبعثا … من موكب لحسان الحي منسرب
(جرارها على الاكتاف مائلة … وهن في حذر من كل مقترب)
يتفرن نفر ظباء القفر في خفر … ولا يحادثن غير الاخوة النجب
وفي خيام هناك كل مكرمة … بعدها سروات القوم كالقرب
فان نزلت بهم تنزل على نفر … من الكرام لهم ايثار محتسب
صدق الحديث ، وصدق الود شيمتهم … وصون حوزتهم بالمرهف الذرب
لهفي على اخوة شطت مضاربهم … وبات ربعهم المحبوب في رهب
لهفي اذا ذكر الصحراء واصفها … وراح يندبها كالثاكل النجب
صحراء ؛ يا املا في كل جانحة … وكل قلب بنار الشوق ملتهب
لبيك يا درة الاوطان عن عجل … انا فداك من هول ومن توب
صبرا قليلا ؛ فقد جاشت ضمائرنا … ولاح فجرك في داج من السحب
وكاد صالحنا يعلي عقيرته … بالزحف في جحفل معصوصب لجب
يمده مثله بل ضعفه عددا … ولو الى غاية الآماد والحقب
ولا نبالي بمن يجتر احنته … ولم يبادر الى الحسنى ولم يجب
فنحن نحن اذا هاجت عزائمنا … وصممت لم تهن ، كلا ولم تخب
فلنرتقب ما به يوحي متوجنا … فانه رائد الاسلام والعرب
ناهيك من بطل فرد بلا شبه … من عنصر طيب الاعراق منتخب
مفاخر الحسن الثاني اذا ذكرت … لم يبق في جنبها فخر لمنتصب
وهذه بيعة التأييد قد عقدت … له من الشعب عن حب وعن رغب
نمشي وراءه والآمال تدفعنا … ولا نقصر في عدو وفي خبب
وتلك عادتنا في المجد من قدم … ولن نعود سوى بالفوز والغلب

الرباط : المدني الحمراوي



للشاعر محمد بن علي العلوي

عرين جدودنا وحمى ابينا   يفاخر بالبنات وبالبنينا
لقد ولد الاشاوش كي يردوا   عن الاوطان كيد الطامعينا
وانجب للمفاخر والمعالي   عباقرة الملوك الخالدينا
فكانوا مثل ما قد شاء اسدا   تقاوم من يهين لها عرينا
وكانوا مثل ما يهوى اباة   عظاما فى الكفاح مناضلينا
فعش وطني عظيم القدر حرا   تضم لك القلوب هوى مكينتا
وعش وطني كما تهوى عرينا   تهيم به قلوب العاشقينا
لقد انجبت من وهبوا نفوسا   وربيت الاباة المخلصينا
براك الله فى الدنيا بديعا   كما شاء المهيمن أن تكونا
وصورك الاله فكنت فنا   تقربه عيون الناظرينا
ملات قلوبنا حبا ونورا   وكم عشنا بظلك آمنينا
فاحببناك مذكنا صغارا   نداعب فى حدائقك الفصوتا
واحببنا سهولك والصحاري   واحببنا جبالك والمعينا
واحببنا سماءك والمغاني   واحببنا عبيرك والعيونا
عرفنا الحب فى زمن التصابي   وصيرنا بهاؤك مغرمينا
فمتعنا النفوس بحب ارض   حباها الله خير الحاكمينا
يصون ترابها ويرد عنها   بحكمته ايادي الطامعينا
فيا شمس الهداية فى حمانا   ورائد امة تحمي العرينا
ويا حسن المفاخر والسجايا   وسيدنا امير المؤمنينا
لقد ناديت شعبك فاستجابت   اليك مواكب المتطوعينا



اعضاء الوفد الاردني برئاسة دولة السيد احمد طوقان نائب رئيس مجلس الاعيان ورئيس الوزراء سابقا لدى وصوله الى المغرب للمشاركة في المسيرة الخضراء

وود الكل ان يحظى بمجد ... به حظي الأباة السابقونا
ولولا الحصر في عدد لضمت ... مسيرتنا الاشاوس اجمعينا
فياعجبا لأبواق تصدت ... لتسمع من يقر بها طنينا
وقد كنا نظن بها جميلا ... فخيبت المسامع والظنونا
وياعجبا لأقوام تناسوا ... جميل بلادنا متنكرينا
تضم صدورهم حسدا مشينا ... وقانا الله شر الحاسدينا
سلوا التاريخ ينبي عن علانا ... ويرو الحق والخبر اليقينا
سلوا عنا الحضارة والمعالي ... سلوا عنا المفاخر والفنونا
سلوا الهيجاء عنا كم تركنا ... خصوما في الحروب مجندلينا
وكم عرفت مواطننا انتصارا ... وكم حمل المحيط لنا سفينا
وكم كنا نجوب البحر نهدي ... الى سبل الرشاد الغافلينا
وها هي ذي مسيرتنا تخطى ... لصحرانا الحواجز والحصونا
باقدام السلام ندوس حدا ... اقام حصونه المتجبرونا
نبرهن عن مقاصدنا ونعطي ... دليلا قاطعا للمنصفينا
بان السلم مذهبنا واننا ... لتحرير المناطق زاحفونا
سنشرب في العيون كؤوس شاي ... تهيئها ايادي الفاتحينا
معنبرة المذاق تضوع طيبا ... لها تهفو شفاه الشاربينا
بفضل الله والحسن المفدى ... سنرفع فوقها العلم المصونا
وتدخلها النساء مزغردات ... ويدخلها الرجال مكبرينا
وتفتح صدرها لبني ابيها ... وقد هزموا فلول الغاصبينا
وتخفق فوقها الرايات حمرا ... ترحب بالأباة القادمينا
تعانق اخوة وتزور أهلا ... ونسجد للمهيمن شاكرينا
مسيرتنا الى الصحراء خضرا ... ترافق في تحركها المبينا
ونسال ربنا نصرا وحفظا ... جنودا بالكتاب مسلحينا
وعين الله تكلأها وترعى ... لمولانا أمير المؤمنينا
وان يرعى ويحفظ للمعالي ... ولي العهد شبل الاكرمينا
ودم وطني كما تهوى عظيما ... نفاخر بالبنات وبالبنينا

فاس : محمد بن علي العلوي





للشاعر محمد الكبير العلوي

لهـذا الشعب ان يفتر كبـرا ... ويمتطى السمـا شرفا وقدرا
له بالعـرش مفتخـر وعـز ... يطول به على الجـوزاء فخـرا
قد امتلأت بقاع الأرض ظلمـا ... ولج المعتدى المحتـل مكـرا
فـدوت صيحـة الملك المفدى ... يقض دويهـا الأعـداء ذعرا
فكانت ثورة كبـرى اطاحـت ... بحكـم المعتـدى فانهد قسرا
اطلـت وهـي تكتسح اكتساحا ... وتشرق فى ظلام الظلم فجـرا
اضاءت وهي تجتاح الأعـادى ... فطبـق نورها الآفـاق طـرا
أيا حسن البلاد لـك التهانـى ... بكـل قصيـدة حسناء غـرا
فكـم حققـت عـزا وانتصارا ... ومعجـزة علـى الأيام كبرى
مكـارم آلهـا حسناء غـرا ... يفوح عبيرها فى الأرض نشرا
مكارم عاهل شرفـت وطالـت ... فاني لـن احيط بهـن حصرا
شغفت بصوغها فسما قصيـدى ... بديعا يسحر الألباب سحـرا
وما ادري أأنظمهـا عقـودا ... أزين بهن جيد الدهـر دهـرا
أم انثرها فتشـرق ساطعـات ... مضيئات علـى الأيـام نثـرا
ثناءك قـد فشا شرقا وغربـا ... فها أنا سوف أتلو منـه ذكرا
مكارمك العظيمة قـد دعتنـى ... لأنظم عقدها الـدري تبـرا
فضائلـك الجسيمـة أغرقتنى ... فها أنا خائض فيهـن بحـرا

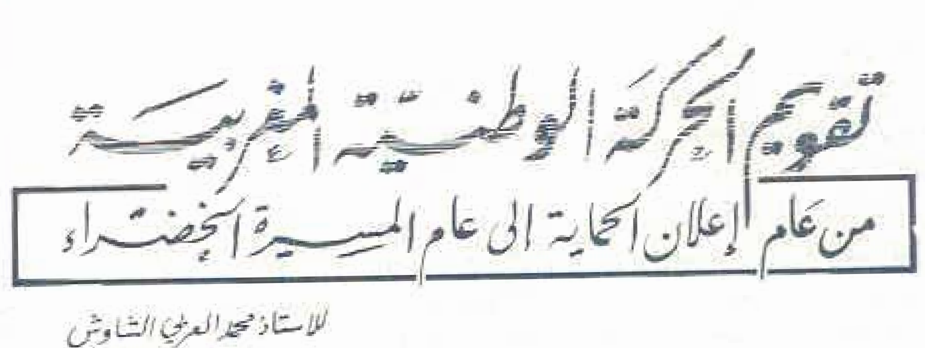


جلسة عائلية مع السيد خطري ولد سعيد ولد الجماني رئيس الجماعة الصحراوية

فقد عودتنا بمناك يمنا وقد عودتنا بسراك يسرا
اذا ما حزت مكرمة ومجدا اضفت لهذه ولتلك اخرى
فعذرا ايها الملك المفدى فقد اقصرت دون ثناك عذرا
وكم لك من مكارم شاهدات بانك بالثنا والشكر أحرى
فقد خطت بماء العز عزا وسجلها مداد الفخر فخرا
وتاه بها الزمان وقد اضاءت على صفحاته الغراء سفرا
شدت بثنائك الدنيا نشيدا فاطرب لحنها الأسماع سكرا
تسامي المغرب الأقصى رقيا بعهدك واعتلى واعتز حرا
وحررت البلاد وذدت عنها وثرت بها وقد حققت نصرا
اشعت العلم والعرفان فيها وقد اسعدتها بدوا ومصرا
وشيدت السدود بكل صوب واجريت المياه بكل مجرى
تريد لسائر الفقراء ثراء ولست تريد للمثرين فقرا
وما تطرى باشعار ولكن بك الأشعار والأمداح تطرى
بلغت بنا السما شرفا ومجدا فما في الناس من يسطيع نكرا
وكم حققت آمالا جساما رفعت بها عن الأوطان اصرا
وكم من نعمة لك فاجئتنا فضج الشعب افراحا وبشرا
كفانا ان جمعت الشمل منا وان وحدتنا بيضا وسمرا
وان اعليت رايتنا فقامت ترفرف في الجنوب الحر حمرا
ادام الله ملكك في اعتلاء بجاه جدودك الاعلين قدرا
ودام ولي عهدك وهو يسمو ودامت أسرة الشرفاء ذخرا

الرباط : محمد الكبير العلوي





تـوطئـة :

ان تاريخ الحركة الوطنية المغربية تاريخ حافل بالمفاخر والامجاد ، ولكن هذا التاريخ لم يدون الى الآن تدوينا تاريخيا قائما على الموضوعية والنزاهة والواقعية ، وهى الصفات التى ينبغى ان يتصف بها كل مؤرخ متحرر. لذلك تعددت الاقوال في هذا المجال بتعدد العاملين فى حقل الوطنية المغربية ، واختلفت باختلاف الاغراض والوسائل ووجهات النظر، وان كانت المبادىء والغايات متفقة ومركزة حول القضية الوطنية الكبرى وهى تحرير المغرب وتحقيق استقلاله وسيادته ووحدة ترابه.

وقد تتبع العالم ادوار الحركة الوطنية المغربية وأطوارها باهتمام بالغ وتقدير كبير منذ فرضت الحماية المزدوجة الفرنسية الاسبانية على البلاد سنة 1912 الى ان وقع الاعتراف باستقلال المغرب وسيادته سنة 1955، ثم ما بعد تحقيق السيادة والاستقلال من سنوات عامرة بالكفاح البطولى من اجل استكمال وحدة البلاد الترابية وتشييد مغرب ديموقراطى جديد ، الشىء الذى جعل الامة المغربية صاحبة هذه المواقف النضالية الخالدة من عام اعلان الحماية الى عام المسيرة الخضراء تحتل مكانة مرموقة ومنزلة بارزة بين الامم الناهضة المتحررة.

ولا ادعى بأننى فى هذا الموضوع سأقدم تاريخا جامعا للحركة الوطنية المغربية منذ نشأتها الى الوقت الحاضر ، او اننى سأتعرض فى هذا المقال لجميع الكليات والجزئيات فى هذا التاريخ الوطنى الحافل ، فهذا العمل يحتاج الى كتابة مجلد او مجلدات ، لا الى مقالة او مقالات.

وانما قصدت ان اذكر بكفاح مجيد فى مناسبة هى من مكاسب هذا الكفاح، وان ازيح الستار كذلك عن بعض المواقف الوطنية التى تحتاج الى دراسة تاريخية منصفة ، وأن اجعل من هذا الموضوع رؤوس اقلام واشارات للمهتمين بالحركة الوطنية التـى تعتبـر سلسلـة تاريخية يتصـل اولها بآخرها فى تناسق وانسجام.

الحماية والاحتلال :

لقد اصبح المغرب بعد فرض معاهدة الحماية فى 30 مارس سنة 1912 مقسما الى عدة مناطق : منطقة الحماية الفرنسية فى الجنوب ، ومنطقة الحمايـة الاسبانية فى الشمال، ومنطقة طنجة الدولية، زيادة على مناطق الاحتلال الاسبانى فى الصحراء وطرفاية وافنى من جهة ، وفى سبتة ومليلية والجزر الشمالية من جهة اخرى. وبهذا التقسيم الخطير فقد المغرب سيادته ووحدته، ، وصـارت وضعيتـه السياسيـة والادارية اسوأ وضعية فى العالم، اذ صارت كـل منطقة من المناطق المذكورة منفصلة عـن الاخـرى انفصالا تاما، ولم يعد فى امكان سكان تلك المناطق ان يتصلوا ببعضهم كمواطنين مغاربة اتصالا حـرا مباشرا، رغما عن الروابط العائلية والقومية والدينية

واللغوية التي تربطهم، ولا تسأل عما احدثته تلك التفرقة المفروضة من عنصرية ممقوتة وعصبية جاهلية وغربة رهيبة : حتى صار المواطن يعد نفسه غريبا عن اخيه واجنبيا في وطنه. ونشأت عن هذه الوضعية الشاذة الجائرة عقد نفسية خطيرة وظروف اجتماعية متفككة . وكان المستفيد من ذلك كله هو النظام الاستعماري المفروض .

واذا كانت بعض الاتصالات تتم بين بعض الشخصيات الوطنية في بعض الظروف، فانها كانت تتعذر تعذرا تاما في ظروف اخرى ، مما جعل الحركة الوطنية تتخذ مواقف واساليب تكاد تكون مستقلة عن بعضها في الشمال والجنوب، وان كانت متحدة في الروح والاهداف والغايات التي تتبلور جميعا في مقاومة النظام الاستعماري المفروض والمطالبة بالاستقلال والسيادة والوحدة.

المقاومة الاولى

والمعروف تاريخيا ان المقاومة الوطنية المسلحة للحماية المفروضة بدأت في شمال البلاد. في الناحية الجبلية بقيادة المرحوم الشريف مولاي احمد الريسوني الذي استطاع ان يكبد الغزاة الاسبانيين خسائر فادحة وان يعرقل تقدمهم في الشمال الغربي منذ اعلان الحماية سنة 1912. وفي الناحية الريفية بقيادة المرحوم سيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي بدأت حركته سنة 1921 وتمكن بسرعة مذهلة من التغلب على جيش الاحتلال الاسباني وتحرير مواقع هامة في الشمال الشرقي للبلاد.

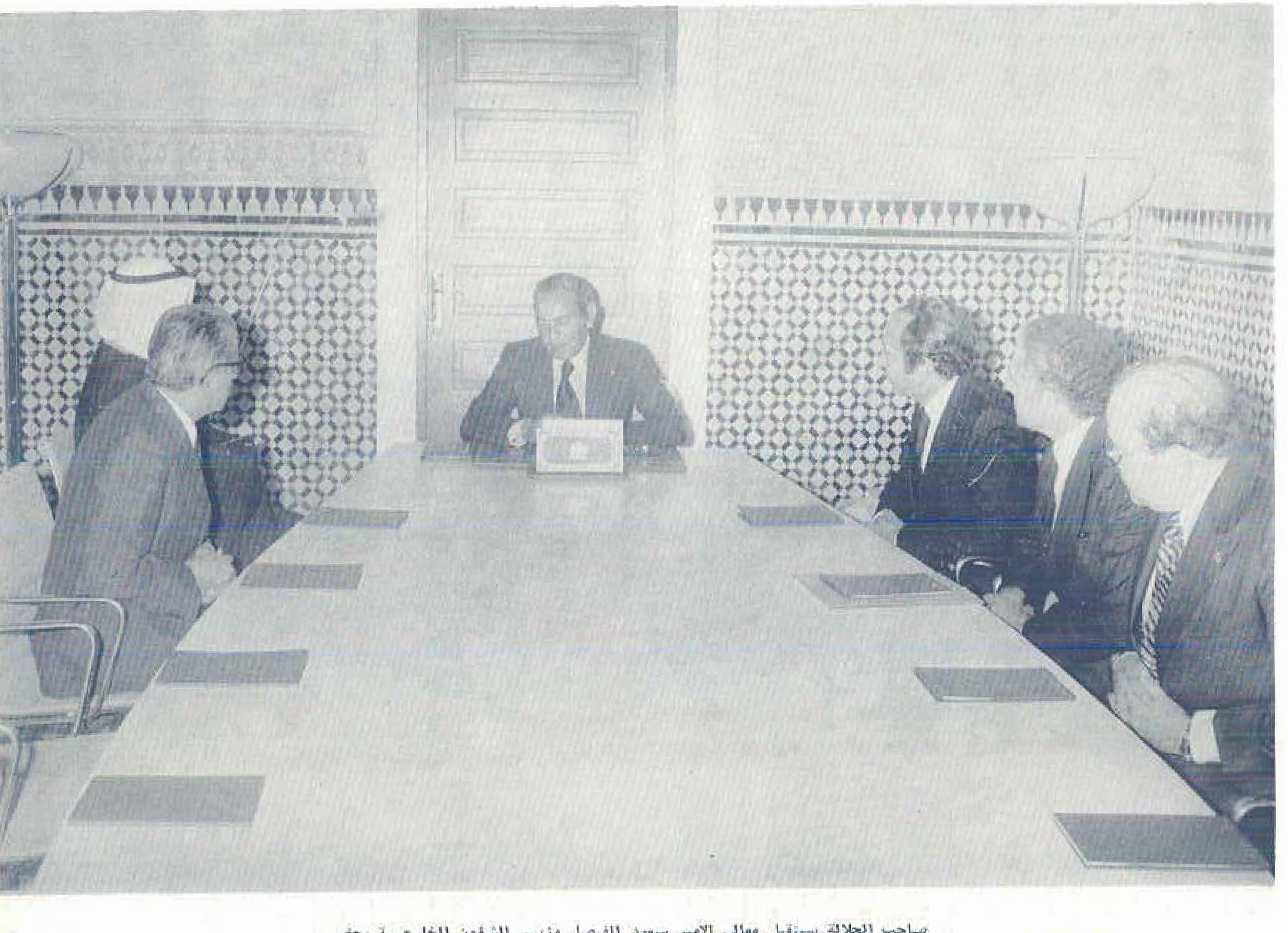
وعلينا ان نقول بأن ثورة الخطابي كانت امتدادا لثورة سلفه المجاهد الشهيد السيد محمد امزيان الذي حمل راية الكفاح ضد التدخل الاسباني في بلاد الريف منذ سنة 1909، وكانت ثورته على وشك استرجاع مدينة مليلية في شهر يناير 1910 لولا وشاية بعض الاعيان من اصدقاء الاسبان، وواصل السيد امزيان جهاده بحماس وضراوة بعد اعلان الحماية الى ان سقط شهيدا في معركة دوار حدو علال يوم 15 ماي 1912 . فجاءت ثورة الزعيم الخطابي بعد تسع سنوات لتستأنف الكفاح المجيد الذي بدأه سلفه. وكان اول انتصار سجله الزعيم الخطابي يوم 22 يوليوز 1921 في معركة انوال (1) .

وكانت الثورة الريفية تعزيزا لموقف المجاهدين بالناحية الجبلية من الشمال الغربي، بالرغم من عدم قيام تكتل في ميدان الكفاح بين الزعيمين الريسوني والخطابي وبالرغم من عواطف التقدير المتبادلة بينهما . وقد سألني مرة المغفور له الزعيم علال الفاسي في مذاكرة حول هذه القضية فقال : اذا كانت حركة الريسوني وحركة الخطابي متفقين في الاهداف والغايات فلماذا لم يتكتلا ؟ فأجبته اجابة وافقني عليها رحمه الله وهي : ان فكرة التكتلات لم تكن موجودة في اوائل القرن العشرين بل كانت النزعة الفردية هي السائدة . والاحزاب المصرية مثلا على اتفاقها في مقاومة الاحتلال الانجليزي لم يحدث بينها تكتل في هذا المجال . فليس غريبا الا يحدث تكتل بين الرجلين الثائرين . ثم قال لي الاستاذ علال : وهل كان الريسوني حقيقة يتزعم القبائل الجبلية او كانت هذه القبائل تعترف بزعامته ؟ قلت : هذه قضية لا يتطرق الشك اليها. فقال : هذا امر مهم ولا ينبغي ان يبقى في طي الكتمان، وكلفني رحمه الله بكتابة مذكرة في هذا الموضوع. وكانت هذه المحادثة بيني وبين الزعيم علال في عشية يوم من اوائل شهر دجنبر سنة 1971 في بيته بالرباط. ومع الاسف لم اجد فرصة اتفرغ فيها لانجاز هذه المذكرة الا ما اشرت به في مقالة او محاضرة ، مع توفري على العناصر اللازمة لهذا البحث.

وقد روجت ابواق الاستعمار اشاعات مغرضة ضد الشريف الريسوني لمقاومة نفوذه وحركته وتأليب النفوس عليه بدعوى الاجرام والفوضى والتمرد، ومن الغريب ان وجدت تلك الدعايات من تقبلها وروجها بدون روية او تحفظ كما فعل الكاتب الانجليزي روم لاندو وغيره، ولكن البحث التاريخي النزيه فند مزاعم الاستعمار ومن جرفه تيار دعايته ، فان مكانة الريسوني الاجتماعية والثقافية لا تسمح لمفكر بعيد النظر ان يصدق بسهولة ما وصف به الشريف من اوصاف اجرامية، ونحن نعلم ان جل العاملين النابهين في الحركات الوطنية قد الصق الاستعمار بهم تهم الفوضى والاجرام والتمرد . وانما كان الشريف وطنيا قاد عصابات وطنية ضد الاستعمار واذنابه منذ عهد التدخل الاجنبي ، فلما اعلنت الحماية تطورت حركته

---

1) راجع مقالتي بجريدة العلم عدد يوم 25 يوليوز 1975 بعنوان «معركة انوال معركة السيادة».



صاحب الجلالة يستقبل معالي الامير سعود الفيصل وزير الشؤون الخارجية بحضور
سعادة السفير السيد فخري شيخ الارض

الى مقاومة مسلحة اقضت مضاجع المستعمرين وزعزت اقدامهم .

وعلينا ان نقول بأن حركة الشريف كانت تتسم فى بعض المواقف بالمرونة والميل الى الحوار والتفاوض لاقناع الساسة الاسبانيين بالعدول عن فكرة الحكم المباشر واحترام سيادة البلاد ومقدساتها ومثل هذه المواقف كانت تقلق بال الاسبانيين وتدفعهم الى استعمال كل وسائل الضغط لاخضاع الشريف. ولكنه كان صامدا فى موقفه الوطنى لايؤثر فيه اغراء ولا تحذير ؛ بل كان يسير وفق تخطيط محكم هادف الى عرقلة اى تقدم لقوات الاحتلال الاسبانى فى الشمال الغربى، واستطاع ان ينجح فى ذلك الى حد بعيد. ولا تعنى بهذه الاشارات ان الريسونى كان معصوما من الاخطاء، فلا يخلو احد من اخطاء وهفوات، وقديما قالوا : لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة. ونحن كذلك لا نطعن فى احد ولا ندافع عنه. وانما نثبت بعض الحقائق التاريخية للتاريخ.

ونعود الى الثورة الريفية فنقول بانها اتخذت بعد معركة انوال مظهرا اداريا منظما برئاسة الزعيم الخطابى. وصارت امكانيات الثورة الريفية بذلك اقوى من امكانيات الثورة الجبلية ، وبذلك امتدت عمليات الخطابى الحربية ضد الاسبانيين من الناحية الريفية الى نواحى الشمال الغربى. ولم يقم الريسونى بمقاومة جيش الخطابي الذى اقتحم تازروت فى شهر يناير 1925. وقد امن قائد الكتيبة الشريف الريسونى الذى كان وقته يعانى مرضا خطيرا ؛ ثم حمله محترما هو وعائلته الى اجدير بقبيلة بنى ورياغل الريفية. وقد خصص الزعيم الخطابى دار الجماعة بتماسينت لاقامة الشريف حيث مكث فيها مشمولا بمظاهر الاحترام والرعاية الى ان توفى رحمه الله سنة 1926. وقبره فى تماسينت مشهور يقصده الناس للتبرك بشرفه وجهاده.

وواصل الزعيم الخطابى الكفاح حتى لم يعد فى امكان الاسبانيين ان يواجهوا الموقف العنيد وحدهم، فاتفقوا مع الفرنسيين فى صيف 1925 على توحيد الخطة لقمع الثورة الريفية واخماد نارها. ولم يصف الجو لنظام الحماية ولجيش الاحتلال الا بعد تصفية هذه الحركة الوطنية المسلحة فى شهر ماى سنة 1926 بعد اضطرار الزعيم الخطابي الى تسليم نفسه الى الحكومة الفرنسية التى نقلته هو وعائلته الى فاس ؛ ثم الى جزيرة لارينيون حيث بقي بها منفيا الى ان مكنته الظروف من النجاة والالتجاء الى مصر بمساعدة الجامعة العربية وممثلي الحركة الوطنية المغربية فى مصر وذلك فى ثانى يونيو سنة 1947 فأقام ضيفا مكرما فى القاهرة مشاركا فى النشاط السياسى للجنة تحرير المغرب العربى التى انتخب لرئاستها بصفة دائمة فى خامس يناير سنة 1948. وبقى الزعيم يوالى نشاطه الوطنى الى ان وافاه الاجل المحتوم بالقاهرة سنة 1962.

وفى جنوب المغرب وصحرائه قامت كذلك ثورات وطنية قادها زعماء ابطال كالشيخ ماء العينين والشريف السملالى المعروف بلقب حمو موحا وغيرهما من المجاهدين الذين عبروا بنضالهم الصادق عن رفض الامة المغربية للحماية والاحتلال الاجنبى الغادر. ولم تتمكن فرنسا من اخماد نار المقاومة الوطنية الا سنة 1935. لكن الفرنسيين والاسبانيين متفقون على ان اخطر مقاومة واجهوها هى المقاومة الشمالية بما لها من امكانيات وتنظيمات وتخطيطات جعلت منها مقاومة فى مستوى حرب التحرير. ولذا كان الزعيم الخطابى يمتعض من وصف حركته بالثورة الريفية ويقول : بل هى حرب تحرير ودفاع عن الوطن.

الكتلة الوطنية

وفى تلك الظروف الرهيبة الناجمة عن اخماد الثورة الوطنية المسلحة وسيطرة جيوش الاحتلال على البلاد، ولدت الحركة الوطنية السياسية فى فاس ونشأت بين احضانها نشأة عربية اسلامية سلفية ، وبدأت الحركة الجديدة نشاطها بالدعوة الى الاصلاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . بريادة الشيخين الجليلين ابى شعيب الدكالى ومحمد بن العربى العلوى . وكانت الحركة الناشئة متأثرة بتعاليم المصلحين الكبيرين جمال الدين الافغانى ومحمد عبده.

ثم تطورت الحركة المذكورة الى كتلة وطنية ظهرت فى الميدان السياسى كحركة منظمة بعد اعلان السياسة البربرية فى 16 ماى سنة 1930 .

السياسة البربرية

والمراد بالسياسة البربرية احداث نظام لتشتيت الشعب المغربى وتفرقته فكرا ودينا ولغة بعد تقسيم اراضيه وتفتيت وحدته. والمقصود من

كل ذلك محاربة اللغة العربية والديانة الاسلاميـة ، والبدء بتطبيق هذا النظام على القبائل البربرية لفصلها عن المجتمع المغربي تشريعا ولغة طبقا لتوجيهات المرشال ليوتي وغيره من دهاقنة الاستعمار الفرنسي الذين اجمعوا على فرنسة القبائل البربرية وتعليمها كل شيء ما عدا العربية والاسلام.

وقد حاول الاستعمار ان يطبق هذه السياسـة منذ سنة 1914 لـولا معارضـة المرحـوم السلطان مولاي يوسف لهذه السياسة واصراره على ان تظل كل قبيلة من القبائل البربرية في المغرب خاضعـة للقضاء الشرعي الاسلامي. ولكن الادارة الفرنسيـة عملت جاهدة لاعلان هذه السياسة خصوصا بعد وفاة مولاي يوسف واعتلاء المغفور له جلالة الملك محمد الخامس على العرش في 18 نونبر سنة 1927. ولكن جلالته واصل المعارضة للسياسة البربريـة بصفته الامام الاكبر والحارس الامين للشريعـة الاسلامية ، غير ان السلطة الفرنسية اصرت على تنفيذ سياستها وانتهى بها الامر الى اصدار مرسوم 16 ماي 1930 باسم السلطان رغم معارضته.

ووجدت الكتلة الوطنية الفرصة سانحة لانطلاقتها التاريخية، معبئة الشعب المغربي للتعبير عن الرفض البات لتنصير البربر وفرنستهـم. فقاومت الادارة الاستعمارية كل تجمع او مظاهرة مقاومة ضارمة ، وحصلت ردود فعل عنيفة في الداخل والخـارج ، بالاصطدامات الدامية في الداخـل والاحتجـاجـات الصارخة للهيئات والجامعات الاسلامية في الخارج ، حتى اضطرت الصحف الاستعمارية نفسها الى استنكار هذه السياسة كما جاء في عدد 26 مارس 1931 من جريدة لوبوتي ماروكان ! ان ظهير 16 ماي 1930 اثار عاصفة غير مرغوب فيها.

عودة الى الكتلة

وبدأت كتلة فاس عملها الوطني باسم كتلـة العمل الوطني بزعامة علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني. ومن فاس سرت الحركة الوطنية سريـان الكهرباء الى جميع انحاء المغرب.

اما في تطوان عاصمة المنطقة الشمالية فقـد قامت كتلة وطنية مماثلة لكتلة فاس ومتفقة معها في المبادىء والغايات بزعامة الحاج عبد السلام بنونـة والحاج محمد داود.

وكان يوم 16 ماي يوجد كلمة الوطنية المغربية التي درجت الى اقامة ذكرى 16 مدى متخذة منه رمزا لرفض الحماية ومخططها . وكان الاقدار هيات الحركة الوطنية السياسية ان تنطلق من نفس الشهر الذي وقع فيه القضاء على الحركة الوطنية المسلحة فـي ماي 1926 لتكون امتدادا وخلفا لنضالها من اجـل الاستقلال والوحدة. وقد اشار الزعيم الراحل علال الفاسي الى ذلك فقال : ان الحرب الريفيه و لحركـة السلفية كلاهما اثر في توحيد الشباب المغربي ، وفي بلورة الروح الوطنية وخلق الحركات الوطنيـة سنة 1930.

الاحزاب السياسية

وقد تطورت الكتلة الوطنية بشطريها الشمالي والجنوبي الى احزاب سياسية منظمـة لهـا آراؤهـا وأساليبها ووسائلها في خدمة الاهداف الوطنية.

ففي تطوان تطورت الكتلة الى حزب الاصلاح الوطني برئاسة الاستاذ عبد الخالق الطريس وذلك في 18 دجنبر 1936. وانشق عن حزب الاصلاح حزب جديد هو «حزب الوحدة المغربية» برئاسـة الشيـخ محمد المكي الناصري في سنة 1937. وكان الشيخ المكي قد اختار مدينة تطوان لاقامته . ثـم وقـع اتفاق بين حزب الوحدة وحزب الاصلاح انبثقت عنه «الجبهة القومية» في 18 دجنبر 1942 مـع احتفـاظ كل حزب باسمه الخاص.

وفي فاس تطورت الكتلة الى « حزب كتلة العمل الوطني» برئاسة الاستاذ علال الفاسي ووقع الاعلان عن ذلك رسميا في 26 فبراير 1937. وانشق عـن الحزب المذكور حزب جديد هو «حزب الحركة القومية» برئاسة الاستاذ محمد بن الحسن الوزاني وذلك في شهر مارس 1937.

وحيث ان السلطة الفرنسية عمدت الى حل حزب الكتلة بعد شهرين من ميلاده ، فقد اجتمعـت هيئته العليا بالرباط في 23 يوليوز سنة 1937 وقررت تعويض الحـزب المنحـل بحـزب جديد هو «الحزب الوطني» الذي واصل نضاله الى فاتح سنة 1944 حيث عقدت اللجنة العليا للحزب المذكور مؤتمرا في الرباط قررت فيه تغيير اسم الحزب الوطني باسم «حـزب الاستقلال» وأعلنت عن هذا القرار يـوم 11 ينايـر 1944 مقرونا بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال الـى جلالة الملك والمقيم العام الفرنسي وممثلي الدول.

وقوبلت هذه الوثيقة الوطنية الجريئة بغضب الادارة الفرنسية وانتقامها من الشعب وممثليه في 29 و 30 و 31 يناير المذكور.

وفي سنة 1944 كذلك قرر حزب الحركة القومية استبدال اسمه باسم جديد هو «حزب الشورى والاستقلال».

ونستخلص مما تقدم ان الاحزاب السياسية التي تفرعت عن الكتلة الوطنية الاولى هي: حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي، وحزب الشورى بزعامة الوزاني، وحزب الاصلاح بزعامة الطريس، وحزب الوحدة بزعامة الناصري. وبعض هذه الاحزاب اتصف بالمرونة والاعتدال، وبعضها اتصف بالتطرف والتصلب. ولكنها كانت على اختلاف وجهات النظر وأساليب العمل متفقة في جوهر القضية الوطنية وهي الاستقلال والوحدة.

هذا الاتفاق في الجوهر هو الذي دفع الاحزاب الاربعة الى توحيد صفها ونضالها في اطار «الجبهة الوطنية» التي تم تكوينها وامضاء ميثاقها من طرف قادتها في مدينة طنجة بتاريخ 9 ابريل سنة 1951.

العرش والشعب

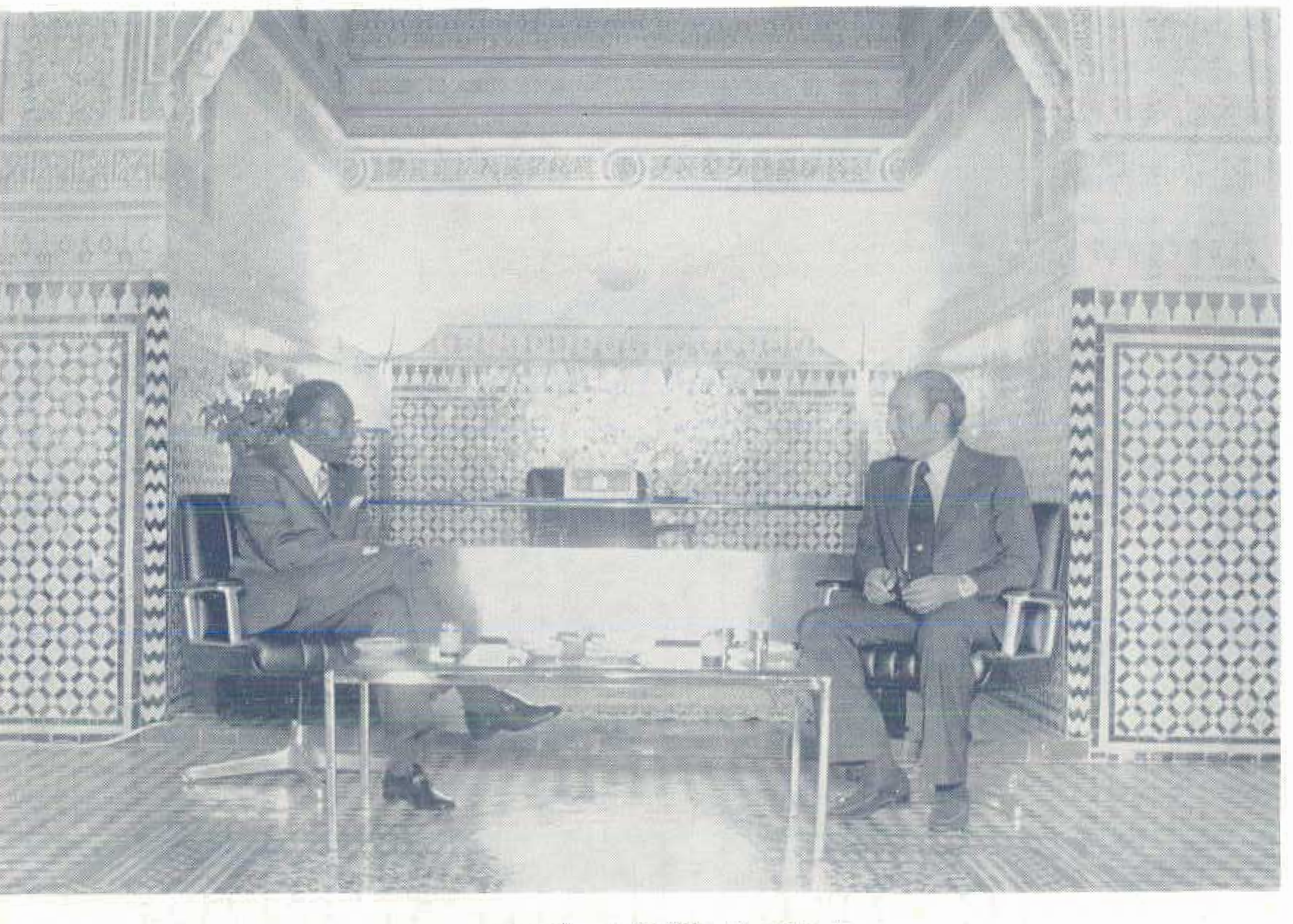
وكانت الحركة الوطنية منذ ظهورها مخلصة للعرش العلوي المجيد، معترفة بنفوذ جلالة الملك وسلطته الدينية والدنيوية، مبايعة له كما ورد في الحديث الشريف: «على السمع والطاعة في المنشط والمكره». وكان هذا الوفاء والولاء لامير المومنين رمز السيادة والوحدة المغربية يقلق بال رجال الحماية الذين كانوا يعملون بشتى الوسائل لتفريق بين العرش والشعب، واضعاف نفوذ الملك وسلب سلطته. وهذا الموقف الاستعماري ازاء ملك البلاد ورمز سيادتها هو الذي دفع الكتلة الوطنية الى تأكيد ولاء المغاربة جميعا للعرش العلوي وتعلقهم بالجالس عليه، ومطالبة سلطة الحماية باحترام الملك باعتباره رمز المشروعية في البلاد. فمن مطالب الكتلة الوطنية سنة 1930 على اثر اعلان السياسة البربرية ما نصه: «احترام نفوذ جلالة الملك وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، واحترام اللغة العربية بصفتها لغة البلاد الرسمية، واخضاع جميع المسلمين المغاربة بالحواضر والبوادي للمحاكم الشرعية الاسلامية».

وهذا التعلق بالعرش والولاء للملك هو الذي دفع بالكتلة الوطنية الى العمل على سن عيد وطني هو عيد العرش، وبذلت الجهود في هذا المجال حتى اضطرت حكومة الحماية الفرنسية الى الاستجابة لهذه الرغبة الوطنية، فصدر قرار مؤرخ في 31 اكتوبر سنة 1934 يؤسس بموجبه عيد العرش. ونشرته الجريدة الرسمية في عددها الصادر في 2 نونبر 1934، فكان عيد العرش انتصارا للفكر الوطني وعيدا للحركة الوطنية ومناسبة رسمية من مناسبات اتصال العرش بالشعب والشعب بالعرش.

وكانت الاتصالات الوطنية الرئيسية تتم مع جلالة الملك قبل غيره من ذوي الرئاسة والنفوذ في ادارة الحماية. كما ان العرائض والمطالب الوطنية كانت تقدم الى جلالته قبل كل شيء لاشعار الحكام الاجانب والرأي العام الدولي بتعلق الشعب المغربي بجلالة الملك رمز السيادة والمشروعية.

وعلى اساس هذا الالتزام الوطني، قدمت الكتلة الوطنية في فاتح دجنبر سنة 1934 «مطالب الشعب المغربي» الى جلالة الملك. وفي هذا المجال اعلنت الكتلة الشمالية تضامنها مع الكتلة الجنوبية بواسطة رسالة الى صاحب الجلالة مؤرخة في تاسع دجنبر 1934. ومما جاء فيها: «ياجلالة مولانا الملك المعظم، نتقدم الى جلالتكم مع غاية الاحترام وكامل الاجلال، بصفتنا الكتلة الوطنية العاملة في شمال مملكتكم الشريفة، ونوابا عن رعايا جلالتكم سكان المنطقة الخليفية، معلنين تضامننا التام مع الكتلة الوطنية العاملة في المنطقة السلطانية وتأييدنا المطلق لمطالب الشعب التي اذاعتها لجنة الوفد المغربي الامين، محتوية على الاصلاحات السياسية والاصلاحات العدلية والاصلاحات الاجتماعية والاصلاحات الاقتصادية والمالية وغيرها من مختلف الاصلاحات الاساسية لرقي الامة ونهضتها دينيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا .. والله تعالى يبقيكم ذخرا لشعبكم الكريم ويطيل حياتكم وعافيتكم للامة المغربية الملتفة بسائر طبقاتها ومختلف مناطقها حول عرشكم العظيم»

ولما قام الحزب الوطني سنة 1937 بحركته لتحقيق مطالب الشعب المغربي، بادر حزب الاصلاح في الشمال سنة 1938 بتقديم مطالب الشعب المغربي الى خليفة جلالة السلطان بتطوان والى المقيم العام الاسباني. ومما جاء في مقدمة المطالب المذكورة ما يلي: «اننا مغاربة مسلمون، ديننا الاسلام، ولغتنا الرسمية هي اللغة العربية، وقوميتنا قومية عربية



جلسة خاصة مع فخامة الرئيس السيد ليوبولد سنغور

مسلمة تعمل للتعاون مع الدول المسلمة. وان المغرب بسائر مناطقه وحدة لا تتجزأ ، وأن مبدأنا فى حكم البلاد ملكي اسلامى على اساس الشورى ونظم الشريعة الاسلامية ، وعلى ضوء النظم الحديثة التى برهن تطبيقها على صلاحيتها للمجتمع البشرى. ونحن بصفتنا الكتلة الوطنية فى شمال المغرب اولا، وحزب الاصلاح الوطنى اخيرا ، كثيرا ما دافعنا عن وحدة المغرب وكثيرا ما رغبنا ان يكون عملنا مشتركا موحدا ارفع شأنه . وقد اطلعنا على مطالب الشعب المغربى قبل تقديمها الصفة الرسمية لجلالة السلطان والحكومة الفرنسية، فايدناها ودافعنا عنها، لان مطالب الشعب المغربى فى جنوبه هى فى الحقيقة حاجات شمال المغرب، لان المغرب اجمع يوحده الله واللغة والاخلاق والعادات والاحكام المدنية طيلة القرون السالفة».

ثم بادر حزب الاستقلال بتقديم وثيقة 11 يناير 1944 الى جلالة الملك محمد الخامس، ومما جاء فى تلك الوثيقة التاريخية : «ان حزب الاستقلال الذى يضم اعضاء الحزب الوطنى السابق وشخصيات حرة حيث ان الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية، وحافظت على استقلالها ثلاثة عشر قرنا الى ان فرض عليها نظام الحماية فى ظروف خاصة. وحيث ان الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هو ادخال الاصلاحات التى يحتاج اليها المغرب فى ميادين الادارة والعدلية والثقافة والاقتصاد والمالية والعسكرية دون ان يمس ذلك بسيادة الشعب المغربى التاريخية ونفوذ جلالة الملك. (وبعد حيثيات اخرى قررت الوثيقة ما ياتى) : (1) فيما يرجع للسياسة العامة : اولا ـ ان يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده..» وقد اقتبسنا فقرات من هذه النصوص التى صارت فى حكم الاخبار المتواترة لنعطى صورة واضحة لوحدة الفكر الوطنى من جهة، ولتعلق الامة المغربية وقادتها بمقام جلالة الملك بصفته الامام الاكبر والوطنى الاول والرمز المقدس لاستمرار الدولة المغربية.

محمد الخامس فى الميدان

وكان المغفور له جلالة الملك محمد الخامس على اتفاق تام مع الحركة الوطنية لما كان يتمتع به من ايمان راسخ ووطنية متأججة وروح تقدمية ومهارة سياسية ، كان يشمل الحركة الوطنية بعطفه ورعايته ويعمل على تحقيق مطالبها بما له من ارادة وعزيمة ونفوذ. وما ان قدمت اليه وثيقة حادى عشر يناير المشهورة حتى بادر بعقد جلسة استثنائية لمجلس كبار دولته لدراسة موضوع الوثيقة ، واقر المجلس رأى جلالته فى تاييد الوثيقة وتبنى ما ورد فيها من مطالبة بالاستقلال والوحدة والديمقراطية.

وانطلق جلالته يتزعم حركة المطالبة بالاستقلال وصال وجال فى هذا المجال، وتلقى جلالته تاييد المنطقة الشمالية بواسطة عريضة وطنية مؤرخة فى 29 فبراير 1944 ومما جاء فيها : «ان هيئة حزب الاصلاح الوطنى .. تتشرف برفع هذه العريضة الى سدتكم العالية بالله.. معبرين بذلك عن شعور شعبكم الوفى فى هذه المنطقة من المغرب ومؤكدين لجلالتكم ان مبادئنا واحساساتنا فى هذه الديار هى عين المبادىء المغربية الخالصة والاحساسات الوطنية الصرفة ، واذا كان اخواننا فى الجنوب يشكون من الجور الفرنسى فاننا فى شمالهم نشكو الامرين من الاستعمار الاسبانى الممقوت ونشكو من فصلنا عن الوطن الاكبر كما يفصل العضو من الجسم. ونحن يا مولاى، نستغيثكم باسم الاسلام ونرجوكم بحق النبى الاعظم ان يكون دفاعكم عن المغرب دفاعا عن وحدته بجميع مناطقه وحدوده، وان يكون استنكاركم لاستعماره استنكارا عاما لا فرق فيه بين فرنسى واسبانى ، لعل الله يجعل الفرج على يدكم، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم». وكان محمد الخامس دائما عند حسن الظن به، قاد معركة الاستقلال والوحدة بكل شجاعة واقدام، وجاءت رحلته التاريخية الى مدينة طنجة فى تاسع ابريل سنة 1947 تحطيما للحدود المصطنعة بين المناطق المغربية، وبداية جريئة للعمل من اجل السيادة والوحدة الترابية، وفاتحة عهد جديد للكفاح الوطنى من اجل الحرية والمشروعية(2).

---

2) راجع مقالنا فى دعوة الحق عدد فبراير مارس 1971 تحت عنوان «ذكريات مشرقة عن كفاح المغرب من اجل الاستقلال والوحدة».

هذا الموقف الملكي الخالد هو الذى جعل الحكومة الفرنسية تتألب على جلالة الملك وتتفنن فى معارضته ومعاكسته ومضايقته، فتحمل هو واسرته ما تحمله شعبه الوفى من صنوف الاضطهاد والاذى فى سبيل تحقيق المطالب الوطنية العادلة «فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا». وتأزمت العلاقات بين محمد الخامس وادارة الحماية ، وبلغت الازمة اوجها سنة 1953. وازدادت الوضعية خطورة باقدام الحكومة الفرنسية على ابعاد جلالة الملك عن عرشه ونفيه هو وأسرته الى كورسيكا ثم الى مدغشقر وكانت بداية هذه البطشة الاستعمارية المتهورة فى يوم 20 غشت 1953.

وكانت هذه الحادثة سببا فى تدهور الوضعية الاستعمارية فى المغرب، فوقع انشقاق عميق بين ادارة الحماية الاسبانية فى الشمال وادارة الحماية الفرنسية فى الجنوب بحجة ان فرنسا اقدمت على تغيير الوضعية الشرعية للعرش المغربي بصفة فردية وبدون استشارة اسبانيا شريكتها فى حماية البلاد وحكمها. وكان الموقف الاسباني مفيدا للحركة الوطنية. ومعلوم ان التوتر السياسي بين الدولتين الحليفتين كان حادا وقائما منذ قيام نظام الجنرال فرانكو فى اسبانيا، وذلك ما جعل الحكومة الاسبانية تقف مواقف معتدلة امام الحركة الوطنية، وكانت مواقفها تزداد مرونة وليونة كلما قامت ظروف التوتر بين الحركة الوطنية والادارة الفرنسية. وقد كانت الحركة الوطنية تعرف كيف تستغل تلك المواقف لتسجيل انتصارات قيمة (3).

وكانت حادثة نفي الملك الشرعي بمثابة عود كبريت فجر الطاقة الوطنية بكل عنف وضراوة ، فانبثقت عن الحركة الوطنية حركة المقاومة والفداء، وكانت هذه الحركة الجديدة بأعمالها السرية المدهشة دعامة للنشاط السياسي الذى واصلته الحركة الوطنية علانية حتى ارغمت الاستعمار الفرنسي على تغيير موقفه الجائر ، وما تلاه من فتح مفاوضات ومشاورات ايكس ليبان فى شهر غشت 1955 من اجل اعادة محمد الخامس الى العرش وافساح المجال للمغرب ليكون دولة تتمتع بكامل الاستقلال والسيادة

اعلان الاستقلال

ونتيجة لهذا الصراع العنيف والمواقف الوطنية الصامدة ، عادت المشروعية الى المغرب بعودة محمد الخامس الى وطنه وعرشه فى 16 نونبر سنة 1955 مبشرا بانتهاء عهد الحماية وبزوغ فجر الاستقلال . وبذلك حققت الوطنية المغربية اروع انتصار فى تاريخها المجيد.

وجاء بعد ذلك دور المفاوضات الرسمية بين المغرب وفرنسا اولا، وبينه وبين اسبانيا ثانيا ، اعلن جلالة الملك على اثرها اعتراف الدولتين الحاميتين باستقلال المغرب وسيادته ووحدة ترابه ، طبقا لاتفاقية باريز فى 2 مارس 1956. ثم اتفاقية مدريد فى 7 ابريل 1956. ثم الغاء الوضعية الدولية لمنطقة طنجة فى 29 اكتوبر 1956.

ثم توج استقلال المغرب بقبوله عضوا فى هيئة الامم المتحدة فى شهر نونبر 1956. ثم عضوا فى جامعة الدول العربية فى شهر شتنبر 1958. وصار المغرب يمارس سيادته فى الداخل والخارج بكفاءة مثالية وارادة ماضية وديبلوماسية نشيطة الشيء الذى جعله يحتل عن جدارة واستحقاق مكانة ملحوظة بين الدول المتقدمة الناهضة ، وهذا ما كافحت من اجله الوطنية المغربية اربعين سنة كاملة.

المغرب الجديد

وعلينا ان نقول بأن الاستقلال الذى تحقق انما كان وسيلة لمواصلة النضال الوطني من اجل اصلاح ما افسده الاستعمار طيلة اربعين سنة من حكمه للمغرب، ومن اجل بناء مغرب ديمقراطي جديد على اسس عربية اسلامية عتيدة، ومن اجل استكمال الوحدة الترابية التى هى فى مقدمة كل عمل وطني شريف.

وسواء كانت الاحزاب الوطنية مؤتلفة او منفردة فى الحكم او فى المعارضة ، فان مبادىء الحركة الوطنية ظلت هى الشعلة الوهاجة التى تنير سبيل كل مواطن شريف يعمل بنزاهة واستقامة من اجل تقدم البلاد وازدهارها.

---

3) انظر مقالنا بجريدة العلم عدد 13 ابريل 1975 تحت عنوان «حقائق عن الحركة الوطنية والحماية الاسبانية بشمال المغرب».



السيد وزير الانباء فى استقبال وزير الخارجية الموريطاني بمطار مدينة مراكش

وعلينا ان نقول بان البلاد قد قطعت اشواطا بعيدة وخطوات جريئة في مجال التطور والتحرر وتقدمت تقدما ملحوظا في ظرف عشرين سنة من الاستقلال. ونقول هذا بمزيد من الفخر والاعتزاز. لاننا نعرف كيف كانت وضعية المغرب قبل الاستقلال وكيف تطورت تطورا مشرفا في فترة وجيز بعد الاستقلال.

ولا نعني بما ذكرنا ان المغرب المستقل بلاد بدون مشاكل، بل هو كسائر البلدان النامية له مشاكله الخاصة. ولا تخلو دولة من المشاكل مهما بلغت في مضمار التقدم والحضارة، لان المشاكل في حد ذاتها ظاهرة من ظاهرات الحياة والحضارة. ولكننا اردنا ان نشير فقط الى الجهود البناءة، والطرق الحكيمة التي استطاع المغرب ان يتغلب بها على معظم مشاكله، فنال بذلك من العقلاء جميعا كل تقدير واعجاب.

وضعية الاحزاب

ولا يفوتنا ان نشير ايضا الى ما آلت اليه وضعية الاحزاب الوطنية الاربعة بعد الاستقلال. فحزب الوحدة قد انحل من نفسه بعد اعلان الاستقلال وحزب الاصلاح قد اندمج في حزب الاستقلال في شهر مارس 1956. وحزب الشورى اتخذ اسما جديدا هو حزب الدستور. ولم يحتفظ باسمه الاول الا حزب الاستقلال. وهذا الحزب وقع فيه انشقاق سنة 1959 وكونت الفئة المنشقة حزبا جديدا هو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وبعد عشر سنوات من هذا الانشقاق وقع تقارب بين الحزبين المذكورين تطور الى اعلان كتلة وطنية جديدة في شهر يوليوز سنة 1970 مع احتفاظ كل منهما باسمه الخاص. وكان هذا التكتل بين حزب الاستقلال والاتحاد الوطني ابرز ظاهرة وطنية سياسية سنة 1970. ثم حصل انشقاق في حزب الاتحاد الوطني سنة 1972 وكونت الفئة المنشقة حزبا جديدا هو حزب الاتحاد الاشتراكي. كما ظهرت في الميدان السياسي منظمات اخرى كحزب التقدم الاشتراكي، والحركة الشعبية التي وقع فيها انشقاق كذلك وكونت الفئة المنشقة حزبا آخر هو الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية. وبرزت كذلك منظمات نقابية وطلابية منتمية عقائديا وايديولوجيا الى الهيئات الحزبية المنبثقة عنها.

وبالرغم من ان كثرة الاحزاب قد يؤدي الى تفتيت القوى الشعبية والى حدوث ازمات سياسية او مواقف متنافرة، الا ان تعدد الاحزاب مظهر من مظاهر الحياة الديمقراطية في المغرب، ولكننا نجد بعض الدول الديمقراطية لا تتوفر الا على حزبين فقط كما في المملكة الانجليزية والولايات المتحدة الامريكية. وحزبان قويان كافيان لاقامة حياة ديمقراطية صحيحة.

مكاسب الاستقلال

ومهما تعددت الاحزاب في المملكة المغربية واختلفت ايديولوجياتها، واتصفت بالاعتدال او التطرف، بالمرونة او التصلب، فانه لا تعارض في المبادىء المقدسة التي قامت على اسسها الحركة الوطنية. فكل هيئة سياسية منبثقة عن الحركة الوطنية المغربية الاصيلة تعمل باسلوبها ووسائلها من اجل اقرار الحياة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ومن اجل المحافظة على المقدسات الاسلامية واللغة العربية، ومن اجل استكمال وحدة التراب المغربي، ومن اجل تشييد مغرب عربي اسلامي اصيل يتصل حاضره السعيد بماضيه المجيد، في اطار المشروعية السياسية والتعادلية الاقتصادية والملكية الدستورية التي ارتضاها الشعب المغربي نظاما مقدسا للبلاد.

وفي اطار هذه المبادىء المقدسة والمثل العليا واصل الشعب المغربي مسيرته الوطنية التاريخية يحقق المعجزات في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ويتطلع في كل خطوة من خطواته الجريئة الى حياة افضل وازهر.

وفي مجال استكمال الوحدة الترابية تمكن المغرب من استعادة اقليم طرفاية سنة 1958. ثم استعاد منطقة افني في سنة 1969. وبقيت قضية الصحراء منذ سنة 1964 تسير في متاهات هيئة الامم ودروبها الملتوية حتى صارت قضية شائكة معقدة.

قصة الصحراء

وازدادت قضية الصحراء خطورة منذ سنة 1966 بسبب المناورات الأجنبية ضد سيادة المغرب ووحدة ترابه، تلك المناورات التي تمخضت عن فكرة تقرير المصير الذي استغل استغلالا مغرضا لسلخ المنطقة المحتلة عن الوطن الام واقامة كيان مستقل بدعوى ان الصحراء كانت ارضا خالية لا سيادة لاحد عليها وقت احتلالها. وهكذا صارت فكرة تقرير المصير

عبارة محشوة بالديناميت يتوقع انفجارها بين الحين والآخر انفجارا مدمرا خطيرا(4).

ولكن جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله استطاع بحكمته ومهارة قيادته ان ينقذ الموقف بمبادرة تقديم قضية الصحراء الى محكمة العدل الدولية بلاهاي. وصرح بذلك في مؤتمر صحفي عقده لهذه الغاية في 17 شتمبر 1974. ووافقت هيئة الامم على هذه المبادرة الحكيمة في 11 دجنبر 1974. وبذلك تمكن المغرب من نسف التخطيطات الاستعمارية الجائرة.

وكانت المملكة المغربية قد اتخذت جميع الترتيبات اللازمة لتقديم القضية الى محكمة لاهاي بعد ان نجحت في توحيد الموقف وتقريب وجهات النظر بينها وبين الجمهورية الاسلامية الموريطانية التي بدات تطالب بحقها في الصحراء منذ سنة 1964.

وبينما كان المغرب يوثق اواصر الاخوة والتعاون بينه وبين الشقيقة موريطانيا طبقا لمعاهدة الصداقة وحسن الجوار التي تمخض عنها لقاء نواذيبو سنة 1970 ويعمل على تنسيق الموقف المغربي الموريطاني لخوض المعركة الفاصلة لتحرير الصحراء كانت اجهزة الحكم القائم في الجزائر تبيت مناورات خطيرة لعرقلة مساعي المغرب من اجل استكمال وحدته الترابية ، ومعلوم ان الجزائر نفسها تسيطر بطريقة لا شرعية على مناطق مغربية هي توات والقنادسة وبشار وتندوف بعد ان اقتطعها الاستعمار الفرنسي من التراب المغربي وألحقها بالتراب الجزائري في غفلة عن الشعب المغربي ايام الاستعمار البائد. وكان من الواجب الوطني على الحكم في الجزائر ان يبادر باعادة الحقوق الى اصحابها والامانة الى اهلها استجابة للضمير الاسلامي الشريف الذي يامر بالعدل والاحسان وينهى عن البغي والعدوان في قول الله تعالى : «ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» ويامر بالعدالة واداء الامانة في قوله تعالى : «ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل» . ولكن الحكم الجزائري بدلا من الوفاء للعهود المقطوعة باعادة الحقوق الى نصابها ، تدعيما لمبدأ وحدة المغرب العربي وتعزيزا لاواصر الاخوة بين الشعب الجزائري والشعب المغربي الذي ضحى بالنفس والنفيس من اجل استقلال الجزائر وتحريرها ، بدلا من القيام بهذا الواجب نكث العهد وتنكر مع الاسف لجميع القيم الانسانية والاسلامية والوطنية ، واعلن عن مواقفه المؤسفة لمناوءة المغرب ومعاكسته حتى في استعادة صحرائه المغتصبة . وفي هذا المقام يجدر بنا ان نذكر بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «ثلاث هي رواجع على اهلها : المكر والنكث والبغي . ثم تلى قوله تعالى : ياأيها الناس انما بغيكم على انفسكم. وقوله تعالى : ولا يحيق المكر السيء الا بأهله. وقوله تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه».

المسيرة الخضراء

وكان يتعين على محكمة لاهاي ان تجيب على السؤالين المطروحين عليها وهما :

1 ــ هل كانت الصحراء في وقت استعمار اسبانيا لها ارضا خالية بدون مالك ؟

2 ــ واذا كان الجواب على السؤال الاول سلبيا ، فما هي الروابط القانونية التي تربطها مع المملكة المغربية والمجموعة الموريطانية ؟

وجاء جواب المحكمة في 16 اكتوبر 1975 مؤيدا لموقف المغرب ووجهة نظره وحقه التاريخي ، ومضمون جواب المحكمة يتلخص فيما يلي :

1 ــ ان الصحراء لم تكن اقليما بدون مالك في وقت احتلال اسبانيا لها.

2 ــ ان الصحراء كانت لها مع المملكة المغربية ومع المجموعة الموريطانية روابط قانونية هي روابط الولاء. وكلمة الولاء هذه فسرت قانونيا بالسيادة والبيعة.

وبهذه الطريقة القانونية والسياسية معا اوضحت محكمة لاهاي سيادة المغرب القانونية والشرعية على صحرائه التي احتلتها اسبانيا في ظروف غامضة منذ القرن التاسع عشر الميلادي :

---

4) انظر مقالي بجريدة العلم عدد يوم 19 مارس 1975 بعنوان «مذكرات حول الصحراء المغربية المحتلة» .

وفي مساء يوم 16 اكتوبر 1975 بالذات اعلن جلالة الملك في خطابه التاريخي عن المسيرة الخضراء السلمية الى الصحراء المحتلة التي تأكدت سيادة المغرب عليها بمنطوق ومفهوم فتوى محكمة لاهاي.

وقد قوبلت فكرة المسيرة الخضراء في الاوساط السياسية في مختلف انحاء العالم بالحذر تارة وبالسخرية والتهكم تارة اخرى . ولكن الشعب المغربي الذي قابل النداء الملكي بحماس ووعي كبير، عرف كيف يجعل من المسيرة الخضراء حقيقة تاريخية مدهشة ، مسيرة سلمية منظمة تنظيما محكما دقيقا، شارك فيها ثلاثمائة وخمسون الف مواطن ومواطنة تمثل اقاليم المغرب جميعا، زيادة على الاطر الفنية ووفود الدول الصديقة المتضامنة مع المغرب في جهاده المقدس.

وفي فجر يوم 6 نونبر 1975 انطلقت المسيرة الخضراء بايمان راسخ واقدام بطولي نحو الصحراء المغربية، فاتحة اروع الصفحات في تاريخ الكفاح الوطني من اجل السيادة واستكمال الوحدة الترابية، مسجلة في كل خطواتها آيات الوفاء والانضباط والتجاوب الروحي والعاطفي والوطني بين العرش والشعب . واخترقت افواج المسيرة الحدود المصطنعة وأدت صلاة الشكر لله تعالى طبقا لتوجيهات امير المومنين محرر الصحراء المغربية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده .

وحققت المسيرة الخضراء اهدافها، وكانت فتحا مبينا وحلا سلميا ميمونا للازمة المغربية الاسبانية باذعان الحكومة الاسبانية الى فتح مفاوضات بناءة للوصول الى نتائج ايجابية عادلة ؛ وتمخضت تلك المفاوضات على اتفاقية مدريد في 14 نونبر 1975 بين اسبانيا والمغرب وموريتانية، وقعت المعاهدة المذكورة على اتفاق الاطراف المعنية الثلاثة على تصفية الاستعمار في الصحراء طبقا لقرارات الامم المتحدة في اجل اقصاه 28 فبراير 1976، وتكوين ادارة انتقال ثلاثية ؛ والاخذ براي مجلس الجماعة الصحراوية الذي يعد الممثل الشرعي لسكان الصحراء باقليميها الساقية الحمراء ووادي الذهب.

وكان السيد الحاج خطري الجماني رئيس مجلس الجماعة قد وصل الى اكادير في ثالث نونبر 1975 مجددا ولاءه وولاء اعضاء مجلسه لجلالة الملك مصرحا بان الصحراء كانت وستبقى جزء لا يتجزأ من المملكة المغربية ، كما ان جماعة من السياسيين الصحراويين ومن بينهم السيد خلي هنا كانوا قد التحقوا بالرباط في صيف 1975 مجددين ولاءهم وولاء انصارهم لصاحب الجلالة حفظه الله .

وفي 17 نونبر 1975 اعلن جلالة الملك الحسن الثاني عن استرجاع المغرب لصحرائه، وذلك في خطابه التاريخي بمناسبة عيد الاستقلال ، فعمت البشرى والابتهاج ، واحتفل الشعب المغربي بالذكرى العشرينية لعيد الاستقلال في جو يسوده الفخر والاعتزاز بالمكاسب التي حققتها الوطنية المغربية بقيادة الملك المظيم الحسن الثاني اعزه الله.

وفي 18 نونبر 1975 بدأ العمل باتفاقية مدريد فوصل اول عامل مغربي الى العيون للمشاركة في الادارة الثلاثية ، كما وصل اليها ايضا العامل الموريطاني . وهكذا صارت الادارة الثلاثية تضم الى جانب الحاكم الاسباني الجنرال سالازار ، العامل المغربي السيد احمد ابن سودة ، والعامل الموريطاني السيد ولد الشيخ. وبدأت الادارة الثلاثية عملها في جو من التفاهم والاحترام، وانجلت بذلك غيوم كثيفة عن جو العلاقة المغربية الاسبانية الاصيلة .

وقد وافقت الجماعة الصحراوية في جلستها المنعقدة في 29 نونبر 1975 على اتفاقية مدريد الثلاثية. كما ان الجمعية العامة للامم المتحدة صادقت في 10 دجنبر على قرارين متعلقين بالصحراء. احدهما وهو القرار التونسي يقر معاهدة مدريد الثلاثية التي وضعت حدا للوجود الاسباني في الاقليم المحتل. اما القرار الثاني فهو قرار تانزانيا الذي يرتكز على فكرة تقرير المصير. ولكن تقرير المصير هذا قد وقع بالفعل بطريقة شرعية قانونية حيث عبر السكان في ظروف واضحة تمام الوضوح بواسطة الجماعة الصحراوية ورئيسها ومن في مستواه من الوطنيين عن مغربيتهم وولائهم للعرش المغربي، ومعلوم ان معاهدة مدريد الثلاثية قد نصت على ان رأي الجماعة هو المعمول به في هذا المجال. وأمام هذا يكون مبدأ تقرير المصير قد نفذ طبقا لقرارات الامم المتحدة ولاتفاقية مدريد الثلاثية التي وضعت حدا للاستعمار الاسباني في الصحراء والتي صادقت عليها الجمعية العامة كما اسلفنا في عاشر دجنبر 1975.

وفي يوم 11 دجنبر 1975 دخلت طلائع الجيش الملكي المغربي الى مدينة العيون مكونا من نحو

اربعة آلاف جندي وضابط. واستقبلت من طرف السكان الصحراويين بحماس واعتزاز، واستقرت كتائب الجيش في الثكنات العسكرية التي كان يحتلها الجيش الاسباني الذي شرع في الجلاء عن الصحراء بعد توقيع معاهدة مدريد السابقة الذكر.

وفي يوم 8 يناير 1976 وصلت القوات المسلحة الملكية الى مدينة الداخلة من اقليم وادي الذهب بقيادة الكولونيل احمد الدليمي الذي بعث برقية الى جلالة الملك يعلن فيها هذا الخبر الميمون ويقول: «وبهذه المناسبة التمس مني سكان مدينة الداخلة ابلاغ جلالتكم مشاعر اعتزازهم وهم يرون العلم المغربي يرفرف فوق مدينتهم، وفي الوقت نفسه يجددون لجلالتكم ولاءهم وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد». وفي هذه الاثناء اعلنت وكالة الانباء الاسبانية «سيفرا» عن جلاء آخر جندي اسباني عن الصحراء ابتداء من منتصف شهر يناير 1976 .

وبادرت حكومة جلالة الملك بالعمل على انعاش الصحراء واقرار الامن فيها بتعاون وانسجام مع السكان المبتهجين بتحقيق وحدة المغرب التاريخية.

واذا كانت مشكلة الصحراء قد حلت باسترجاع المغرب لصحرائه كما اعلن جلالة الملك نصره الله في خطاب عيد الاستقلال كما تقدم. فان قضية الاراضي الشمالية وهي سبتة ومليلية والجزر الشاطئية الشمالية ما زالت معلقة رغما عن كون قضيتها قد خرجت من طور الركود الى طور التحرك بتقديم ملفها الى هيئة الامم في شهر يناير 1975. ولعل هذه القضية ستجد حلا مناسبا في المستقبل القريب بمفاوضات ثنائية بين المملكتين الصديقتين المغربية والاسبانية للوصول الى نتيجة مرضية والى تسوية عادلة تعزز ما بين الدولتين المتجاورتين من روابط المودة الصادقة والتعاون المثمر لسعادة ورفاهية واطمئنان الاجيال الاسبانية والمغربية في الحاضر والمستقبل.

ختام وتهنئة

ويجدر بنا في ختام هذا الموضوع التاريخي ان ننوه ببطولة القوات المسلحة الملكية التي ساهمت منذ تأسيسها سنة 1956 في بناء المغرب المستقل، واستطاعت ان ترفع رأسه عاليا، وأن تحمي البلاد من كيد الكائدين وعبث العابثين، وأن تسجل مواقف مجيدة في ميدان استكمال وحدة التراب المغربي، الشيء الذي نذكره ونسجله بكل اعتزاز وافتخار. ولو لم يكن للمغرب بعد الاستقلال الا هذا الجيش الوطني الواعي المنظم على احدث الانظمة العسكرية لكفاه به شرفا وعزة ومجدا.

وكاتب هذه السطور اذ يهنيء المغرب وطنه العزيز في شخصية المغربي الاول والوطني الاول امير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني بذكرى جلوسه الميمون على اريكة اسلافه المنعمين، وبالمواقف البطولية للقوات المسلحة الملكية التي تعد مفخرة من مفاخر المغرب الجديد، وبالانتصارات المجيدة التي حققتها الحركة الوطنية في ظل العرش العلوي العتيد، فانما يهنيء نفسه كجندي وفي من جنود جلالة الملك وكواحد من اسرة الحركة الوطنية المعتزة بوطنيتها وكفاحها، وكفرد من افراد الشعب المغربي الذي برهن في كل الاحداث والمواقف والمناسب على تعلقه بالعرش العلوي المجيد واخلاصه الكبير لله وللوطن والملك.

تطوان — محمد العربي الشاوش



الرجال ومصنفاتهم

القسم الثاني

الفصل الأول

مؤرخو الدولة العلوية

أحمد المنصور - شيخه المنجور والمؤرخان الفشتالي وابن القاضي

تأليف : ليفي بروفنصال • تعريب الاستاذ عبد القادر الخلادي

— 5 —

المنصور : قامت الدولة السعدية بعد انقراض دولة بني مرين وبني وطاس الذين حكموا المغرب اكثر من ثلاثمائة سنة ، ولكن رغم تأييد الشعب لاولئك الاشراف الذين تصدوا للذود عن البلاد وتطهيرها من النصارى ، لم يستتب لهم الامن اكثر من مائة وخمسين سنة ولم يشتهر منهم الا ملك واحد وهو ابو العباس احمد المنصور الذى نهض بأعبائه احسن نهوض ، فوسع مجال نفوذه ، ونشر الامن في البلاد ، ووطد دعائم العمران وقرب الادباء والعلماء .

كان ابو العباس ملكا واسع الثقافة ، مواظبا على طلب العلم رغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ؛ حتى ان شيخه المنجور لقبه فى فهرسته بـ «عالم الخلفاء وخليفة العلماء»(1).

المنجور : هو ابو العباس احمد بن على بن عبد الله المنجور الفاسي(2) عالم مكناس المحتد ، فاسي المولد – (ولد سنة 926 هـ) درس بالحاضرة الادريسية على علماء اجلاء نذكر منهم عبد الرحمن بن على سقين الذى كان يعلم فى دهليس رياضه بالزربطانة (وردت ترجمته فى الكتب المذكورة فى التعليق رقم 2) ومحمد بن احمد بن عبد الرحمن اليستني وقد لازم حلقته احد عشر سنة(3).

كان المنجور عالما مشاركا قوى الادراك ، لم يستنكف من الاهتمام بالامثال الشعبية واللهجات الاندلسية ، بل تعلم لعب الشطرنج والضرب على العود ؛ عاش بفاس ثم بمراكش وتفقه عليه كثير من الطلبة اشهرهم ابو عبد الله محمد الزجراجي قاضي الجماعة بمراكش ، وابراهيم الشاوى ، قاضي تامسنا وأبو القاسم بن محمد بن ابى النعيم الغساني قاضي الجماعة بفاس والمؤرخ ابن القاضي (الذى تولى القضاء بفاس ثم مكناس) الخ.. كما كان من تلامذته احمد بابا التنبكتي صاحب «نيل الابتهاج» الذى حلاه بـ «آخر فقهاء المغرب ومشاركيهم» . الا ان امجد من اخذ عنه واعلاهم طبقة ، قاهر المسيحية ابو العباس المنصور.

كان المنجور يزور ؛ كل سنة ؛ المنصور بمراكش ، ويشرح فى مجلسه مصنفا من مصنفات

1) ومن المشارقة الذين اثنوا على المنصور نجد الخفاجي وذلك فى كتابه « ريحانة الالباء » ص 142

2) وردت ترجمته فى فهرسته ، وفى نيل الابتهاج ص (80) ، وجذوة الاقتباس ص (67) ، ودوحة الناشر (ص 1 – 6 ،) ونزهة الحادي ؛ (ص 27، 133-135) وسلوة الانفاس ج 3 ص 62 .

3) ترجم المنجور فى فهرسته لطائفة من شيوخه ، منهم ابو الحسن على بن موسى المظهري ؛ وعبد الواحد الونشريسي.

العلوم الاسلامية ، ثم يعود الى فاس مزودا بالهدايا السنية والعطايا التركية ، الا ان ذلك العالم الجليل ، سرعان ما كان يوزعها على الفقراء والمنكوبين ، مؤثرهم بها على نفسه وان كان في اشد الخصاصة .

مات المنجور بفاس في السبعين من عمره في السادس عشر من ذي القعدة ، سنة 995هـ (19 اكتوبر 1587م)، ودفن خارج باب الفتوح قرب قبر شيخه اليسيتني ، حسب ما ورد في سلوة الانفاس.

اجاز الشيخ المنجور تلميذه احمد المنصور اجازة «كاملة وشاملة» في العشرة الاواخر من شهر رجب 989هـ. (21 ـ 30 غشت 1581م) وكتب، بطلب من المنصور نفسه ، فهرسة شيوخه موضحا فيها طبقتهم العلمية وتاريخ ولادة ووفاة كل منهم.

تشتمل هذه الفهرسة على معلومات قيمة عن الحركة الفكرية بالمغرب في ذلك العهد، وقدم فيها المنجور صورة مشرقة عن المنصور، اذ حلاه بأحسن الصفات الخلقية ووسمه بأجمل السمات العلمية بحيث عده من جملة شيوخه في التاريخ والادب.

لم يذكر المنجور الاحداث التاريخية التي كانت سبب جلوس المنصور على العرش ولا التي وقعت ابان خلافته ، ولهذا كان من الضروري ان يقوم بعض الكتاب بوصف ما وصلت اليه الدولة السعدية ، زمان ذلك الخليفة العظيم ، من ازدهار وعمران ، ورغد العيش ، نتيجة انتصاره على البرتغال وفتحه للسودان ، وما ذره عليه ذلك من نعم وخيرات.

عبد العزيز الفشتالي : اننا من حسن الحظ ، نتوفر على مؤلف لابن القاضي ، طرق فيه ذلك الموضوع ، كما اننا نعرف ، من خلال بعض كتب التاريخ والتراجم التي دونت فيما بعد ، ان المنصور كان كلف احد كتابه بتدوين «حوليات» يضمنها كل امر ذي شأن مما قد يقع في المغرب طيلة عهده. وذلك الكاتب هو ابو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي الفشتالي المولود عام 956 هـ (1549) والمتوفى سنة 1031هـ (1621م) بمراكش (4).

اجمع مترجمو الفشتالي ... تاريخ الدولة» و «وزير القلم الاعلى» وانه نظم بصفته شاعر البلاط الرسمي اكثر منظومات الشعر المنقوشة على المرمر وعلى الخشب في اروقة قصر البديع وداخل اجنحته في مدينة مراكش(5)، ولا زال بين ايدينا باقة من المولديات التي كانت تجود بها قريحته في الحفلات الفخمة التي كان يقيمها المنصور في «البديع» كل سنة بمناسبة احياء ذكرى المولد النبوي.

ان المؤلفات التاريخية المنسوبة للفشتالي تعتبر مفقودة ، ولا نعرف منها الا كتابه «مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفاء» الذي ضاع كذلك(6) وقال عنه المقري انه يتألف من ثمانية مجلدات ، وقد استعمله المؤرخ الافراني، وذكر ابن القاضي انه يشتمل على تاريخ دولة الاشراف السعديين منذ نشأتها حتى عهد المنصور ، ويتضح من المقتبسات الطويلة التي اخذها مؤرخون لاحقون من كتاب الفشتالي ان المؤلف جعل كتابه مديحا وتقريظا لاسرة المنصور الشريفة ، ويبدو ان الفشتالي وجد في العمل التاريخي الذي وكله اليه المنصور فرصة لابراز موهبته كناثر وكشاعر ، لدرجة ظهر معها كتابه اشبه بديوان شعر ، تبدو فيه المادة التاريخية على شكل لحمة لوصل القصائد في الكتاب ، ومع ذلك يبقى «المنهل» ذا اهمية تاريخية لا يستهان بها اذ قد وصفه الافراني بانه يضم تفاصيل دقيقة عن حكم المنصور وعن الاحداث التي وقعت في عهده.

لا شك ان اجود ما في كتاب الافراني وأجداه هو «خلاصات ومقتبسات» عن الفشتالي فيما يتصل بتنظيم البلاط المنصوري على النمط التركي، وتنظيم الجيوش السعدية ، وبناء قصر البديع الذي اراد المنصور ان يجعل منه اثرا خالدا لاسرته ، والذي احضر رخامه خصيصا من ايطاليا، مقابل وزنه سكرا من انتاج معاصر القصب التي كانت قائمة اذ ذاك على طول الشاطئ الاطلسي بالمغرب.

---

4) ترجم له في «درة الحجال» و «نزهة الحادي» و «نفح الطيب» و «ريحانة الالباء» و «نشر المثاني» و «الاستقصا» و «الجيش» و «المنتخبات العبقرية» ؛ واعترف صديقه المقري ، في نفح الطيب ، انه كان من اعظم شعراء عصره ، وأكد ذلك فيما بعد الخفاجي الكاتب المصري.

5) اورد الافراني بعضها في «نزهة الحادي».

6) نشر قسما من هذا الكتاب الاستاذ عبد الله كنون (منشور جامعة محمد الخامس الرباط 1964) والاستاذ عبد الكريم كريم (مطبوعات وزارة الاوقاف الرباط 1972).

ابو عبد الله محمد الفشتالي والتمكروتي :

يخبرنا الافراني عن كتاب تاريخي آخر عنوانه « الممدود والمقصور من سنا ابي العباس المنصور » الفه كاتب آخر من كتاب المنصور ، وهو ابو عبد الله محمد بن عيسى . الا اننا لا نعرف شيئا عن ذلك الكتاب ولا عن صاحبه(7).

وكان يعيش ببلاط المنصور كاتب ثالث اهتم ايضا بالتاريخ . وينتمي الى قبيلة فشتالة ، وهو ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي(8) الذي صحب ، سنة 1003هـ (1594 – 1595م) الشيخ علي التمكروتي(٥) سفير المنصور الى الخليفة العثماني.

عرف ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بتعاطيه للشعر، ويوجد له بخزانة الرباط (رقم 537 XI) ارجوزة في التاريخ عنوانها «الوفيات» نظمها حسب ما قاله في مقدمتها ، كتكملة «لوفيات» ابن قنفذ القسنطيني(9) و«لقط الفرائد» لابن القاضي ويفيدنا القادري ان ابا عبد الله المكلاتي(10) اتم ارجوزة محمد الفشتالي وان الحافظ ابا العباس احمد ابن ابي المحاسن يوسف الفهري الفاسي(11) الف ارجوزة اخرى في هذا الموضوع وجعلها خاتمة لسابقاتها.

وأما التمكروتي الذي اشرنا اليه اعلاه فهو ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ، اصله من تمكروت ، حيث الزاوية الناصرية . اختاره ابو العباس المنصور ليترأس سفارة القسطنطينية ، وقد دون بتلك المناسبة رحلة سماها «النفحة المسكية في السفارة التركية»(12) وأورد فيها معلومات تاريخية لا باس بها ، اقتبس عنها الافراني ، ولكن اهمل ذكر صاحبها.

اشار الافراني ، في الفصل الذي خصصه في «النزهة» للكلام على جيوش المنصور الى رحلة اخرى استفاد منها ، وهي «رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب» لابي العباس احمد افقاي(13) الا اننا لم نعثر على اي ترجمة لمؤلف تلك الرحلة التي تعد مفقودة.

ابن القاضي : اذا كان كتاب الفشتالي قد ضاع كله او جله ، فان لدينا كتابا لمؤرخ معاصر له، وهو شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد بن احمد ابن علي بن عبد الرحمن بن ابي العافية المكناسي الزناتي المعروف بابن القاضي، والمولود سنة 960 هـ (1552 – 1553م)(14).

---

7) ذكر صاحب «دليل مؤرخ المغرب» تحت رقم 598 . وقال هو من التآليف الضائعة وان مؤلفه مات سنة 990 هـ. في سجن المنصور الذهبي (المغرب).

8) ترجم لمحمد بن عيسى الفشتالي في نفس المراجع المذكورة في التعليق رقم 4 . وأما التمكروتي فقد عرف به ابن القاضي في «المنتقى المقصور» والخفاجي في «ريحانة الالباء» والقادري في نشر المثاني.

9) هو ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني الملقب بقنفذ ؛ توفي سنة 810هـ (1407 – 1408م) ، ذكره ابن القاضي في «جذوة الاقتباس » (ص 79) واحمد بابا في «نيل الابتهاج» (ص 57) والقادري في «نشر المثاني» (ج 1 ص 4) وذكر ابن مريم مؤلفاته في «البستان» (ص 308 – 309) المؤلف.

10) ابو عبد الله محمد المكلاتي اخذ عن عبد الرحمن الفاسي ، توفي سنة 1041هـ ، ذكره القادري في «النشر» ج 1 ص 160.

11) انظر القسم الخاص بالتراجم.

12) قام بنشرها وترجمتها الى الفرنسية هنري دو كاستري (باريس 1929م).

13) اقتبس الناصري ما ورد في «النزهة» عن افقاي (الاستقصاء ج 3 ص 84) ولكنه جعل «افغاي بدل افقاي» و رحلة الشباب عوض رحلة الشهاب (المؤلف) . وذكر ابن سودة في «الدليل» «رحلة الشهاب» رقم 1475 ووردت ترجمة «تاقوقاي» شهاب الدين الحجري في «الاعلام» ج 2 ص 69 ، ومعها نبذة من رحلته (المعرب) .

14) نجد بعض اخباره في مؤلفاته وفي «صفوة من انتشر» (ص 77) و«النشر» (ج 1 ص 128) و «اقتباس الدرر» (كراسة 8) و«البدور الضاوية» للحوات (مخطوط بخزانة الرباط رقم 394 – كراسة [illegible] «سلوة الانفاس» [illegible] ص 132) و«البدر [illegible] الفضيل» (ج 2 ص 352) الخ. (المؤلف).

يرجع نسب ابن القاضي الى عشيرة زناتية ، استقر كثير من ابنائها في فاس ومكناس، واشتهرت طائفة من فروع «ابناء القاضي» بتضلعهم في العلم.

كان «ابناء القاضي» يدعون انهم من ذرية الامير موسى بن ابي العافية الذي انضم الى الفاطميين في القرن العاشر وحارب من كان اذ ذاك بالمغرب من الامراء الادارسة(15).

تلقى ابن القاضي العلم بمراكش وبفاس ، اخذ بفاس عن والده ، وعن العلامة ابي العباس المنجور، وأبي عبد الله محمد بن قاسم القصار(16) وابي يعقوب بن يحيى اليدري المتوفى سنة 999هـ (1595م) وبمراكش عن المفتي عبد الواحد السجلماسي المتوفى سنة 1003هـ (1595م) وابي زكريا يحيى بن محمد السراج الاصغر (1007هـ 1598م) وابي عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن جلال بن مجبر المساري (983هـ/1576 – 1577م) والفقيه المشارك احمد بابا السوداني صاحب نيل الابتهاج ، وأخذ ايضا عن ابي المحاسن يوسف الفاسي.

برع ابن القاضي في الحساب وفي العلوم التي «يعوم فيها كالسمك في الماء ويحلق فيها كالصقر في السماء» وقد رحل الى ديار المشرق حاجا حيث مكث مدة طويلة وسمع عن عدة علماء كبار منهم ابراهيم العلقمي(17) وابي زكريا يحيى بن محمد الحطاب (995هـ – 1589م) ومحمد بن يحيى بدر الدين القرافي (1008 هـ – 1600م).

لما كان ابن القاضي عائدا الى بلاده ، علم ، وهو في قزان بمكان اسمه «المخاطين» ، شهر اكتوبر 1578م ، بانتصار المنصور على اعدائه البرتغاليين في معركة وادي المخازن، وقتل ملكهم.

لا شك انه كان يعيش في كنف المنصور ، 994 هـ (1585 – 1586م) لانه، في تلك السنة، استأذنه في الذهاب الى القاهرة لطلب «العلم الشريف». وركب متن البحر، قاصدا مصر، ولكن اسره قراصنة البحر النصارى في الرابع عشر من شعبان (994هـ) ، وبعد احد عشر شهرا في الاسر والحرمان افتداه المنصور الذهبي ، فمدحه بقصيدة طويلة انشدها بمجلسه يوم وصوله الى مراكش (8 شعبان 995هـ – 14 / 7 / 1587م).

مكث ابن القاضي بمراكش مدة ثم اسندت اليه خطة القضاء بسلا ، ولكن لم يلبث ان صرف عنها ، فانتقل الى فاس حيث استقر وتطوع للتدريس وشرح صحيح البخاري بمسجد الابارين ، وكان من تلامذته ابو العباس احمد بن يوسف الفاسي واحمد المقري صاحب «نفح الطيب».

قصد ابن القاضي ، في آخر عمره ، الزاوية الدلائية حيث اهتم بتثقيف محمد ابن الشيخ ابي بكر الدلائي، ثم عاد الى فاس ، وهناك وافاه الاجل المحتوم ، في شهر صفر عام 1025 ، فأقام الصلاة على جثمانه تلميذه احمد المقري، امام جامع القرويين اذ ذاك ودفن خارج باب الجيسة قرب ضريح الشريف الادريسي السجلماسي سيدي محمد بن الحسن.

مؤلفات ابن القاضي : ترك اربعة عشر كتابا، اربعة منها تراجم ادبية ، سندرسها في القسم المخصص لها ، وثلاثة مصنفات تاريخية ، وهي « المنتقى » و « درة السلوك » وشرحها (18) .

---

15) قال ابن القاضي في مؤلفه «جذوة الاقتباس» (ص 227 – 229) بمناسبة ترجمته لموسى بن العافية ما معناه : «اننا ننتسب الى هذا الامير، ولكن الله اعلم بالحق ، وعلى كل حال فاني استنكر معاملته لذرية الرسول (يعني الادارسة) واشهد الله وملائكته انني عبد لابناء الرسول ومحبهم» والظاهر انه قال ذلك تملقا للاشراف ، وبوجه خاص للسعديين.

هذا وقد ذكر الكتاني انه طعن في انتساب «ابن القاضي للبيت النبوي» (المؤلف) .

16) توفي سنة 1012 هـ (1604م) ترجم له في «مرآة المحاسن» (ص 149) و «النزهة» (ص 192) و «السلوة» (ج 2 ص 62) الخ .

17) ذكر الخفاجي في الريحانة ص 255.

18) وعناوين الكتب الاخرى هي : «الفتح النبيل بما تضمنه من اسماء العدد التنزيل» و «غنية الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض» و «نظم تلخيص ابن البناء» و «المدخل في الهندسة» و « نيل الامل فيما به من المالكية جرى العمل» و «تقييد على جداول الحوفي» و «نظم منطق السعدة».

خصص «المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور» للأسرة السعدية، بل للملك احمد المنصور الذهبي، ويبدو من صفحة الكتاب الاولى، انه قدمه له اعترافا بجميله اذ افتداه من الاسر، فهو يعدد فضائله، ويسهب في عرض مناقبه وصفاته الخلقية والخلقية، ويشيد بعدله ونزاهته وورعه ومعارفه، وصبره وعنايته بالعلوم وبموسم المولد النبوي وما الى ذلك، وتطالعنا من خلال هذا الوصف معلومات تاريخية قيمة، وخاصة في مستهل الكتاب حين يتحدث ابن القاضي عن نسب الاسرة السعدية موجزا لان سابقيه تناولوا ذلك، ثم يبدي الشك في نسب واحد من جدود الاسرة، وبعدها يتحدث عن ميلاد السلطان المنصور بفاس (سنة 956هـ – 1549م) ويذكر كيف تقلد زمام الملك بعد معركة وادي المخازن، وبالمناسبة يورد ملخصا عن تلك المعركة(19) ويقارنها بمعركة بدر، ثم يستطرد الى ذكر الفتوحات التي تمت على يد جيوش المنصور بالسودان وتوات وتكورارين (كرارة).

لا يستطيع الا القارىء النبيه ان يلتقط المواد التاريخية الغارقة في خضم التقريظ والمديح للسلطان، وهي جد قليلة، وهكذا يتسنى له ان يعرف ان المنصور اهتم بتنظيم اسطوله البحري، وبتحسين المراسي، وأنه بنى بفاس برجين اولهما غربي باب الجيسة، وثانيهما بالجنوب الغربي من باب الفتوح، وأن يطلع ايضا على الابيات الشعرية التي امر المنصور بنقشها على الخصة المرمارية التي ارسلها سنة 996هـ (1588م) من مراكش الى فاس ليزين بها صحن جامع القرويين.

ان المؤرخ الافراني يسجل في كتابه «نزهة الحادي» المعلومات التاريخية التي يشتمل عليها «المنتقى» ولم يغفل الا عن القليل منها، فانه لم يشر مثلا الى نص الحوالة الجبسية التي تتعلق بالوقف الذي خصصته ام المنصور، السيدة عودة بنت عبد الله الوزكتي الورزازاتي(20) لصالح مسجد اقامته بمراكش قرب باب دكالة، وقد حرر تلك «الحوالة» الكاتب عبد العزيز الفشتالي وصادق عليها احمد المنصور نفسه.

«فالمنتقى» في فصوله الثمانية عشر، مليء بالشعر والاستطرادات الهامشية، والفوائد الدينية، ومثال ذلك انه بينما يتحدث عن تقوى المنصور، في الفصل السادس، يدخل في حديث طويل عن فوائد مخافة الله، وخلال ذلك كله، يورد اربع عشرة مقطوعة شعرية، في كل منها من عشرة الى عشرين بيتا، ثم يعود الى فصله ليختمه ببضعة سطور، مكررا برتابة هذه العبارة «ولنرجع الى ما كنا بصدده»

شرح ابن القاضي اسلوبه الانشائي في مطلع كتابه وذلك حيث قال: «.. وقد اذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات انشدتها، وملح غريبة استحسنتها ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس، بخلاف ما اذا نمي بغيره فقد يسلي العبوس.. والخاتمة اذكر فيها نكتا غريبة، وطرقا عجيبة يصغي اليها المنتهي والشادي، والعاكف في ربع الادب والبادي» فالاستطرادات في نظره من جدية الفصول وتجعل قراءتها متعة.

لا شك ان ابن القاضي قد كتب المنتقى، كما قلنا، في بادرة عرفان بجميل من افتداه من الاسر، وانه لم يفكر في وضع كتاب في التاريخ، وذلك، فيما نرجح، لئلا يغضب الفشتالي مؤرخ الدولة الرسمي، ولا يقف منه موقف الند المنافس.

لا ندري هل نظر المنصور الى «المنتقى» بعين الرضى والاستحسان، الا اننا نلاحظ انه لم يلبث ان عين مؤلفه قاضيا بسلا.

لابن القاضي ايضا ارجوزة تاريخية عنوانها: «درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك» لا ندري متى الفها انه ذكر فيها الدول الاسلامية، وبصفة خاصة، الاسر الحاكمة التي توالت بالمغرب الى زمانه، وقد اكملها، بناء على طلب المنصور، بشرح سماه الدر الحلوك المشرق بدر السلوك(21).

---

19) ان هذه المعركة كانت ذات اهمية عظيمة، خلافا لما يظنه الاستاذ كور (Cour) وأعرب عنه في كتابه «الدول الشريفة بالمغرب»، وتشتمل الوثائق التي نشرها دو كاستري (السلسلة الاولى من المحفوظات الفرنسية ج 2) على ما يؤيد هذا الحكم تأييدا لا غبار عليه. (المؤلف)

20) لازال قبر هذه السيدة معروفا بمقبرة السعديين في مراكش.

21) يوجد بخزانة الرباط مخطوط للسلوك وشرحه تحت رقم 372.

تقع الارجوزة فى اربعمائة بيت بدأها بالسيرة النبوية اوجزها فى عدة ابيات ثم انتقل الى الامويين فالعباسيين فالفاطميين (او العبيديين) ثم الايوبيين وينهى القسم الاول من الارجوزة بذكر سلاطين آل عثمان، ثم خصص القسم الثانى للمغرب : انه اعرض عن الاندلس وعن الموحدين ولكنه ذكر الادارسة ومن بينهم جده موسى بن ابى العافية، ثم مغراوة ولمتونة وبنى مرين، واشار ، فى اربعة ابيات ، الى امير فاس مزوار الشرفاء محمد بن على بن عمر الجوطى (869 ـ 870هـ / 1561 ـ 1569م) ثم الى بنى وطاس ليصل الى السعديين الذين لقبهم «بشرفاء ينبع الزيدانيين».

ان الاربعمائة بيت التى تشتمل عليها تلك الارجوزة لايمكن الا ان تكون «جريدة» اسماء وتواريخ جافة لا يزيدها ما يقتضيه النظم من حشو الا غموضا وتعقيدا . اما الشرح فانه مفصل شيئا ما ولكنه لايسمن ولا يغنى من جوع، فانه لا يتضمن اكثر من اسماء الملوك وسنيهم وتسبهم وتواريخ وصولهم للحكم ووفاتهم ، واحيانا لوائح فيها اسماء وزراء وكتاب وحجاب وقضاة الخ.

فالقسم الذى خصصه ابن القاضى للسعديين فى الارجوزة (39 بيتا)، وكذا فى الشرح (6 صفحات) لا يفيد القارىء الا بمقدار ضئيل مع ان الكاتب كثيرا ما يحيله على كتبه الاخرى ولا سيما «المنتقى» و «جذوة الاقتباس» و «درة الحجال» .

ب ـ الافرانى و «نزهة الحادى»

لما قام الاستاذ هوداس سنة 1889م بنشر «نزهة الحادى» لم يستطع ان يعرف عن مؤلفه الافرانى، اكثر مما استقاه ، فى هذا الصدد ، من الكتاب نفسه.

نستنتج مما ورد فى كتب التراجم ان نسبه «الافرانى» و «اليفرانى» و «الوفرانى»، وقد اخترنا الاول نسبة الى «افران» القبيلة السوسية المستقرة بحوض وادى درعة.

هو ابو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الافرانى الملقب بالصغير. ولد بمدينة مراكش حوالى 1080هـ (1669 ـ 1670م) ، درس بمسقط راسه على الفقيه ابى العباس احمد بن على المواسى السوسى(22) ثم رحل الى فاس فاكمل دراسته فى جامع القرويين حيث اخذ عن عدد من كبار العلماء منهم الفقيهان عبد الحى الحلبى ومحمد بن عبدالرحمن ابن عبد القادر الفاسى(23).

يخبرنا الحوات ان الافرانى اتم باكورة انتاجه فى الثامن والاربعين من عمره، وهو مؤلفه «المسلك السهل فى شرح توشيح ابن سهل(24) وهو كتاب متداول اليوم عند الادباء المغاربة .

ويخبرنا الحوات كذلك ان الافرانى كان يومئذ بالمدرسة الرشيدية فى فاس ، ولكن لم يوضح لنا هل كان مقيما هناك لطلب العلم ام للتدريس.

ومما يجعلنا نرجح انه كان من حاشية المولى اسماعيل ، ذلك الكتاب الذى دون فيه اخباره وعنوانه «الظل الوريف فى مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف» و «روضة التعريف بمفاخر . . .» وقد انتهى منه سنة 1133 هـ اى خمس سنوات بعد انتهائه من «المسلك السهل» وهو لسوء الحظ كتاب فقد اثره (25) .

الف الافرانى «صفوة من انتشر»(26)، حسب رواية الحوات، سنة 1137هـ وعلى هذا فيكون قد انكب ، قبل ذلك ، على تصنيف كتبه الاخرى التاريخية منها ، وهى درر الحجال فى مآثر سبعة

---

22) ولد هذا الفقيه بمراكش سنة 1050هـ (1640 ـ 1641م) وتوفى سنة 1130هـ دفن قرب ضريح الامام الجزولى (صفوة من انتشر ص 223).

23) سنتكلم عن هذين العالمين فى القسم الثالث المخصص للتراجم .

24) طبع هذا الكتاب فى فاس (المطبعة الحجرية سنة 1324هـ).

25) انه لمن حسن الحظ ان عثر الاستاذ عبد الوهاب بن منصور على مخطوط هذا الكتاب فحققه واشرف على اخراجه بالمطبعة الملكية (1382 هـ ـ 1962 م).

26) انظر القسم الخاص بالتراجم.

رجال» ولم يتمه(27) و«المعرب في اخبار المغرب» وهو مفقود كذلك، وأخيرا «نزهة الحادي»، وغير التاريخية وهي «الافادات والانشادات» و «طلعة المشتري في ثبوت تواب الزمخشري» و «وفتح المغيث بحكم اللحن في الحديث».

اننا نجد في كتاب الدرعي «الدرر المرصعة»(28) وكتاب القادري «التقاط الدرر» ان الافراني عمر طويلا ، وانه مات حوالي 1151هـ لا 1140هـ فصاحب : «الدرر» ذكر في ثنايا ترجمة العارف الكبير احمد بن ناصر ان الافراني امتدحه بقصيدة انشدها بنفسه وكان قد جاوز السبعين من عمره ، وأنه كان اذ ذاك اماما وخطيبا بالمسجد اليوسفي بمراكش ، وفي نفس الوقت يقوم بالتدريس. قال صاحب الدرر : «وممن امتدح صاحب الترجمة ايضا الاديب النحوي اللغوي البياني المحدث ابي عبد الله محمد الافراني وقد لقيته بمحروسة مراكش بمسجد علي بن يوسف وهو الامام والخطيب به وذلك في صدر سنة 1151هـ وانشدني بعض القصيدة التي امتدحه بها وناولني بقيتها مع كراسة من نظمه ، ثم ذكر قصيدته التي قالها بعد الرحلة وقد بلغه طعن الطلبة عليه حين تصدى للتدريس ونصها(29) :

الى كم يهتك الحساد عرضي
وجفني عنهم بالحلم مغض

وما ذنبي اليهم غير اني
رفعت عليهم من غير خفض

يرون العلم في حبس وشيب
وذاك عليهم بالجهل يقضي

وهل في خطة الاحباس شيء
سواء غضب الاله وهتك عرض(30)

وكم من اشيب كالبغل يمشي
ولحيته اللجام له بركض

ولو تركوا حظوظ النفس كانوا
جميعا ظامئين لورد حوض

وتاهوا في فجاج الحفظ مني
ولم يصلوا الى طول وعرض

وجاؤوا مهطعين لبحر علم
يفيض على المجالس اي فيض

جمعت من النفائس كل علق
وحزت من اللطائف كل غض

وحلاني الاله بدر علم
وأعطاني القبول بكل ارض

وحصلت العلوم بجوع بطن
وخوض في المباحث اي خوض

وكم من ليلة قد بت فيها
سمير دفاتر من غير غمض

اخذت العلم عن اشياخ صدق
واعلمت المطي لكل مرض

وبعض مشائخي الابرار لاقى
نبي الله عيسى دون رفض

فقل لشيوخ مراكش هلموا
بانصاف لتصطبحوا بروض

ولا يحملنكم كوني صغيرا (31)
على انكار مرتبتي وبغض

فان العلم نور الله يعطى
اثارته لبعض دون بعض

---

27) كذلك في كتاب «الاعلام» 12 ص 23 (المعرب) .

28) ورد في «دليل مؤرخ المغرب تحت رقم 86 (المعرب).

29) نقلت هذا النص من كتاب «اظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال (المطبعة الحجرية بفاس) للقاضي عباس بن ابراهيم المراكشي ص 182 ـ 183 (المعرب).

30) يرى المؤلف المترجم لهذه القصيدة ان الافراني يلمز هنا الى الاختلاسات التي يرتكبها عادة المكلفون بشؤون الاوقاف.

31) ربما يشير هنا الى لقبه «الصغير» (المؤلف).

لم يصلنا من نظمه الا هذه القصيدة واخرى في مدح ابي العباس السبتي(32) والبيتان اللذان ارتجلهما مفتخرا :

انا اشعر الشعراء غير مدافع
من قال لست بشاعر ياتيني

فكري هو البحر الخضم شبيهه
والبحر حاوي الجوهر المكنوني(33)

زعم ابن الموقت في كتابه «السعادة الابدية»، ان الافراني وقف بالمسجد اليوسفي تحت بلاط حجرة الجنائز وان نخلة صغيرة نبتت على قبره وهي لازالت قائمة الى يومنا هذا.

اننا لا نعرف الكثير عن حياة الافراني ولا ندري ما هي «المصيبة» التي نزلت به واشار اليها في كتابه «نزهة الحادي» (33) وكل ما نعرفه عنه انه نكب في حياته وشكا جشع الناس للمال ، ويبدو انه وقع في ضائقة مالية حتى ان دائنيه باعوا مكتبته الشخصية، وقد عبر عن غيظه في رسالة من جملة الرسائل التي كان يوجهها لرئيس الزاوية الشرقاوية بابي الجعد الشيخ امحمد الصالح بن محمد المعطى الشرقي.

وكيف ما كان الامر فان المؤرخ الافراني يتمتع اليوم بسمعة طيبة في الاوساط الادبية المغربية ، ويحظى بكامل التقدير، وان كتاب «نزهة الحادي» يعتبر اكمل تاريخ للدولة السعدية بعد «مناهل الصفا» للفشتالي .

نزهة الحادي

اطلعني فضيلة القاضي عباس بن ابراهيم على نسخة من رسالة كان قد وجهها الافراني للشيخ محمد الصالح الشرقي ، وتسنى له استنشاطها بزاوية ابي الجعد ، واليكم الفقرة التي تهمنا منها

«الغياث الغياث يا احرار
نحن خلجانكم وانتم بحار

انما تحسن المواساة في الشد
ـدة لا حين ترخص الاسعار

«وقد اكملنا كتابنا «صفوة من انتشر، في اخبار صلحاء القرن الحادي عشر» في خمسة عشر كراسا ، وهو كتاب حفيل ، ذكرنا فيه والدك ، وكل ما فيه من الغرر والفوائد فهو متقول من نحو خمسة وعشرين كتابا ، وهو عندي قربة الى الله ، فان اردت نسخة فابعث من ينسخها لك ، ولو رأيت تراجمه قبلت براجمه ، وكذلك كتابنا «نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي».

يتضح من هذه الرسالة ومن مقدمة «الصفوة» ان «النزهة» الف قبل «الصفوة» وبعد «الظل الوريف» المخصص لذكر مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف لماذا ياترى بدا له ان يدون تاريخ دولة بعد تراجم الصالحين، معرضا هكذا عن تقصير اهتمامه على ذكر اخبار دولة قد قويت شوكتها وانتشر نفوذها ؟ ألان «الظل» قوبل بشيء من الغضاضة؟

فانه والحق يقال ، قد ختم «النزهة» باخبار المولى اسماعيل فامتدحه واثنى عليه، ولكن الكتابة على تدوين اخبار ملوك انقرضوا ، لا يخلو ، في نظرنا من جرأة .

بدأ المؤرخ كتابه «نزهة الحادي» بنشاة الاسرة السعدية وتعرض في آخره لبداية الاسرة العلوية الى عهد المولى اسماعيل، فذلك الكتاب «يغطي» اذن فترة قرنين من الزمان، وان كان عنوانه يوحي بأنه سيقتصر فيه على تاريخ قرن واحد. وحيث ان الافراني اعترف نفسه انه يريد ان يتعرض لاخبار كافة الاشراف السعديين فانه ذلل تلك الصعوبة بقوله : «وهذه الدولة السعدية وان كان ابتداؤها عام ستة عشر من القرن العاشر، لكن انما ظهرت واتسعت ايالتها في آخر العاشر واول الحادي، فلذلك ادرجناها في الحادي وما قارب الشيء فهو له في الحكم محاذي » (34) .

خصص الافراني خمسة وسبعين فصلا من الواحد والثمانين التي اشتمل عليها كتابه ، للكلام على الدولة السعدية ، وذلك حسب قوله ليجعله ذيلا

---

32) ابياتها مثبتة كذلك في «اظهار الكمال».
33) ص 310 (ط هوداس) .
34) «نزهة الحادي» (طبعة هوداس ص 2)

«لروض القرطاس»(35) و «روضة النسرين في دولة بني مرين»(36). الم يكن الحافز الحقيقي له على تاريخ الدولة السعدية، هو ميله العاطفي الى اولئك الاشراف الذين كانوا بسوس، موطنه، وتربعوا على العرش بمسقط رأسه، مراكش؟ فلنستمع اليه وهو «يئن» قرب انقاض قصر البديع. قال:

«امر بهدمه السلطان المظفر اسماعيل بن الشريف، عام تسعة عشر ومائة والف **لموجب يطول شرحه**، فهدمت معالمه، وبدلت مراسمه، وغيرت محاسنه... وعاد حصيدا كان لم يغن بالامس. ولما دخلت البديع مقفلي من الرحلة ورايت ما هالني قرات عليها ابياتا انشأها محيي الدين بن عربي في كتابه المسامرات لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة.

ديار بأكناف الملاعب تلمع
وما ان بها من ساكن وهي بلقع

ينوح عليها الطير من كل جانب
فتصمت احيانا وحينا ترجع

فخاطبت منها طائرا متفردا
له شجن في القلب وهو مروع

فقلت علام ذا تنوح وتشتكي؟
فقال على دهر مضى ليس يرجع» (37)

لا شك ان الافراني كان لا يرى ملكا اعظم من المنصور، صديق الشعراء والمؤرخين اذ خصه هو وحده بثمانية وعشرين فصلا وصف فيها حياته ومفاخره وما كان له من ايادي بيضاء.

اننا لا نرى ضرورة لتحليل كتاب «النزهة» تحليلا مفصلا، بل يكفي ان نذكر ان الافراني ضمنه تاريخ جميع السعديين الذين تولوا الحكم، فعرف بنسب كل منهم وتاريخ جلوسه على العرش. ثم قفز بسرعة الى حكم المولى عبد الملك فوقف قليلا عند النصر الذي احرزه على جيوش سبسطيان. حتى اذا وصل الى زمن المنصور، بدأ يكتب بحماس وتؤده عن فتوحه ونشاطه العمراني، فوصف قصر البديع واورد معلومات مختلفة عن الاحتفالات الرسمية والدينية، وعن فروع الادارة المركزية، ثم تكلم عن الثورات التي قامت بعد وفاة المنصور، وعن اعمال المجاهدين الذين تصدوا بمدينة سلا لمحاربة النصارى، وعن الدلائيين الذين كان قد بزغ اذ ذاك نجمهم وبدأ يتالق، وختم بالتحدث عن وصول الحسنيين للحكم، وعن الملوك الذين وطدوا اسس الدولة العلوية وهم مولاي محمد الشريف فمولاي رشيد فمولاي اسماعيل.

استند الافراني، في تاريخه هذا على ثلاثة وأربعين مصدرا، بعضها يتصل بالتاريخ العام وبعضها يتصل بتاريخ الاسرة السعدية، كتاريخ الفشتالي، و«المنتقى» و «درة الحجال» و«البدر الحلوك» لابن القاضي. ولم تكن تنقصه الجرأة احيانا لما يورد في كتابه بعض العبارات التي لا يرتاح عادة لسماعها ارباب السلطة ولا تتسع لها صدورهم ولكنه كان دائما يتخلص من تبعتها باسنادها الى اصحابها.

واعتمد الافراني كذلك على عدة مراجع غير تاريخية لانه كان، كسابقيه، ميالا للاستطرادات الادبية مهتما بتسجيل ما كان يقع بين الادباء من المساجلات الشعرية وما كانت تجود به قريحته هو، في مختلف المناسبات(38) وكل ذلك يدل على سعة ثقافته وقوة عارضته، ومما يزيدنا تقديرا له انه كثيرا ما كان يستعمل ثقافته ومحفوظه لنقد اقوال بعض المؤلفين الذين اخطأوا في التعليل والتفسير.

وبالاضافة الى ما تقدم فان الافراني استطاع ان يرجع في تاريخه الى اوثق المصادر المعروفة في عهده ويستعملها استعمالا سليما، وان يرجع كذلك الى بعض المستندات الرسمية بحكم وظيفته في المخزن بحيث توصل اليها ونقل منها بامانة.

---

35) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو: «الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» (تأليف ابن ابي زرع) وقد طبع بالمغرب عدة مرات (المعرب).

36) «روضة النسرين في دولة بني مرين» لابي الوليد اسماعيل بن الاحمر طبع بالرباط — (المطبعة الملكية 1382هـ — 1962م) (المعرب).

37) «نزهة الحادي» (طبعة هوداس ص 113 — 114).

38) انظر مثلا ص 14 من «النزهة» (طبعة هوداس).

اورد فى نهاية مؤلفه قائمة مصادر عربية مطولة من شأنها ان تساعد المتطلعين لدراسة الحركة الادبية بالمغرب.

وفى الختام فانه المؤرخ المغربى الوحيد فى عصره الذى ترك لنا خلاصة عن حكم السلاطين الثلاثة الاولين من الاسرة العلوية . فكتابه «النزهة» يتسم بالجدية وجدير بان يعتبر وصلا «لروض القرطاس» ولكتاب «العبر» .

ج ـ مؤلف مجهول كاتبه

يخبرنا الافرانى فى الفصل المخصص فى «النزهة» للسلطان السعدى ابى محمد عبد الله الغالب بالله ان احد الكتاب اتهم ذلك السلطان بانه سلم للنصارى مرسى «حجرة بادس» لئلا يستولى عليها الاتراك وأنه امر القائد على وادة بالانسحاب عن مرسى «البريجة» التى كان قد حاصر فيها البرتغاليين واستولى عليها(39) وبهذه المناسبة قال مؤرخنا : «وهذه امور شنيعة ان صح انه فعلها ، ونست ادخل فى عهدتها، انما رأيتها فى اوراق مجهولة المؤلف ، اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية، وظنى انها من وضع بعض اعدائهم للحط من قدرهم واخراجهم من النسب الشريف ، ووصف دولتهم بالدولة الخبيثة، فلذلك تجنبت منها كثيرا من الاخبار التى لا تظن باولئك السادات الاشراف رحمهم الله (40) .

لم اكن اتصور ، وأنا اقرأ هذه الفقرة ، انه سيتسنى لى يوما ما العثور على ذلك المرجع الذى استنكر مؤرخنا موقف صاحبه من الاشراف السعديين ، وأنبه على اتهامه للغالب بالله بالخيانة والخذلان.

ولكن ابتسم لى الحظ ذات يوم فعثرت عليه صدفة بمكتبة العالم السلوى محمد بن علي الدكالي ، فى شكل كراسات تضم نحو الثلاثين ورقة مبتور الاول ولا اثر فيه لاسم مؤلفه(41) ولم اكد اتصفحه حتى تيقنت اننى وضعت يدى على ضالتى المنشودة.

اخبرت ان ذلك المخطوط اقتنى بفاس ، ولذا سميته بـ «مجهول فاس» (l'anonyme de Fès) وقد عقدت العزم على نشره وترجمته(41).

ان الصورة المثبتة فى الصفحة الثانية تكفى لتعطينا فكرة عن الحالة التى وجدت عليها تلك النسخة من المخطوط «وهى نسخة قديمة بخط مندمج، قريب من المختول».

انه عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الثورات والمؤامرت والاغتيالات والمحاصرات والغزوات التى توالت بالمغرب خلال القرن السادس عشر الميلادى.

استهل بذكر اخبار السطان مولاى الشيخ ، وانتهى باخبار سميه مولاى محمد الشيخ الملقب بالاصغر. وهو يشتمل على معلومات دقيقة عن اغتيال العالم عبد الواحد الونشريسى وعن حصار محمد الشيخ لمدينة فاس وانتصاره على احمد الوطاسي ، وعن فرار عم هذا الاخير الامير ابى حسون الى الاندلس ثم الجزائر ورجوعه الى فاس صحبة فصائل من الجيش التركى، وآخر الامر عن موت ابى حسون وعن استيلاء مولاى محمد الشيخ على حاضرة فاس وقتله للعالم ابى محمد الزقاق.

لا يلبث متصفح هذا المخطوط ان يدرك ان صاحبه كان يرغب ، قبل كل شيء فى تسجيل الاحداث التى وقعت فى عهد الامير السعدي الاول محمد الشيخ لانه لم يخصص لخلائفه، ومنهم احمد المنصور ، الا نتفا ضئيلة من الاخبار.

---

39) ورد ذكر هذه الاخبار ص 37 من «تاريخ الدلة السعدية» لمؤلف مجهول الاسم، وهو الكتاب الذى اشار اليه ليفى بروفنصال وقام بتحقيقه ونشره الاستاذ جورج كولان (الرباط سنة 1934 ضمن مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية (المغرب).

40) نزهة الحادى ـ (طبعة هوداس ص 49).

41) ولا شك ان المؤلف ليفى بروفنصال لم يستطع انجاز ذلك ، اذ الاستاذ جورج كولان هو الذى قام بنشر المخطوط ، وكان قد جمع ثلاث نسخ منه فتسنى له تدقيق اكمل (المغرب) (انظر التعليق رقم 39) .

41) ـ 18 ـ طبعة جورج كولان

ورد ذكرها في هذا المرجع ان مؤلفه يعرف بدقة ، مدينة فاس وحاراتها وسككها وابوابها الخ. ويكفي للاقتناع بذلك ان نمعن النظر في الفقرة التاليـه : «.. انهزم مولاى محمد الشيخ ، وظفـر ابو حسـون المريني بمحلته. ودخل ولده عبـد الله علـى بـاب الفتوح، وجاز على قنطرة الرصيف، وخاف ان يمر بوسط المدينة ، فرجع على وادى الصوافين، وخرج على باب الحديد ولحق بأبيه»(42).

ويتجلى من الفقرة السالفة ان مؤلف المخطوط فاسى النشاة الا انه من الصعب تحديد الزمان الذى اقدم فيه على التدوين وكذا معرفة الاسباب التـى حملته على النظر الى السعديين بعين السخط التى «تغضى عن المحاسن وتبدى المساوىء» والظاهر ان الافرانى كان كثير التحفظ فيما ينقل منه ويوجـز كل ما فيه نوع من التحامل على رجـالات الدولـة السعدية . فانـه مثـلا لخـص فى اسطـر «تـأدب السعديين بآداب اهل الحاضرة فقال : «ان ملـك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة، فأما الرجل فقاسم الزرهوني ، فانه رتب للسلطان ابى عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب اصحابهم ، وكيفية مثولهم بين ايديهم، واما المراة فالعريفة بنت نجوا فانها علمته سيرة الملـوك فى منازلهم وحالاتهم فى الطعام واللباس، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة وازداد فى عيون العامة رونقا وحلاوة(42) وقال صاحب مخطوط فاس : «ولقد حدثنى رجل كان فى عصـره يقال له السيد على بن هارون، وكان من اعلم الناس باحوالهم انه لقى اربعة من فراوة عند حمام القلعـة وهم مرتدون باردية الفرش المطـروزة بالحريـر وحواشيهم مطروزة بالحرير الملون وهم ينظرون الى بعضهم بعضا ويستحسنون ذلك، وكـان قد دخـل مولاى محمد الشيخ لفاس الجديد دخوله الاول وعليه «ملوطة» من ملف سماوى وطوقها من ملف احمـر ، وكان بنو مرين يسمونه ببوملوطـة ، وهكذا كـان أعيان اهل درعة لباسهم ولبـاس اشرافهـم الى ان دخلوا مدينة فاس وتمهد ملكهم فيها وفى نواحيها من

فاما الرجل فهو قاسم الزرهوني، كان وزيرا عند بني مرين ، مجدهم وزين لهم لباسهم وزيهم واراهم كيف يلبسون الثياب وكيف يشدون الشدود والعمائم ، وكيف يركبـون المراكـب بـزى عجيـب، وكيـف يشهرون السلاح بالفضة والذهب والوشى، وكيف يباشرون الامور مع اعيان القبائل وأكابر القوم، وكيف يتعقد الديوان ومن يختص به من العلمـاء والادباء والكتاب والحفظة والقواد، وكيـف يكـون قعودهـم ومنازلهم فى المجالس ، وكيف يكون وقت الطعام مع تقديمه الى القوم ، وكيف يقضى الامر والنهي الى غير ذلك مـن الامـور والاشيـاء التـى لا تحصـى، وأطلعهم على جبايات المغرب ودواوين القبائل ومـا ياتى من جباية زكواتهم واعشارهم، وما عليهم مـن الوظائف ورواتب الجيوش الى ان ضبط لهم ملكهـم وزينه وشرف امرهم وحسـنه وغلظ حجابهم ومكنـه فكبرت حجتهم وعظمت صولتهم، وامـا المرأة فهـى العريفة بنت نجوا . كانت عند بني مرين ، ودخلت بيد الشرفاء، وجدوها اكبر حجة فى الدار فابقوهـا على ما هى عليه، فأرتهم كيف يصنعـون الاطعمـة وكيف يطبخونها وكيف يدفـع الطعام فـى اوقاتـه وفصوله وأيامه . وأرتهـم كيـف يلبسـون نساءهم الملابس الحسان والتنوير بالطيب والتزين بالـزى العجيب، وتفريش الفرش من الحرير والرقـم فـى المخاد والاردية الموشية بالوشى الغريب، ووقـد الشمع الى غير ذلك مما لايحصى كثرة، فكانت هذه العريفة المرينية زينت لهم الديار وقامـت بهمتهـم واحوالهم فيها والوزير الزرهونى زين ملكهـم وابهـج سلطانهم»(43).

ان صاحب «مخطوط فاس» يتسم بالتحامل على امراء الدولة السعدية الا انه لم يستطع التغافل عن بعض محاسنهم. وهو على كـل حـال ليـس ممـن يزخرفون الاقوال ويكيلون المدح والثناء بالمكيـال الاوفى لكل من يجزل لهم الصلات ويغـدق عليهـم العطايا، لذا نعتبر مؤلفه تكملة مفيدة لنزهة الحادى.

الرباط : عبد القادر الخلادى

---

42) نقلت هذا النص من «الاستقصاء» ط الدار البيضاء 1955م ج 5 ص 30 ، وقد ورد فى «نزهـة الحادى» ص 29 (المعرب).

43) تاريخ الدولة السعدية ـ طبعة جورج كولان الرباط ـ ص 23 الى 25 (المعرب).

المسيرة الخضراء

للشاعر عبد القادر المقدم

اينا في الجنوب او في الشمال
لم ترقه مسيرة الاقبال ؟

اينا لم يشاهد النصر يرتد
صداه من خلف شم الجبال ؟

أينا لم يشاهد الشعب في ركب
عظيم يهب صوب الرمال ؟

صوب قلب الصحراء صوب الوادي ،
لشقاف الحمراء ، ارض الرجال ،

الرجال ، الذين ، صانوا حمانا ،
من عدو ، اذا عدا ، او وبال ،

فانظروا ، . . . هاهنا ، فتاك ، لعمري
آية ، تبهر النهى ، بجمال ،

فجرت نورها ، يد الحسن الثاني
لتلقي ، طلائع ، الآمال ،

ارسلتها صواعقا ورجوما
تمحق الافك ، من دعاة المحال ،

تبطل الادعاء بالحجج الكبرى
وتعطي روائع الامثال ،

وتضيء ، الدروب بالمثل الاعلى
وتلغي سخافة الأقوال ،

من قريب أو من بعيد تصدى
يبتغيها ، لحاجة بمقال ،

ظنها فرصة ، اتيحت ليلقي
بدلاء مشبوهة واحتيال ،

انها فرية تشين ذويها
ليتهم لم يبدوا قبيح الخصال ،

[illegible]

في النوادى ، وقائع الاحـــوال ،

* * *

تلـــك « وهران » والذين توارووا

من وراها ، يعطون شــر مثـــال ،

يتبارون ، فـــى مـــسراء رفيــع

اوقعتهم حباله ، فـــى خبـــال ،

فرهـــم انـــا نهـادن جبنـــا

فرهم ، ما تبديه ، غــب وصـــال ،

والـــذى يعشـــق الفضائل ، يبدو

لقريب عنها ، عديم ، الصيـــال ،

بعض ما تجمل ، السماحة فيـــه

هو دون التراب ، دون الرمـــال .

نحن عند العطـــاء نسترخص الدر

وتخفى يميننـــا عـــن شمـــال ،

دابنا الجود ، بالوفير من الخيــر

ولكن نضـــن .. دون احتـــلال ،

* * *

خلنى ، فـــى مسيرتى ، اتغنـــى

باخضرار ، الآفـــاق والآمـــال ،

بجـــلال المسيـــرة الخضـــراء

تتهادى فـــى روعـــة وجمـــال ،

تلهم ، الشعر ، للخلـــى شذيـــا

ملء افنانه ، كسحـــر حـــلال ،

خلنى فى بحبوحة الأمل الزاهـــى

اناجـــى عرائـــس الادغـــال ،

واناغى الأطيار ، فى حفلـــة الدوح

تـــؤدى ملاحـــم الابطـــال ،

واداري الهوى : هوى الوطن الغالى

فمثلى من ينتشـــى بالوصـــال ،

وأباهى ، بالعاهل البطـــل الشهـــم

جميل الوفا ، جليـــل النـــوال ،

عبقرى الاقـــدام ، والعـــزم فـــذ

والحجى منه ، كاسر الأغـــلال ،

لا تسل عن مكارم الحسن الثانـــى

فمنهـــا عجائـــب الافضـــال ،



قد يكون ترك الوصف ، أبلغ من الوصف ...

شيم العز قد تناهت اليه
ولديه ، الفت ، عصا الترحال ،

واليه يرنو الزمان رضيا
يبتغي منه قبلة الاجلال ،

بايعته على الوفاء ، وفود
اوفدتها ، اكارم الأخوال ،

❊ ❊ ❊

فاعجبن للمسيرة الخضراء
وتمل السرى ، باروع حال ،

كم اثاروا تشككا في عبور
لحدود ، رجاء منع وصال ،

زعموا اننا نهم بقفاط
واتابه لفي استعجال ،

ونسوا ، اذ تقولوا ، اننا نحمي
حمانا ، ونفتديه بغال ،

وليكن ما يكون ، اما دعا الداعي
لخوض الوغى ، وشن النضال ،

❊ ❊ ❊

هكذا المرجفون في كل واد
شانهم يخبطون في الاوحال ،

يرهبون الابصار في النور
والنور ، مضر بالماكر المحتال ،

ودهاهم ان صح عزم اكيد
لبلوغ المرام ، دون جدال ،

فليكيدوا ، وليرجعوا ، وليقولوا
فعد الوصل مؤذن باقتبال ،

ليس للقاصد المحق ، سوى نيل
مناه ، موصوفة بكمال ،

وليمناك تمت البيعة المثلى
على مشهد ، وسيع المجال ،

لم تعد بعد حجة لدعي
فالورى شاهد وكل مقال ،

خير ما يسعف الفلاة رجوع



أينا لم يشاهد الشعب في ركب * عظيم يهب صوب الرمال ؟

هكـــذا الحـــق لا يـــروم قرارا
غير اهليـــه ، سنـــة الفعـــال ،

❊ ❊ ❊

يا اخي ، في مسيـــرة الاقبـــال
فزت بالمجد ، فاهنـــأن بمنـــال

واهني الاخت الكريمـــة ، بالغنم
مسيـــرى محمـــودة الاذيـــال

قـــد حبتـــك الحياة اغلى وسام
بعبـــور مطيـــب مختـــال

ضمن قوم ، ابوا سوى رفعة الشأن
لهـــذا الحمـــى ، بكل المجالـــى

❊ ❊ ❊

فزتـــم بالتـــى يتـــوق اليهـــا
عظمـــاء الرجـــال ، والاقيـــال

كنتـــم للحمـــى طلائـــع فتـــح
جـــل مـــا نلتـــم ، مـــن الآمـــال

يالام كـــم انجبت مـــن اســـود
ونســـور ، ياللأب الرئبـــال

انا في نشوة من النصـــر اختـــال
كانـــى ، مجنـــح فى اختيـــال

انا مـــن امـــة تنافـــس فيهـــا
امم الارض باعتـــزاز مثالـــى

ومليكـــى الامام فـــى كل شـــأو
عالمي ، فـــى نسجه المتلالـــي

ان يقل فالدنـــا تصيـــخ اليـــه
وتدين المنـــى لـــه بامتثـــال

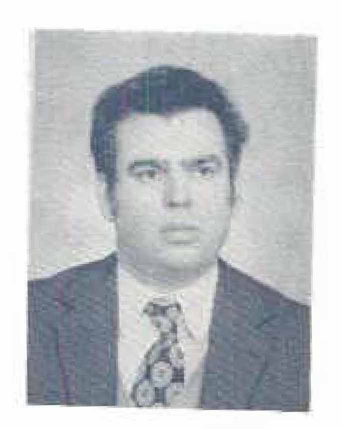
❊ ❊ ❊

رب ، ياذا الجلال ، فاحققه ، كيمـــا
يرفع الصرح شامخا فـــى الأعالى

واقـــر العيـــون منه مدى الدهر
بنجليـــه ، غـــرة الاشبـــال

وبـــال ذوى المناقـــب ، تزهـــو
بهـــم المكرمات فـــى كـــل حـــال

طنجة : عبد القادر المقدم



المراكز التربوية الجهوية

من مظاهر السياسة التعليمية بالبلاد

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

ان الذي يدرس الحالة التعليمية ببلاد المغرب قبل الاستقلال ثم يدرسها بعد الاستقلال فسيلاحظ وجود تطور كبير طرا على السياسة التعليمية من جهة وعلى تصعيد عدد المتعلمين من جهة اخرى

وكل من الاتجاهين يقتضي اهتماما خاصا به بحيث اصبحنا في سياستنا التعليمية نحاول ما امكننا على ان نحفظ التوازن بين أصالتنا ومعاصرتنا الشيء الذي يدعو الى بذل مجهود كبير لاحياء التراث وتنوير المفاهيم وفتح الاعين على مفهوم الحضارة في العصر الحديث فلا يعيش الفرد المغربي بعيدا عن قيمه وفي الوقت ذاته لا يعيش منكمشا على نفسه غريبا عن بواعث التقدم والتطور

وهذا هو السر في ان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لا يهمل في تصميماته ، هذه السياسة ولا ينساها ابدا ومن يتصفح خطابات العرش في مختلف السنوات يجد فيها فقرات كثيرة مخصصة للتعليم متعلقة بسياسته واهدافه .

ولا بأس ان نقدم للقراء فقرة من خطاب العرش الذي القاه صاحب الجلالة في ثالث مارس من سنة 1974 لنجعلها صورة واضحة لما نقول : (1)

قال صاحب الجلالة :

« وتعتمد سياستنا التعليمية على دعامتين اثنتين : اولاهما تكوين شباب صادق الايمان بقيمه الدينية والوطنية حريص على خصائص بلاده وتراث امته الثقافي قادر على اغناء هذا التراث ونشر اشعته ، وآخرهما توجيه هذا الشباب توجيها يستطيع معه التفتح على حقائق العالم الحديث والالمام بالمدركات العلمية والتقنية واكتساب الخبرة والمهارة اللتين تؤهلانه بمهام الانماء والتطور . »

وفي هذه الفقرة كما قلت تحديد دقيق لمفهوم هذه السياسة الموفقة .

ومن المعلوم ان الأمة لا تستطيع ان تساهم في اطار التنمية والتقدم الا اذا كان العلم طابعا متجليا على سيرتها وموجها لاختياراتها ومساعدا على تصميم مخططاتها وعلى تكوين اطرها .

ولهذا كان العنصر الثاني المتعلق بتصعيد عدد المتعلمين ضروريا ايضا .

وهذا التصعيد يكلف الدولة في العادة ميزانية ضخمة من الناحية المادية ولكنه في الوقت نفسه يكلفها مجهودا آخر يتعلق باعداد الأطر التي يمكنها مسايرة التصعيد في مختلف الشعب والمستويات .

---

(1) نشر هذا الخطاب بمجلة دعوة الحق الغراء العدد السادس من السنة السادسة عشرة بتاريخ ربيع الثاني 1394 موافق مايو 1974

صاحب الجلالة فى خطابه للطلبة الصحراويين الذين قدموا لتقديم ولائهم وتعلقهم
بالعرش العلوي المجيد

وفي اطار هذا الاعداد جاءت فكرة خلق المراكز التربوية الجهوية لتساهم بدورها في ملء اطر تعليمية معينـــة .

فاذا كانت المدارس التطبيقية الاقليمية تساهم في تكوين المعلمين وكانت المدرسة العليا للأساتذة تعد بعض اساتذة السلك الثاني وكانت الجامعة تهييء اطر السلك الثاني والثالث وتساعد على البحث العلمي فان هذه المراكز قد ملات فراغا كبيرا في اعداد السلك الأول وفي تسهيل عملية المغربة في الأطر التعليمية .

ويكفينا فخرا ان التصميم الخماسي السابق قد وضع مخططا وطنيا كبيرا لم يهمل فيه هذا الجانب التربوي التعليمي ومن يقارن بين عدد التلاميذ الاساتذة حين تأسيس هذه المراكز سنة 1970 وبين عددهم الحالي فسيجد الفرق كبيرا جدا ففي مركز سايس بفاس وحده كانت البداية بستين طالبا وارتفع العدد بالنسبة الى التخطيط المدرسي للسنة المقبلة الى ما يقرب من التسعمائة **900** وسيوزعون على الشعب الآتية :

شعبة آداب اللغة العربية
شعبة الاجتماعيات
شعبة الرياضيات
شعبة اللغة الفرنسية
شعبة العلوم الطبيعية

ونحن اذا كنا نعرف الحاجيات الضرورية لملء الأطر فسنعلم ان الاهتمام باعداد الاساتذة كما وكيفا دليل قطعي على الاهتمام بالتعليم ذاته في هذه البـــلاد .

ولا يخفى على القراء ان هذه المراكز التربوية الجهوية تعمل على تحقيق الأهداف الآتية :

اولا ــ التكوين العلمي الكفيل برفع مستوى التعليم في البلاد

ثانيا ــ التكوين التربوي المتعلق بدراسة علم النفس واصول التربية ومعرفة طرق التدريس ليكون الاستاذ عالما بمهنته خبيرا بمسؤوليته

ثالثا ــ التكوين الخلقي المعتمد على اصول التربية الخلقية والدينية والوطنية

رابعا ــ التكوين الوطني الذي يملأالعقل وعيا والنفس ايمانا فلا يترك اي مجال للتردد في نفع البلاد او في العمل على مصلحة المجتمع .

ان هذه المراكز التربوية حدث جديد في تكوين الاستاذ الذي يعتمد على الكفاءة الفكرية وعلى الكفاءة التربويـــة وان تحقيـــق هـذا التكوين لا ينجز الا بعد تصميم مركـــز وتوضيـــح للغايات والا بعد تربية الارادة الواعية التي تخطط للمستقبل ثم تعمل على تنفيذ التخطيط .

ولا يتيسر ذلك الا بتعاون مطلق بين الساهرين على تسيير هذه المراكز مـــن مخططين واداريين واساتذة وطلبة ليساهموا جميعا في تحقيق السياسة التعليمية التي سبق لنا ان بينا عنصريها من الفقرة التي اخترناها من خطاب العرش المجيد .

وان تحقيق الهدف من هذه المراكز لا يصبح امرا واقعا الا اذا وعى التلاميذ الأساتـــذة انهـــم مسؤولون عن انفسهم وعن النشء الذي سيوجهونه في المستقبل ولذلك يجب عليهم ان يتسلحوا بالمعرفة من جهة وان يكون سلوكهم فـــي المستوى المرغوب فيـــه

وليعلموا انهـــم وان كانـــوا مختلفيـــن فـــي اختصاصاتهم من حيث المواد العلمية فهم يمثلون وحدة من الناحية التربوية . ولم نأل جهدا في ابراز هذه الحقيقة التي يجب ان تكون شعارا لكـــل مـــن يتولى مهنة التعليم في البلاد .

ان الاساتذة يمثلون مجموعات مختلفة باعتبار اختصاصتهم وكل مجموعة لها مميزاتها ووظائفها في التكوين الثقافي العام اما لو حاولنا ان ننظر اليهـــم باعتبار كونهم مربين متحملين للمسؤوليـــة التربويـــة فسنرى انهم جميعا يمثلون مجموعة واحدة لا فرق في ذلك بين من كان استاذا للعلوم الطبيعية او العلـــوم الرياضية او العلوم الانسانية واللغوية .

وهذا الشعور الوحدوي هو الذي يمثل الجانب المعنوي في وظيفة الاستاذ وهـــو المميـــز الاكبـــر

ثم تناول الطلبة في ضيافة جلالة الملك كؤوس الشـاي والمرطبـات والحلويـات
وكلهـم آمـال وشـوق لخدمـة البـلاد

الطلبة مع رئيس الحكومة السيد أحمد عصمان ، ووزير الدولة في الشؤون الثقافية

للفلسفة الأخلاقية التي يجب ان تطبع العلم في كل مجالاتـــه .

وان امة لا تستطيع ان تخلق هذه الوحدة فـــي التوحيد بين الأساتذة لتبقى امة مضطربة غير مستقرة وعابثة غير جادة . فعلى الاساتذة أن يعـــوا هـــذه الحقيقة وان يعملوا من اجل استيعابها وتنفيذهـــا لتزول كثير من الفروق النفسية بينهـــم وليعلموا ان الواجب الذي ألقي على عاتقهم لا يرتبط فقط بمجـــال اختصاصاتهم ولكنه مرتبط أيضا بحســـن توجيههم وجمال أخلاقهم

فنجاح الأستاذ اذن رهن بمعرفة مادته وقدرته على تعليمها بالنسبة الى المجموعة الخاصة ورهـــن باستقامته وتمثله للفلسفة الأخلاقيـــة والتعليميـــة بالنسبة لمجموعته العامة (2)

ان هذه التوعية اصبحت ضرورية في عصرنا هذا وان المشاريع وحدها لا تؤتي أكلها اذا لم يكن المنتمون اليها ذوي وعي كاف في انجاحها ولهـــذا يجب على التلاميذ الأساتذة ان يعـــوا مسؤولياتهم الوطنية وان يجعلوا هذه المراكز جديرة بأن تحقـــق اهدافها وليعلموا أن الاستاذ الذي يحتاج اليه المغرب يجب أن يتسلح بسلاح العلم والاخـــلاق والاضاعت اعماله سدى وفقد تلك الهيبة داخل المؤسسات التي يعمل بها والتي تساعده على اثبات شخصيته وتبليغ رسالته .

واني ليسرني ان أقول بكل اعجاب وافتخار :

ان خريج المراكز التربوية سيملأ اطرا مغربيـــة صالحة وسيبدي كفاءة تربوية تعتمد علـــى المعرفة بالمادة وعلى القدرة على التلقين وفقـــا للطـــرق البيداغوجية الحديثة ؛ وذلك نظرا لمواصلة الدراسة ولمزاولة التداريب التطبيقية العملية فـــي مختلف الفصول ونظرا لمواجهة التلاميـــذ علـــى اختـــلاف مستوياتهم وطبقاتهم الشيء الذي يجعل مـــن التلميذ الاستاذ شخصية ذات خبرة بمهنتها ومسؤوليتها .

وكل ما ارجو من المتخرجين الا يخيبوا ظنننـــا فيهم وان يعملوا جهد مستطاعهم علـــى التمســـك بالنصائح التالية :

اولا — ان يحرصوا على المعرفة وعلى التزود من مناهل الثقافة فـــي مختلف المجالات

ثانيا — الا يهملوا متابعة التطور في الدراسات الفلسفية والنفسية والتربوية

ثالثا — أن يعملوا ما أمكنهم علـــى تطبيـــق معلوماتهم داخل الفصول وعلى الاستفادة من تجاربهم ليشاركوا في تطور التعليم ببلادهـــم

رابعا — ان يشعروا بأنهم يقومون بأعظم مهمة في البلاد فلا يجوز لهم أن يهملوا واجباتهـــم او يتهاونوا في اعمالهم او ينحرفوا عن الجدية والحزم في مواصلة الركـــب الحضاري .

خامسا — ان يمتثلوا وعيا بوطنيتهم ورسالتهم

سادسا — ان يحترموا شخصيـــة المتعلميـــن ليحصل التجاوب المطلق بينهم وبيـــن التلاميذ ؛ فالأستاذ الـــذي لا يحتـــرم شخصية من يتعلم استاذ فاشل وعقيم

سابعا — ان يعتز الأستاذ بنفســه فلا يكون ذليل ولا يربط قيمته في المجتمـــع بمـــا يربحه من مال ولكن بما يحققـــه مـــن اعمـــال

هذه بعض التوجيهات التي يجب ان يتمسك بها الاستاذ في حياته ليحقق ما يرجى منه فـــي الحـــال والمـــآل .

ان الاستاذية رسالة تجعل القائم بها في موكب القيادة الرائدة التي تتصرف في صنع الافكار وفـــي خلق النفوس الواعية وفي توجيه الشعـــوب وهـــي

(2) هذه الفكرة اوضحتها في السنـــة الماضيـــة لطلبتي بشعبة الرياضيات واستخدمت فيها عمـــدا طريقة المجموعات ليتيسر لهم استيعابها وهي احدى الخواطر التي ادونها تحت عنوان « خواطـــر متدفقة »



اعراب وولاء وتعلق بالعرش العلوي المجيد من أعضاء الطلبة الصحراويين الذين قضوا اياما رائعة ، وأعيادا باسمة بعودة الاقليم الصحراوي الى الوطن

رسالة جديرة بمن يتحملها ان يفتخر بها وان يعلم انها شيء عظيم لا يستخف بها الا حقير

وغير خاف ان البرامج التي توضع لهذه المراكز يجب ان تكون مستوحاة من السياسة التعليمية التي سبق لنا شرح ابعادها في خطاب جلالة الملك لأن هذه السياسة غير موقوفة على اتجاه دون آخر فهي نبراس يضيء على العقل والروح ومعيار على اساسه نزن قيمة الأستاذ ومدى تفاعله مع رسالته

واني لاعتقد تمام الاعتقاد بأن الاستاذ الذي لا يؤمن برسالته مجرم (3) يستحق الخزي والعقاب

ان الايمان بالرسالة هو العنصر الأساسي في تكوين الشخصية وفي الشعور بالمسؤولية وهو العامل القوي في خلق الاهتمام بالمتعلمين ومستقبلهم واني لأربط ربطا متينا بين مصير الأمة وبين موقف الاستاذ من رسالته فاما مصير مشرق يبعث على الأمل ويثير الطريق أمام المتفائلين بالنصر والمجد والعزة واما مصير يبعث على القلق ويترك ظلمات الجهل مسيطرة ويطبع المستقبل بالهزيمة والانحطاط والتخلف .

ان استاذا يستطيع ان يتحكم في مصير الأمة لمسؤول تمام المسؤولية عن مواقفه ومحاسب عسير الحساب عن تهاونه واهماله سواء أكان متصلا بالعلم م كان متصلا باللغة والأدب

فعلى القائمين بهذه المهمة ان يعوا مسؤولياتهم وان يحاسبوا انفسهم وان يعلموا ان مستقبل البلاد رهن باعمالهم وسلوكهم وليس هناك سبيل يحققون به رسالتهم الا الاتصاف بما يأتي :

1 ـ الاخلاص والصدق في العمل
2 ـ الحرص على الكفاءة العلمية والكفاءة التربوية
3 ـ السلوك المستقيم

ولا يستصغر هؤلاء المتخرجون من المراكز انفسهم فانهم يتحملون العبء في اهم مرحلة من مراحل التعليم ، انهم يواجهون المراهقة بكل خطورتها وعقدها ولا يستطيعون ان يسايروا هذه الحقبة الا اذا تسلحوا بالمعرفة واتصفوا بالمرونة ودرسوا علم النفس واطلعوا على علم الاجتماع وتمكنوا من الدربة على التلقين وكانوا واعين بالسياسة التعليمية التي تحدثنا عنها ليقدروا على خلق المواطن الصالح الجدير بان يكون مواطنا مغربيا كريما .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(3) رسالة الاستاذ خاطرة ايضا من ضمن الخواطر التي اسجلها باسم خواطر متدفقة



الخلافة

من أجل النعم التي يحسد عليها المغرب

للأستاذ عبد الرحمن العمراني الادريسي

ينعم المغرب ــ من بين دول العالم ــ بنعم كثيرة لا تكاد تحصى.

فهو ينعم بطبيعة ارضه الجميلة المعطاء، وطيب هوائه، وتعدد مناطقه وتنوعها حتى كان الله سبحانه ابى الا ان يجعل منه صورة مختصرة لهذه الدنيا، ففيه الجبال بما تستلزم من قمم شاهقة ، واشجار باسقة ، وثلوج متراكمة ، وشلالات دافقة ، وغابات وأدغال تزهو بما فيها من صقور ونسور وشواهين وعناديب وشحارير وغيرها من الجوارح والصوادح. وفيه السهول بما تقتضيه من وديان وانهار ومروج وحقول ومراع وما يصحب كل ذلك من نماء وخصب وخير وبركة، وعطاء وجود. وفيه البحار بما تنعم به من مختلف الاسماك والحيتان، وما تستوجبه من مد وجزر وشواطئ وموانيء، وما تقتضيه من سفن ومراكب تساعد على النزهة وتدعو الى السفر والتجوال، وفيه الصحاري بما فيها من كثبان وواحات ونخيل وطرائد وزواحف.

واذا كان الله سبحانه قد وهب هذا الاختلاف والتنوع في ارضه وطبيعتها فانه سبحانه على عكس ذلك قد اعطاه من حيث سكانه مظاهر وحدوية تامة كاملة، فليس في المغرب من السكان الا عنصر واحد في جنسه ودمه، هو العنصر العربي الذي جاء بعضه الى هذه الارض منذ آلاف السنين قبل ميلاد المسيح من بلاد اليمن وشمال الجزيرة العربية عن طريق باب المندب وبرزخ السويس، وكون حضارة كانت هي اساس حضارة مصر والعراق(1) وهؤلاء هم الذين عرفوا بـ «البربر» عند الرومان الغربيين، وأيضا عند العرب اخذوا هذه التسمية كما وجدوها عن الرومان الشرقيين (البيزنطيين) ولكن مجردة عما كانت تعنيه عندهم من التوحش والهمجية، اما البعض الآخر فقد جاء مع الفتح الاسلامي وجاء بعضه في فترات متعاقبة، فاجتمع الفرعان وكونا الامة المغربية التي ظلت محافظة على وحدتها في الدم والجنس، وعلى استقلالها وسيادتها طيلة مئات القرون، وحتى عندما طغى الاستعمار الاوربي في العصر الاوربي الحديث فان المغاربة كانوا آخر شعب استعمر في المنطقة، وأول شعب ثار على الاستعمار وتخلص منه ، وبذلك بقيت دماؤهم صافية، وتقاليدهم العربية الاسلامية نقية مصانة .

وليس في المغرب الا عقيدة واحدة : هي عقيدة التوحيد على رأي جمهور السلف، وليس فيه الا دين واحد : هو الاسلام، وقراءة واحدة : هي قراءة نافع ابن ابي نعيم التي دخلت المغرب على يد ابي عبد الله ابن محمد خيرون في صدر المائة الرابعة من الهجرة النبوية ، وحتى المذاهب ليس فيه الا مذهب واحد : هو مذهب اهل السنة والجماعة المتمثل في مذهب مالك بن انس ، فليس في المغاربة خارجي، ولا رافضي ولا معتزلي، ولا قدري، ولا جعفري ولا باطني، ولا مشبه او مجسم.

---

1) انظر تاريخ مصر الى الفتح العثماني، لعمر اسكندر و ج سيفد ج ص 5 وانظر كذلك كتاب التاريخ القديم لـ ج ادجار ، وشفيق غربال ص 16 ــ 17.

وبواسطة هذه المظاهر الوحدوية التي توفرت للمغاربة في مختلف الاحقاب والعصور استطاعوا ان يبنوا مجدا ، وينقلوا دائرة التاريخ بمنجزاتهم ومعطياتهم في مختلف ميادين الحضارة ، فكانوا اول من اسس الجامعات والاحياء الجامعية في العالم كله. وبلغوا في العلم درجة جعلت الناس جميعا تشرئب اعناقهم الى الاخذ عنهم والاستفادة مما عندهم حتى ان الخليفة ابا عنان المريني كان يشبه المغرب بالكعبة في كون كل الناس يتطلعون اليه ويقصدونه، ويقول «دار المغرب كعبة كل قاصد»(2).

وينعم المغرب بأن الله جلت قدرته قد عوده دائما ان يكون النصر شقيقه ، والتوفيق رفيقه في كل ما ياتي وما يذر، وما ذلك الا لكون اهل هذا البلد يعتمدون على الله اولا ، ثم لا يتركون ما دعاهم اليه دينهم من عزم وعمل واستعداد واهبة.

فالمغرب وضع تخطيطات، وصمم تصاميم ظن البعض ممن ليس لهم ايمانه وعزيمته انها من قبيل الخيال، وأنها لن تتحقق ابدا، ولكن كانت دهشتهم عظيمة حينما رأوا بأعينهم ان ما كانوا يرونه حلما قد اصبح حقيقة ، وأن ما كانوا يعتبرونه خيالا اضحى واقعا ملموسا.

لقد صمم المغرب العزم على استعادة استقلاله ووحدته فتم له ما اردا رغم تعدد استعماره وتنوعه ، وأراد المغرب جلاء القوات الاجنبية عن اراضيه فتحقق الجلاء وطهر ترابه من جنود الدخيل ومن القواعد الاجنبية، وصمم المغرب على استرجاع صحرائه العزيزة فظن الكثير ان ذلك ضرب من العبث، وأن من باب ما اعتادوه من التلويح بالشعارات قصد الدعاية والتهريج والاستهلاك المحلي، وجاء الوقت المناسب لتحقيق ذلك الاسترجاع فوضع امير المومنين الحسن الثاني ـ حفظه الله ـ خطة المسيرة الخضراء مسيرة فتح المباركة التي استلهمها من تاريخ الاسلام ومن سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية التي انزل الله في شأنها سورة الفتح، فتساءل الناس من جهات كثيرة غير المغرب عن قيمة هذه الخطة ومدى اهميتها وفائدتها بل وذهب الظن بالبعض الى حد التيقن بفشلها، اما المغاربة فلم يكن عندهم ادنى شك في نجاحها حالا ومآلا، ومن ثم تقبلوها بالتهليل والتكبير، وتزاحموا بالمناكب للتسجيل للمشاركة فيها، وبكى وتألم من لم يسعده الحظ بالمشاركة فيها، وجاءت النتائج كما قدر عاهل المغرب وشعب المغرب، فعادت الصحراء وتحققت الوحدة، واجتمع الشمل، وخابت الظنون، وصدق الله العظيم ، اذ يقول : «ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ان الله بالغ امره».

وينعم المغرب كذلك ـ وهذا اهم ـ بنظام حكم يستمد صلاحه وقوته من الله اولا ومن الشعب ثانيا، وذلك بموجب انه نظام الخلافة الاسلامية الذي لايزال عندنا محفوظا كما سنه الخلفاء الراشدون، وتمسك به المسلمون ايام عظمتهم وسؤددهم امتثالا لاوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث وبصيغ كثيرة كقوله : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم وغيره. وقوله لحذيفة بن اليمان : «الزم جماعة المسلمين وامامهم» رواه مسلم.

ذلكم النظام الذي ينبني على الشورى والتناصح وضمان المصالح وحماية حقوق الله وحقوق عباده ، كما ينبني على الاخوة الصادقة النابعة من القلوب وليس على اخوة كاذبة مزورة مستوردة لا تتجاوز في حقيقة امرها الشفاه المكرهة على النطق بها وترديدها كما هو الشأن في الاسطوانات والابواق.

ذلكم النظام الذي يهدف الى خدمة كل المسلمين واسعادهم من غير نظر الى اجناسهم او الوانهم و حيثياتهم او طبقاتهم، ومن غير اعتبار لاقطارهم او بلدانهم انما المعتبر هو انهم اهل اسلام وتوحيد. وقد

2) قال ذلك للفقيه العلامة الصرصري الذي اختاره لتدريس الفقه بمدرسة المتوكلية بفاس . وكان قد امر بمناظرة من طرف الفقيهين : ابي عيسى موسى ابن الامام ، والشريف ابي عبد الله شام الجمل بغية تدريبه على المناظرة والمحاورة حتى يضيف الى ما عنده من الحفظ والاستظهار مكانة المناظرة والمناقشة ، فغضب الفقيه الصرصري لهذا وظنه تنقيصا من حقه وانقطع عن الدرس في غاية الانقباض، ولما اشتهر ذلك عنه استدعاه ابو عنان فآنسه وهدأ من روعه ، وقال له: «انا الذي امرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم ، وما عند الناس ، وتعلم ان دار المغرب كعبة كل قاصد فلا يجب ان تتكل على حفظك ، تقتصر على ما عندك».
الاستاذ المنوني : مجلة الثقافة المغربية عدد 5 نقلا عن ازهار الرياض ج 3 ص 27 ـ 28.



مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه يمثل عزة الاسلام ... وهو متوجه الى المسجد لاداء الصلاة

لاحظ هذا المعنى الخلفاء المسلمون، فكانوا يحرصون على حماية مصالح الناس وحقوقهم مهما نأت ديارهم وتباعدت اوطانهم واختلفت اجناسهم منذ الخليفة الاولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه.

وفى تاريخ المغرب ، وتاريخ الخلافة به ما فيه الكفاية من الامثلة الرائعة على ذلك. فقد لبى المغرب نداء مسلمى الاندلس يوم تكالب عليهم الشر، فزحف بمجاهديه الابرار على الجزيرة وكانت معركة الزلاقة التى كان من نتائجها استمرار الاسلام والعروبة هناك لمدة اربعة قرون اخرى.

وكثر اسرى المسلمين من الجزائر فى قبضة الاسبان، فاهتم بأمرهم الخليفة المغربى مولاى محمد ابن عبد الله، وبعث السفراء لدى ملك اسبانيا : «كارلوس الثالث» بغية تخليصهم وفدائهم، وما ارتاح له بال – رحمه الله – حتى خلصهم جميعا – احتسابا لله – مما كانوا فيه من ذل الاسر وهوانه فى الوقت الذى تخلى عنهم حاكم الجزائر التركى، وابى ان يفديهم بمن كانوا عنده من اسرى الاسبان، بل انه فضل اخذ المال فى فداء من بقى عنده من النصارى، ورد المسلمين الجزائريين الى الاسر ببلاد الكفار كما يقول محمد بن عثمان المكناسى فى كتابه : «الاكسير فى فكاك الاسير» ص 164 – 105 منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى – الرباط 1965.

وما كاد الاستعمار الفرنسى يعتدى على الجزائر سنة 1246 هـ حتى هب المغرب بدافع من الغيرة الاسلامية لمساندة الاخوة المسلمين بكل ما يملك من قوة ، فكانت معركة ايسلى سنة 1260هـ التى انهزم فيها المغرب لاول مرة وظهر ضعيفا امام العالم الشيء الذى شجع الفرنسيين على مهاجمة طنجة والصويرة، والاسبانيين على مهاجمة تطوان 1276هـ.

وما حصل المغرب على استقلاله سنة 1956 حتى عاود سيرته، فلم يبخل بتقديم العون والسند لكل الشعوب التى كانت تكافح من اجل استرداد سيادتها او المحافظة على وحدتها ، وفى مقدمة تلك الشعوب الشعب الجزائرى الذى قال المغفور له محمد الخامس – طيب الله ثراه – بصدد تأييده فى خطاب العرش لسنة 1957م «... ونريد ان نؤكد هنا موقفنا من قضية الجزائر الشقيقة التى هى بعض من كل هذا المغرب العربى، فنحن نؤيد دائما رغبتها فى الحرية والاستقلال، ونعد هذا التأييد مما يدخل فى التزاماتنا نحو ميثاق الامم المتحدة والمبادىء المتعلقة بحقوق الانسان وحرية الشعوب». وكان يردد فى كل مناسبة «ان المغرب لا يعتبر مستقلا الا اذا استقلت الجزائر»

واذكر انه – رحمه الله – كان قد قام بزيارة لسويسرة ، وتحدثت وسائل الاعلام العالمية عن لقاء مرتقب بينه وبين الجنرال ديغول على الحدود الفرنسية السويسرية وتساءلت عن موضوعه ، فادلى ديغول بتصريح ذكر فيه انه يرحب بهذا اللقاء ان المقصود منه التباحث فى قضية الحدود بين المغرب والجزائر، اما ان كان المقصود الحوار فى شأن قضية المشكل الجزائرى فانه يعتذر، ورد محمد الخامس فورا بأنه كان فعلا ينوى مقابلة الجنرال، وذلك للمذاكرة فى قضية الجزائر، اما مسألة الحدود فتلك مسالة تهم المغاربة والجزائريين، وستجد حلها عندما تستقل الجزائر.

كما اذكر ايضا انه فى سنة 1958 وفى المهرجان الذى كان يقام بمدينة فاس بمناسبة عيد الشباب، والذى حضره ولى العهد آنذاك : امير المومنين اليوم الحسن الثانى – اطال الله عمره – مع بعض اعضاء الثورة الجزائرية قال – حفظه الله – فى مستهل خطابه : انه بلغنى الآن ان الفرنسيين قصفوا المركز الكهربائى بوجدة ، كما قصفوا اهدافا اخرى، وذلك انتقاما منا لمساعدتنا الثورة الجزائرية، غير انى اعلن هنا ان المغرب لن يتخلى ابدا عن مساعدة هذه الثورة بكل ما يملك ومهما كانت التضحيات».

ويعلم العالم كله ، ويعلم الشعب الجزائرى ، ونعلم نحن الذين عشنا تلك الفترة ما هى التضحيات التى تحملها المغاربة قاطبة فى سبيل استقلال الجزائر والمحافظة على وحدتها الترابية».

وفى الايام الاخيرة وعندما اقدم حكام الجزائر على طرد عشرات الآلاف من المغاربة وتشريدهم بصورة خالية من كل معانى الانسانية جاءنى السيد محمد الخوجة ، وهو من مواليد الناضور يبكي وفى يده صحيفة عربية وقال لي : «ارأيت ما فعل حكام الجزائر بالمغاربة ؟ اننى لا اكاد اصدق، اذ كيف يفعلون بنا هذا ونحن الذين لم نبخل عليهم بشيء يوم محنتهم حتى بالارواح والدماء ، اننى اذكر اننا سكان المغرب الشرقى اندفعنا كالمجانين منذ خاطبنا محمد الخامس بوجدة وقال : «يجب ان تعلموا انكم غير مستقلين ما لم تستقل الجزائر» – نعمل مع الثوار الجزائريين



صاحب الجلالة مع أعضاء الوفد الموريطاني

اكثر مما كنا نعمل مع جيش التحرير المغربي، ففي يوم واحد دفعت لممثلي الثورة الجزائرية بالناظور مليوني فرنك من الادوية وعشرة اطنان من المتفجرات واشتريت مسدسا مفضضا من احد الضباط الاسبان بمليلية بما مقداره اذ ذاك خمسة وثلاثون الف فرنك وكان مكتوبا عليه اسم الضابط فكشطته بالمبرد، ثم قدمته كهدية متواضعة لعبد الحكيم بوصوف الذي كنا ندعوه بـ «السي المبروك» عند ما صعد الى الجبل، ويوم ضربت الطائرات الفرنسية قبائل بني سنوس، وبني عشير ، والمسيردة ، واولاد نهار قسمنا فيما بيننا الف عائلة جزائرية، فكان من نصيبي سيدة مع اربعة اطفال لها مكثوا في بيتي وعلى نفقتي مدة لا استطيع تحديدها، واستمر الرجل يعدد ما قام به هو واخوانه من اعمال لصالح ثورة الجزائر الى ان قاطعته قائلا : لا بأس لقد قمت بما قمت به احتسابا لله واداء للواجب، «فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين».

هذا بعض ما اعطى الله للمغرب من نعم، وما اولاه من آلاء ، ولا شك ان بعضها فقط كاف لان يؤلب عليه قلوب الحاقدين، ويضرم النار في نفوس الحاسدين الذين حرموا من تذوق حلاوة تلك النعم، فحاولوا ويحاولون ان تزول عنه لتكون لهم ، ولكن هيهات ! فما كان الله ليخيب ظننا فيه، وما كان له سبحانه لينجح مسعى الحاسدين الحاقدين، وهم اعداؤه الممقوتون عنده وعند عباده ، قال صلى الله عليه وسلم : «الحسود لا يسود» فضرر الحسد انما يحيق بالحاسد لا غير، قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : لله در الحسد ما اعدله ! بدأ بصاحبه، فقتله» .

ولذلك فنحن مغتبطون جدا لحسد هؤلاء الحاسدين لان حسدهم يجعلنا متيقنين بأن عندنا ما تحسد عليه ، اذ لا حسد الا على نعمة كما ورد في الاثر، ويدل له قوله تعالى : «ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». وقوله : «ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق».

قال ابن القيم في تفسير المعوذتين من كتابه: «بدائع الفوائد» ج 2 ص 233 : «فالحاسد عدو النعم، وهذا الشر هو من نفسه وطبعها ليس هو شيئا اكتسبه من غيره بل هو من خبثها وشرها بخلاف السحر فانه انما يكون باكتساب امور اخرى واستعانة بالارواح الشيطانية ، فبهذا ـ والله علم ـ قرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر، لان الاستعاذة من شر هذين تعم كل شر يأتي من شياطين الانس والجن، فالحسد من شياطين الانس والجن، والسحر من النوعين».

والحسد اول ذنب عصي به الله في السماء من ابليس، امر بالسجود لآدم فأبى حسدا، وفي الارض من قابيل ادى حمله الحسد على قتل اخيه هابيل، ويعتبر الحسد والسحر من اخص اوصاف اليهود ، واقوى اسباب الحسد حب الرياسة، وآفاته كثيرة، من اهمها بالنسبة الى الدين ان الحاسد متسخط لقضاء الله ، كاره نعمته التي قسمها بين عباده ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : «الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب» رواه ابو داود عن ابي هريرة، وابن ماجة عن انس.

ولقد احسن الشاعر اذ قال :

الا قل لمن ظل لي حاسدا
اتدري على من أسأت الادب ؟

أسأت على الله في حكمه
لانك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عني بأن زادني
وسد عليك طريق الطلب

ومن اهمها في الدنيا ان الحاسد كلما تجددت النعمة على المحسود ازداد غمه وحزنه وربما كان في ذلك حتف انفه ، ولله در الشاعر اذ يقول :

دع الحسود وما يلقاه من كمده
يكفيك منه لهيب النار في كبده

ان لمت ذا حسد فرجت كربته
وان صمت فقد عذبته بيده

وأنشد الغزالي في الاحياء :

لا مات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذي يكمد

لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد

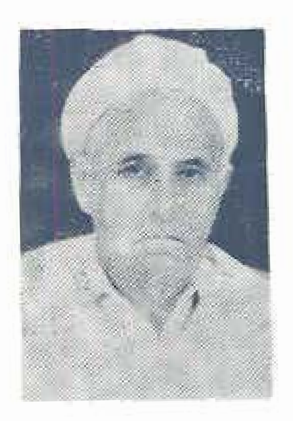
فنحن ازاء حسد الحاسدين ، وحقد الحاقدين نتوجه الى الله بما هو اهله من الحمد والشكر على ما خصنا به من نعم فى طليعتها نعمة الخلافة التى جعلها الله درعا واقيا من كل سوء ، وحصنا حصينا يلجأ اليه المسلمون فيدرأ عنهم كل الافات والشرور وخاصة فى مثل هذه الظروف التى كثر فيها دعاة الفتنة والالحاد والاديولوجيات الهدامة اولئك الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها. ووصف لنا بأنهم «قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا».

روى الامام مسلم فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان قال : «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان يدركنى ، فقلت : يارسول الله ، انا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال: نعم، قلت فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتى ، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر ، فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم، دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها . فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا، قال نعم ، قال قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا، قلت : يا رسول الله ، فما ترى ان ادركنى ذلك ، قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم . قلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك».

كما نتوجه الى الله سبحانه ان يزيدنا من نعمه ، ويبعدنا من شر الحاسدين ، ويرد كيدهم فى نحورهم ويرزقنا عونا ونصرا عليهم ان اتخذ حسدهم شكل افعال واعمال من شأنها ان تضر وتسيء، ويضاعف من حبنا واتحادنا والتفافنا حول امير المومنين الحسن الثاني ـ دام له النصر والظفر ، ولا شك انه سبحانه فاعل لانه وعد بذلك ، وهو لا يخلف الميعاد ، قال تعالى : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا». صدق الله العظيم.

فاس : عبد الرحمن العمراني الادريسي





ذكرى عيد العرش المجيد :

بعد عشرين عاما من الاستقلال

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

تحل ذكرى عيد العرش المجيد في شهر مارس بالبشر والانشراح ، فتصادف ذكرى العشرين سنة في نعمة الاستقلال . فنرفع بهذه المناسبة القيمة التهاني والتبريك والدعاء بالنصر والتأييد للجالس على عرش الافئدة والقلوب ، جلالة الحسن الثاني نصره الله .

تحل الذكرى بعد عشرين سنة قضيناها في عهد الحرية والاستقلال .

اجل ، ان جيل محمد الخامس طيب الله ضريحه قد اسهم بالغالي والنفيس من اجل الحرية والاستقلال في ركاب جلالة الملك المفدى محمد الخامس طيب الله ضريحه . فتحمل هذا الجيل : الكوارث والنوائب من اجل وفي سبيل الغايات المقدسة ، توالت عليه الكروب والملمات ، فصبر صبر الكرام . والصبر مفتاح الفرج ــ كما ورد ، والدرع الواقي لجهوده ، والنفس التواقة لجهوده ، هي ذرع محمد الخامس ، ونفس محمد الخامس ، قطعت المراحل خطوة خطوة بأمانة ورعاية واصطدمنا بالعقبات الكاداء ، فلم تلن لنا قناة ، لاننا كنا دائما وابدا نتخذ الدرع الواقي والنفس الابية التواقة سندا وعونا ، ومرجعا وموئلا ، وكلما حز بنا امر نستشيره ونسترشده ، فيوجهنا الوجهة الصالحة ، ونسير في الخطة المحكمة بتوجيهاته وارشاداته ، استحكمت الاحداث الجسام ، واصبح الكيد والمكر والانتقام يتوجه لصاحب الفكر الوقاد ، الموجه المرشد الامين ، المفكر العبقري الناضج شخص مولانا محمد الخامس رحمه الله .

حلت الكارثة العظمى التي انستنا جميع ما سبقها من الكوارث والاحداث الجسام ، حيث مدت الايدي العاتية الى قداسة العرش المغربي المفدى ، الى الجالس على اريكته ، الى امل الامة ، وملاذها في الشدائد .

في يوم 19 غشت 1953 اختطف جلالة الملك واسرته النبيلة التي يراسها قائد المسيرة الخضراء وجامع شمل الامة ، ومحقق وحدة المغرب الكبرى ، مولانا الحسن الثاني أيده الله .

اختلط الحابل بالنابل ، ودخلت المعركة الفاصلة بين المستعمر الغاشم الذي كان يبيت العدوان على البلاد المغربية . ويعمل جاهدا لان تصبح قطعة من فرنسا وراء البحار ! ؟ وبين شعب مؤمن ، صامد ، براسه ملك همام ، وشجاع ، مسلم عبقري يخلص لله وللعروبة والاسلام ، ويحافظ على شخصية الوطن وقدسيته .

دامت المعركة سنتين ونيف استشهد فيها جيل من المؤمنين الصادقين رحمهم الله واحسن اليهم ، وتكبد آخرون جميع انواع المكر والخذلان ، وفتنوا في اموالهم ، واعراضهم واشخاصهم ،

فاستساغوا واستهانوا بكل ما يصيبهم في هذا السبيل ، حتى جاء الفتح المبين ، ورجع الملك الظافر لعرشه وامته في رفعة وسؤدد ، واستقبله شعبه الامين الوفي بما يليق بجلالته من اجلال وقداسة وطاعة وولاء ، وفي يوم 16 نوفمبر 1955 حل حلول يمن وبركة وبالمطار المدني لمدينة سلا وبمجرد ظهور محياه ومشاهدته لابناء شعبه الطموح ، تغمرهم الفرحة برجوع سيد البلاد اليهم سالما ومعظما ومحترما ، فقال كلمته الخالدة بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن، ان ربنا لغفور شكور .

مرت مدة يسيرة . وتمت المعاهدة بين فرنسا من الله ورعاية ، وبعد يومين اثنين من استقراره في قصره المنيف ، حضرت وفود الامة للتبريك والتهنئة لجلالته بعيد عرشه الميمون وجلوس جلالته على اريكته ، فبشر الامة المجاهدة الحافظة للعهود المضحية بكل عزيز وغال ، المتشبثة بحبه والاخلاص لجلالته . بالحرية والاستقلال .

مرت مدة يسيرة . وتمت المعاهدة بين فرنسا من جهة والمغرب من اخرى ، تعترف فيه فرنسا (1) بالاستقلال بدل الحماية ؟ ويحتفظ المغرب بحقوق الشعب المغربي في كل اطراف بلاده الموزعة ! وعقبها بيسير تمت عقدة الحماية وانتهى امرها بين اسبانيا(2) من جهة والمغرب من اخرى ، ثم جاء دور منطقة طنجة الدولية انحلت العقدة ، وتم الاعتراف دوليا بوحدة البلاد المغربية بما في ذلك طنجة المختطفة قبل ! وبعد جهاد وكفاح واخذ ورد ، واصل المغرب جهوده تحت اشراف جلالة الحسن الثاني خلف والده، ووارث سره ، السائر على نهجه وطريقته ، فاستطاع حفظه الله ان ينقذ منطقة الطرفاية من مخالب المستعمر (3) وتوالت الجهود تلو الجهود ، واستطاع ــ سدد الله خطاه ــ ان ينقذ منطقة ايفني (4) .

وبقيت خطوة هامة لاتمام الوحدة المغربية ووحدة التراب المغربي تحت راية العروبة والاسلام وبعيدا عن كل مستعمر او خاذل ، تلك هي منطقة الصحراء المغربية (5) ، التي كانت لا تزال تئن تحت نير الاستعمار البغيض ، الذي كان يحوله ان يزدردها لقمة سائغة ! ! حيث يدعي انها له ومنه واليه ؟ وحاول الاغرار والاشرار والطامعون تاييد هذا المنطق المعوج ! ؟ رفعت المشكلة للمحكمة الدولية بلاهاي لتقول كلمتها الفاصلة ، فكانت الكياسة والعبقرية والنظر البعيد في ترتيب حجج المغرب وبياناته ، ترافع الخصمان وادلى كل منهما بما لديه ، وتبارى خطباء الجانبين في الدفاع ، كل عن وجهة نظره ، وراجع القضاة الملفات ، وتصفحوا الحجج والبيانات، فاصدروا حكمهم التاريخي ، يبرز حق المغرب في صحرائه ، وانها قطعة منه واليه ، وبينه وبينها من وشائج القربى والاخاء طيلة قرون ، فانهزم المفترون ، وخنث الافاكون ، واصبح المغرب تحت رئاسة ملكه العبقري ، يفكر في الوسائل الناجعة لرد هذا القسط من البلاد والامة الى اصلها :

ما هي الحكمة البالغة لاخذه من يد مغتصبه سلما لا حربا ؟ وانتشاله من يد مفترسه ومختطفه ومغتصبه ؟ ما هي الوسائل القمينة بالنجاح في السير به الى شاطىء السلامة والعودة للاصل ؟

هنا يجب ان نقف مهلة يسيرة لنرجع ، الى المورد الصافي ، الذي استقى منه صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله المسيرة الخضراء .

(1) انعقدت معاهدة الاستقلال بين المغرب وفرنسا بتاريخ 2 مارس 1956

(2) وتمت معاهدة الاستقلال بين اسبانيا والمغرب يوم السبت 7 ابريل 1956

(3) وتم انضمام منطقة طرفاية من مخالب الاستعمار الاسباني في عهد جلالة الملك محمد الخامس ، ولكن بحكمة وتبصر وشجاعة الحسن الثاني ، وذلك في يوم الخميس 20 رمضان 1377 موافق 10 ابريل 1958

(4) وبعد جهود مضنية وقيام جيش التحرير المغربي بكفاح منقطع النظير ، ضد الاحتلال الاجنبي ، وجهاد سياسي في المنتظم الدولي ، وبالطرق القانونية ردت قطعة مقاطعة سيدي ايفني للوطن المفدى ، وذلك يوم الاثنين 30 يونيه 1969 م موافق 14 ربيع الثاني 1383 هـ

(5) مؤتمر المحمدية في شان قضية طنجة المنعقد يوم الاثنين 3 ربيع الاول 1376 موافق 8 اكتوبر 1956 حيث خطب جلالة محمد الخامس بين ممثل الدول مطالبا استرداد طنجة للواء السيادة المغربية الكاملة .

يشرفني ان ارجع بالقارىء الكريم الى عهد محمد الخامس وتربيته المثلى ، لفلذة كبده ، وولي عهده ، ووارث سره، لنرجع الى الغرس اليانع العطر الطيب الذي بذره جلالته في شخصية وارث سر الملك الهمام ، وكاني بالقارىء ينتظر الافصاح عن هذه التربية المثلى ، والمورد الصافي ؟

ففي سنة 1934 وعمر صاحب السمو مولاي الحسن اذاك لا يتجاوز خمس سنوات ! في هذا الوقت بالذات استدعينا نحن جماعة المحافظين على القرآن الكريم بالمسجد الاعظم لمدينة سلا ، من طرف باشا المدينة العلامة الاديب الحاج محمد الصبيحي رحمه الله . فقال لنا ان جلالة الملك يستدعي عشرين عضوا من الجمعية للحضور الى القصر الملكي العامر مساء يومنا ، وكان ذلك اليوم يوم الاحد ، قلنا سمعا وطاعة ، ولم نعرف الغاية من هذه الدعوة الكريمة ؟ وفي الوقت المحدد حضرنا للقصر تحت رئاسة امام المسجد الاعظم حامي الجمعية ، ومشجعها الفقيه العدل الشهيد الحاج محمد بن علي عواد ، وصلنا القصر ودخلنا مكان الاستقبال . فوجدنا أمامنا عشرين عضوا من جمعية المحافظة بالرباط ، تحت اشراف امام المسجد الاعظم بها ، نائب القاضي الفقيه العدل الورع السيد احمد بلغازي رحمه الله ، ادخلنا جميعا الى القصر الملكي ، وبلغنا دويرة لطيفة ، أنجزت لهذا الغرض ، تضيء جوانبها ، وتبشر بكل خير ، وجدنا الفرش الثمين ، والاستقبال الكريم ، جلسنا في حلقة مستديرة ، براسها الفقيه العلامة الورع الاستاذ السيد محمد اقصبي احد اعلام كلية القرويين رحمه الله ، ولجانبه الفقيه الذاكر الناسك السيد الحسن ابن يعيش حاجب صاحب الجلالة وغيرهما ، اذن لنا بالشروع في تلاوة سلك من القرآن الكريم ، وقيل لنا خمسة احزاب ــ يسبح لله ــ ستقرا جماعة للختم .

هناك علمنا ان القصد من هذا ، هو التبرك بقراءة القرآن الكريم ، في الساعة التي تفضل فيها صاحب الجلالة بالتحاق صاحب السمو ، سمو الامير مولاي الحسن « بالكتاب القرآني » تحت اشراف الفقيه العلامة النزيه سيدي محمد اقصبي .

ومن غريب ما لاحظت في هاتة الساعة التاريخية ان سمو الامير مولاي الحسن حضر للمجلس ، وجلس في احضان الحاجب المؤمن الصالح سيدي الحسن ابن يعيش . ووجدني الحظ لجانبه في المجلس ، شرعنا في التلاوة فرادى ، كما قلت ، فشاهدت هذا الرجل الصالح ، والمؤمن التقي في حالة خشوع وهيام ، يعني ويرعى هذا الطفل المبارك الميمون ، فمنذ الساعة الاولى لشروعنا في القراءة ، شرع هو بدوره يمر بيديه الكريمتين على صدر الطفل ، بل على كل جسده ، خاشعا خاضعا متضرعا ، ناطقا بقوله : اللهم علمه القرآن ، اللهم احفظه بالقرآن ، اللهم يسر امره بالقرآن ، اللهم احمه بالقرآن ، اللهم اهده بالقرآن ، اللهم اشرح صدره بالقرآن ، اللهم ... اللهم ...

داوم على هذه الدعوات والتضرعات من اول الحفل لآخره ، لم يفتر لحظة واحدة عن هذه الدعوات والابتهالات الربانية .

وشرف المجلس فورا سيدنا المنصور بالله ، الملك المؤمن الصالح محمد الخامس ، فجلس على كرسيه مع الجماعة يدعو الله الفينة بعد الفينة ويجار اليه ، ودموعه مسترسلة وهو في خشوع وانابة واستجابة لله .

مرت هذه السوانح الكريمة ، وملائكة الرحمان تحيط بهذا المجلس وتباركه .

فقد ورد عنه عليه السلام انه قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم الرحمة . وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وفي ختام الحفل رفعت الاكف الى العلي الاعلى بالنجاح والفلاح، لهذا المشروع الجليل ، والتكوين النبيل ، والتربية المثلى لأولاد المسلمين ، وبقبول الدعوات لصاحب الجلالة ومن جمعه المجلس من المؤمنين ، بتحقيق هاته الامنية الغالية في فلذة كبده ووارث سره .

من هذه النظرة الخاطفة نستوحي تنظيم المسيرة الخضراء المظفرة ، بعد ان تقدمتها ارهاصات عديدة ومتعددة ، فهذا جلالة الحسن الثاني يقدس القرآن استجابة لدعوات والده المقدس ، وتربيته الصالحة ، فيهتم جلالته بدوره ، ويقتدي بخطى والده، فيربي فلذة كبده وخلفه وولي عهده الامير المحبوب سيدي محمد فيدشن له « كتابا قرآنيا » على نهج والده المقدس ، في حفل رائع بهيج ، يحضره ثلة من العلماء الاعلام ويسجل فيه حفظه الله الطريق السوي



بأبـــه اقتـــدي . . .

الذي يجب ان يحتذى وبه يقتدى في تربية أبناء الامة المغربية المسلمة قاطبة .

لنستمع الى جمل من خطابه التاريخي بمناسبة افتتاح عملية الكتاتيب القرآنية الخميس 17 رجب 1388 / 10 اكتوبر 1968 .

الى ان قال : التربية الاسلامية تربية اجدادنا ، تلك التربية وتلك الاخلاق التي جعلت من المملكة المغربية الشريفة ، تلك المملكة التي قيل فيها ما قيل، وتحدث عنها المؤرخون وسارت بذكرها الركبان ، وكتبت في تاريخها صفحات وصفحات من المجد الاثيـر .

ثم قال : فما معنى بناء الكتاتيب وبناء المساجد وطبع القرآن ولا تربي ابناءنا في ظلها .

ثم يقول حفظه الله : ولكني سعيد بالتربية التي تلقيت ، فقد خرجنا الى الخارج ولم نكن مدعاة خجل، وتكلمنا لغتهم فكنا احسن منهم . وقمنا بما قاموا به، فكنا في مرتبتهم او اكثر في جميع الميادين ، ومع ذلك كنا نتجاوزهم بأننا نحن ما نحن بالاضافة الى ما اكتسبناه منهم الخ ...

ثم لنرجع الكرة وننظر بعين البصيرة الى الاحتفاء والاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم لنشاهد عناية ورعاية جلالة الملك بهذا الحدث الجلل ، ومنتهى تقديره وتعظيمه وتخليده في تلك الروعة . والتجمع الاسلامي العظيم . الذي جمع جمهرة من علماء الاسلام ومفكريه من كافة اطراف الدنيا لناخذ العبرة من خطابه السامي في ذلك الحفل التاريخي البهيج .

لنستمع الى جلالته وهو يقول :

ايها المسلمون : في مثل هذه الليلة المباركة السعيدة منذ اربعة عشر قرنا ، وصل الله الارض بالملا الاعلى . فتنزلت الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ، وبدا الحق سبحانه يوحي الى نبيه المصطفى المختار ، آيات قرآنه ، ومعجزة بيانه مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه ، وسراجا منيرا ، فكان هذا ، الحدث العظيم الذي تحتفل به الشعوب المؤمنة بالاسلام ، والمطمئنة بثلج اليقين ، المتمسكة بهديه المبين ، احتفالا يصل الحاضر بالماضي ، ويؤكد الدلالة على رسوخ العقيدة ، ويصدق قوله تعالى : «انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون» الى ان قال :

لقد نزل القرآن الكريم على النبي العظيم ، فاشرق النور مبددا للظلام ، وانتصر العلم على الجهل، وتبين الرشد من الغي ، والهدى من الضلال ، والعدل من البغي ، وكان للدعوة الاسلامية التي اطاحت بالاوضاع المدخولة ، وقومت الاعوجاج والزيغ . واستأصلت الفساد ، وقوضت اركان الطغيان ، كان لها الدوي الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية الى ما حولها ، والاثر البليغ الذي امتد الى اقطار واقطار ، وسرى في شعوب وشعوب . فانتشر الاسلام وشاع. الى ان يقول : ومضى على الانسانية ردح من الدهر سارت طواله في ظلال القرآن ، وتحت راية الاسلام ، سيرا ثابتا موفقا ، وخطت فيه خطوات رشيدة مسددة ، الى ان قال حفظه الله : ثم كانت النكبة التي لم يكونوا لها متوقعين ، ولا لمصابها منتظرين ! فامتحنوا امتحانا غير يسير ، وانتهكت الحرمات المقدسة بما يفتت الاكباد : لوعة ، والما ، لا نصير لهم الا الله اللطيف بعباده ، ولا ظهير لهم الا ان يتمسكوا بالعقيدة المثلى ، والايمان الصادق ، وياخذوا بالمبادىء ويتشبثوا بالقيم التي جعلت منهم خير امة اخرجت للناس . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا) .

فاذا آمن المسلمون ، واتقوا وعملوا الصالحات، واجتنبوا ما نهوا عنه ، وخلصت نياتهم ، وسلمت طواياهم ، وصحت عزائمهم ، فان من يتق الله يجعل له من أمره يسرى .

ولنرجع الى مفخرة اخرى هي احتفال جلالته بتدشين « الكتاب القرآني » لفلذة كبده ، سمو الامير الجليل المولى الرشيد حفظه الله في جو تغمره الفرحة والعز والافتخار يضم جماعة من خيرة العلماء والرؤساء ، ولنتمتع بقسط من خطابه السامي وتوجيهاته الرشيدة في ذلك اليوم المشهود ، وحرص جلالته على انشاء « الكتاب القرآني النموذجي » لابناء شعبه تجديدا للدعوة الاسلامية . وتوجيها لسائر افراد الامة في كيفية تربية الابناء على سنن الهدى والرشد .

أيها العلم المقدس :

حاكتك يد الامهات ، وطرزتك يمين الاخوات ، وزخرفتك دماء الآباء والاجداد ، فبات الوطن ، وكل ما نحب في الوطن ، ممثلا في طياتك ... فسلام عليك ..



حيث قال جلالته : وان ابنائي لم يذهبوا الى مدارس البعثة وسوف يدخلون الى « الكتاب القرآني » مع جميع المغاربة ، فيتعلمون اول ما يتعلمون باسم الله الرحمن الرحيم .

وانها لطريقة السلف الصالح .

فهذا الامام الشهير والعالم الخبير ، الشيخ ابن ابي زيد القرواني ، يقول في رسالته : واول ما عنى به الناصحون ، ورغب في اجره الراغبون ، ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ، ليرسخ فيها ، وتنبيههم على معالم الديانة ، وحدود الشريعة ليراضوا عليها .

فقد روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفىء غضب الله ، وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر . — وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي (ص) قال : تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا الفرائض وعلموه الناس ، فاني امرؤ مقبوض ، وان العلم سيقبض ، وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في الفريضة ولا يجدان من يقضي بينهما ، او كما ورد . ويقول جلالته في احدى خطبه التاريخية :

من من الاجيال جاء بالاستقلال ؟ الاجيال التي تعلمت في الكتاتيب ، من من الاجيال التي بنت الاستقلال ؟ الاجيال التي ثنت أرجلها اما م الفقيه .

هذه اضواء تكشف اسرار « المسيرة الخضراء » وتنطق بالقول الفصل والحجة البالغة في كيفية تحرير ما تبقى من أطراف المغرب العزيز من أيدي المستعمرين الى رعاية القرآن الكريم . غرس محمد الخامس الذي اثمر وأينع ، وتربية محمد الخامس الذي اوقف لها حياته الغالية حفاظا على سنن اسلافه الكرام ، وتخليدا للدعوة المحمدية التي يعد جنابه ومن ياتي بعده احق الناس بالحفاظ عليها .

فكر معي ايها القارىء الكريم في عبقرية هذا الملك الشهم الذي تحتفل بعيد عرشه الميمون ، في ذكرى مرور عشرين سنة في الاستقلال والحرية ، كيف استطاع ان يضفي على كل هذه الامجاد فكرة المسيرة الخضراء ، كيف هيأ الاجواء لها في سرية، وايمان بالغ ، يضمن لها النجاح ؛ ؟ . كيف هيأ لنا ملحمة كبرى من ملاحم المغرب العظيم :

1 — ملحمة « الزلاقة » في عهد يوسف بن تاشفين رحمه الله .

2 — وملحمة وادي « المخازن » في عهد احمد المنصور الذهبي رحمه الله .

3 — وملحمة الحسن الثاني في « المسيرة الخضراء» لجمع التربة المغربية والامة المغربية تحت راية العروبة والاسلام ، ودون اراقة دم ؟ ! .

تامل معي ايها القارىء كيف حشد 000 350 من المواطنين المجاهدين الذين باعوا انفسهم رخيصة في سبيل الله والوطن ، استجابة للفكر العبقري المبدع ، للشخصية المؤمنة المجاهدة ، للوطني الشهم المحتمي بكتاب الله كيف سدل رداء هذا القرآن الكريم ، فمكن كل عضو في هذا الجمع الحافل بنسخة من هذا الكتاب المقدس ، يحميها ويحتمي بها، ويذود عنها ، ويموت في سبيلها ، فكم نفوس في هذا الجمع كانت بعيدة كل البعد عن مشرب القرآن ، فساقه ملكه الى التمسك بهداه والاعتصام بحبله المتين ، والاعتماد على الله في السر والعلن .

فكر معي رعاك الله ، كيف قال جلالته لهاته الامة : تعالي وتكرمي لصفوف الجهاد في سبيل نصرة البلاد ؛ قلبت الامة مطلبه ، عن طواعية واختيار وبتفان وتسابق ؟

وفكر معي انه جلالته عند ما قال : ادخلوا على بركة الله ارضنا وحرروها من محتليها بلطف وكياسة؟

وصية خالدة يسجلها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب . اذ كيف يعقل أن يقول الملك لامته : ادخلوا ارضكم مهما كانت الظروف والملابسات ! وقابلوا الاسبانيين المحتلين باللطف والظرف والابتسامة وبالاكرام حتى ؟ ولا تتاخروا ولو اطلق عليكم الرصاص، سيروا في مشيئة الله ، وعين الله ترعاكم ، والقرآن الكريم سلاحكم .

« الكفاح — الكفاح القرآن هو السلاح »

نعم ، اذا وقف في طريقكم غير الاسبانيين من الزائغين الخوارج اعداء انفسهم ، وخصوم أمتهم ، او اعترضكم اى اجنبي قاوموه ولا تجبنوا ؟

ولقد أعرب جلالة الملك للصحافي الاجنبي الذي قال في سؤاله : كيف قلتم جلالتكم للمسيرة انطلقي فانطلقت ، ثم قلتم لها ارجعي ، فرجعت !

فأجاب جلالته ان هناك سرا فوق طاقة الانسان؟

وما هي يا ترى تلك الطاقة ، انها ارادة الله القوي المعين ، اذا كان عون الله للمرء .

فمن فكر في ورود ومجيء الجماعات تلو الجماعات من خيرة ابناء الصحراء الغطارف الميامين لشد أزر الدعوة الى الوحدة والطاعة والولاء والتعرض في سبيلها لكل صعب ومكر ؟

فهذا قاضي العيون وجماعة مكرمة يأتون لتجديد البيعة والولاء لسيد البلاد والدعوة للوحدة والاعتصام بحبل الله .

وهذا رئيس حزب الشباب الصحراوي حالي ولد هنا يأتي مع رفاقه لتجديد البيعة والطاعة والولاء، بعد ما اجهد المستعمر نفسه عدة سنوات في تكوينه وانشاء حزبه لمساندته وتأييده ؟ حسب زعمه واطماعه ! ويأبى الله الا ان يحق الحق لأهله ، ويهدي قومنا الى الصراط المستقيم .

وهذا رئيس الجماعة الصحراوية التي تعد بمكانة البرلمان لابناء الصحراء وعضو (El Contrex) الذي كانت اسبانيا تتخذه تكأة ، وتضفي عليه القابا ، وتجود عليه بنياشين بالغة الاهمية ! فيزهد في كل هذا : ويأتي الى جلالة الملك مبايعا ومجددا الولاء والطاعة للعرش المغربي باسمه وباسم جميع ابناء الصحراء .

وهذا خليفته في المجلس الذي لعبت به الايدي المفرقة ، والدعاوات المغرضة فينساق في طريق الغواية ؛ وما هي الا لمحة وعطف رباني يحل بقلبه فيهديه الصراط المستقيم .

هذه لمسات من العطف الرباني ، الذي جاد به. فاسند « المسيرة الخضراء » وشد من أزرها . وحقق ما تدعو اليه .

لننتقل الى عطف الاهي هيأته الاقدار ، واحاطت به الالطاف الالاهية وبركة القرآن الكريم .

فهذه الدول الشقيقة والصديقة تعطف على مسيرتنا ، وتؤيد دعوتنا ، وتؤازرنا ، وتنصرنا ، وتضحي من اجلنا ، فتاتي وفودها معلنة الوقوف لجانب الحق والتأييد لدعوة الملك الحسن وأحقية المغرب بصحرائه ، ألا يعد ذلك من هدي القرآن ! ومنزل القرآن ! والهادي الى الصراط المستقيم ، انها نعمة الله أنعم بها على شعبنا وهيأ لها أسباب النجاح والفلاح .

فلنبارك ابعاد « المسيرة الخضراء » ولنجدد التهاني والتبريك والطاعة والولاء لجلالة الحسن الثاني ، بعيد عرشه . فمرور عشرين سنة على الحرية والاستقلال بالوحدة الكبرى وأبعاد المسيرة الخضراء، وليدم لسيدنا التوفيق والهداية والرشاد ، والنصر المؤزر على كل من تحدثه نفسه بالنيل من وحدتنا ومقوماتنا وأمجادنا وكياننا ، والله يهيىء للمغرب من كل ضيق فرجا ، وكل ضغط مخرجا ، ويكفينا شر كل حسود ، ويضفي علينا وعلى بلادنا الطمأنينة والسعادة والرفاهية في ظل العرش العلوي المجيد ، وتحت راية الحسن الثاني صاحب المناقب والامجاد ؛ ومجدد الدعوة لخير البشرية والسلام والامن للخاص والعام .

سلا : ح احمد معنينو



للشاعر الحاج عبد السلام الحضري

اى شعر اصوغ فيه خيالي ؟   اى لفظ اعده لمقالي ؟ !

اي بحر اختاره وقوافي   لقصيدي فى عيد الاستقلال ؟ !

انه عيد مجدنا وفخا   ر ، وجهاد ونخوة الابطال

هو عيد قد حققت فيه ارضي   ما تمنت من وحدة واتصال

حيث فيه تعانق الشعب بالعر   ش وسارا نحو المنى والمعالي . . .

اذكروا فيه عاهلا قدم الشعب ، وضحى بالعرش والاقيال

حيث امسى شراعنا يمخر اليم فى موج مركب مختال

سار فيه المليك بالشعب للنصر حثيثا من بعد قيل وقال . . .

مع ولي لعهده اظهرا الحنكة ـ طفلا ـ فى حل كل عقال

ثم اضحى مظفرا يرهب الاعداء بالحلم ، والنهى ، والنضال

* * *

وقف الشهم وقفة غير هيا   ب ونادى فى جراة لا يبالي !

كسروا القيد وانشروا الوعي فى النا   س وثورا على الخنا والضلال

لا نرى الذل بعد ذا فى بلادي   وهي مهد للاسد والاشبال

فتصدى لنشر ذا كل معوا   ر عطوف ضحى ببخس وغال

من رجال قد عاهدوا الله معه   لنضال الطغاة والانذال

غسوا القطر منهمو فغدا الكل يخاف الردى وسوء النكال

صاحب الجلالة في استقبال اعضاء الوفد السعودي الذي يراسه السيد زكي اليماني
رئيس البترول والطاقة

واخيرا صرنا نعيش كراما في ظلال السلام والاقبال

تحت عرش مقدس يطلب العز لشعب موحد مفضال

رافع الراس شامخ الانف في المجد ونيل العلا مع الامثال

* * *

منه هاذي المسيرة الفذة الخضراء في الشكل والخطى والمثال

قد اتتنا بوحدة عجز الانسان فيها عن جمعها بالمال ...

غير ان الاله قد يسر الجمع في وقت مقطع الاوصال

مع وفود من العروبة قد جاءت تؤدي تحية للاهالي

ثم اخرى من دولة السر حلت كشقيق مؤيد وموالي

بل بلاد بعيدة مثل « امريكا » ينادي شبابها بالخصال

عد هذا نجاحنا بمنح الفوز على الخصم في قضايا الجدال

* * *

واخيرا قد جاء نصر من الله وفتح مشفع بالمثال

بعد عشر من السنين تولت في قضاء وجولة ومقال

* * *

كن مع الله في الديانة يمنحك انتصارا في سائر الاحوال

مثل هذا الذي نعده فوزا في قضايا تعقدت في المجال

واتى اليسر فجاة بعد عسر من كريم قضى على الاهوال

واتى اليوم عيدنا حيث بمتاز بضم الصحرا وخير الرجال

انشد الشعر والقوافي فيه والاغاني في نخوة ودلال

مع شكري لخالقي جل شانا اذ هدانا لهذه الاعمال ...

كنت بالامس احتفي فيه باستقلال شعبي من ربقة الاغلال

ولنا اليوم فرحة اخرى بانتشال الصحراء من اوحال

* * *

حفظ الله عرشنا والذي فيه تولى بحكمة واعتدال

واقر العيون بالولي المحبوب والآل في دنا الآمال

شفشاون : الحاج عبد السلام الخضري

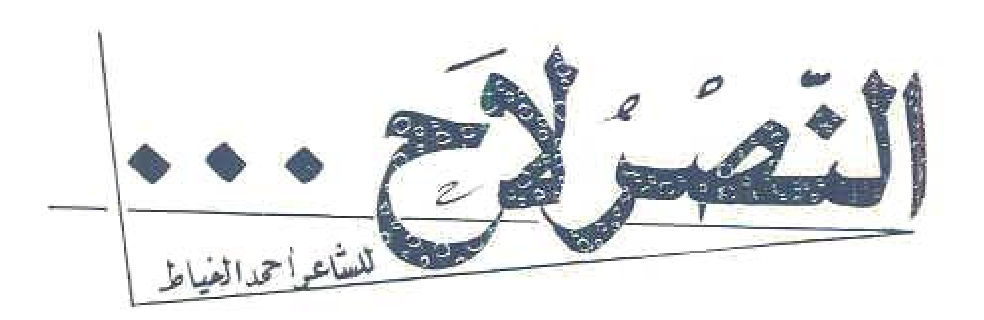
مسيرة فتح أيّد الله سيرها..

للشاعر محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ

بنورك هذا اليوم تم رواؤه ... وضاء سناه واستنار ضياؤه
واشرق في الدنيا بكل سعادة ... وقد ملأ الاكوان عصرا هواؤه
والبس في الايام حلة سؤدد ... وفاق سواه وانمحت نظراؤه
بعيدك عيد العرش حلق بشائر ... وكل عليل القلب تم شفاؤه
بمرآك اذ فيها السعادة والمنى ... وفيها رضى المولى كذاك تناؤه
وكل فؤاد طار شوقا اليكم ... وما قر حتى تم منك لقاؤه
شيوخ وشبان نساء وصبية ... أتوك باخلاص ينم صفاؤه
على ما تكن من هويك قلوبهم ... صفاء واخلاصا رضاك جزاؤه
فلله ما ابهى واجمل منظرا ... على سرمد التاريخ يبقى بهاؤه
تلاقوا على صفو المحبة والرضى ... وشعب تفانى في الولا عظماؤه
وساروا الى الصحرا بهمة عاهل ... وخالص ود لا يكدر ماؤه
فنالوا المنى والقصد دون مشقة ... ومصحف قرآن يضيء سناؤه
مسيرتك الخضراء مولاي منحة ... ولا تعب يضني الفؤاد عناؤه
مسيرة فتح ايد الله سيرها ... من الله لم يظفر بها صلحاؤه
وزاد بها ابناء شعبك رغبة ... وحبذها في عصرنا عقلاؤه
مليك تفانى في محبة شعبه ... وحبا لمولانا الاكبد ولاؤه
فابناء هذا الشعب قدموا عهدهم ... الى الحسن الثاني فدام وفاؤه
وفي عيدك الميمون القوا عذارهم ... واذهلهم منك السنا وضياؤه

فنورك من نور النبي محمد وعزك من رب الجلال رداؤه
وانت سليل الملك والمجد والعلا وكل ثناء عنك منك رواؤه
وكل فخار فى الدنا وشهامة وجود وفضل أنت انت اناؤه
فتاجك منصور وملكك خالد وعمرك ممدود يطول بقاؤه
وسيفك فى كل المواقف قاطع يحير أرباب العقول مضاؤه
وعلمك مشهور وحلمك واسع وجودك مبذول لمن طال داؤه
وسرك من سر النبي امتداده وامرك من امر الالاه ابتداؤه
اذا صار منك الثغر بالبشر باسما تبسم هذا الكون حتى سماؤه
وان نظرت عيناك شزرا الى العدا اتاح عليهم دهرهم وبلاؤه
ادام الاه العرش عنا رضاءكم ووفقنا حتى يدوم صفاؤه
وزادنا فيك رغبة ومحبة وابقى بك الاسلام عالي بناؤه
فيا عاهل الاملاك دمت ممتعا ونصرك من مجد السماء لواؤه
ويا مصطفى الرحمن بين ملوكنا عليك سلام الله ثم ثناؤه
وعاش ولي العهد منك ممتعا يود وعطف صبحه ومساؤه
وصنوه مولاي الرشيد ومن يكن الى عرش مولانا المليك ولاؤه
ونال رضاك الهاشمي واهله رضاء يزيد فى الحياة نماؤه
اطال الالاه العرش عمر مليكنا ولا زال نبراسا يضيء سناؤه

مكناس : محمد بن الحاج الهاشمي



النصر لاح لشعبنا ، شعب البطولة ، والمتن
النصر لاح بحكمة ، وبعزمة الملك الحسن
ثاني المحاسن عقدها ، رغم الانوف لمن فتن
والشعب يفرح ها هنا ، قهر الاعادي والمحن
الله اكبر زغردي ، صحراء عدت الى الوطن
الله اكبر رددي ، لحن الخلود ، مدى الزمن

* * *

بمسيرة خضراء عطر جوها وحي القدر
وتحفها رايات كل مسالم ، وأخ أبر
وملائك الرحمان باركت المشاعر والفكر
فاشهد لنا تاريخ جيل حاضر ، نعطي العبر
السلم رائد شعبنا ، وبه ندين لمن شكر
والنار تفصل بيننا ، ومن استهان ، ومن غدر

* * *

من ذا ينازع أمة ، فى حقها ، وحدودها ؟ !
من ذا يكابر ، بالدسائس ، فى تراث جدودها ؟ !
يا للغباوة والغواية فى جلاء جحودها

فزعوا لضم شتـــات امتنـــا ، وخفـــق بنودهـــا !!
ما ذنب امتنـــا اذا هبـــت لكســـر قيودهـــا ؟ ؛
وازالت الشبح المخيـــف لعزهـــا ، ووجودهـــا

* * *

مات العدى كمدا ، وماشعـــروا بكيدهـــم الجلـــى
ضلت حلومهم الصواب ، وعمهم سخط العلـــى !
فالنار تأكل بعضهـــا ، ان لم تجـــد مـــا تغتلـــى !
والوعل يكسر قرنه ، ان لم يصـــب فى المفصـــل ؛
والمغرب الحـــر الابـــي ، لتراثـــه نعـــم الولـــى
حسن الملوك يقوده ، والصبـــح ها هـــو ينجلـــى

* * *

يا أمة الاســـلام يكفـــي فرقـــة ، ذقنـــا الـــردى
ذقنا الهوان مصنفا ، حقبا ، سقـــاه لنـــا العـــدى
ذقنـــا التنكـــب والتمـــزق للجمـــوع مبـــددا
او ما كفانا الجرح ، فى شرقي الحبيب ، مهـــددا ؟ !
يا امـــة الاســـلام هبـــي ، فالتآمـــر عربـــدا
وتوحـــدي أن التوحـــد سرنـــا يبـــدو غـــدا

طنجة : أحمد الخياط



المسيرة الخضراء الحسنية

تقوي السيادة المغربية على جميع المستويات

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

١ ـ من معاني المسيرة الخضراء

لن تظهر سيادة الاوطان في الاعتدة التي تملكها الدول فقط، حتى ولو كانت من اصناف متنوعة ومن النوع الثقيل، ولا تظهر قوة البلدان في كثرة الاديولوجيات المتنوعة المختلفة الاهداف والمشارب، المرفوعة بمناسبة وبغير مناسبة؛ ولا تظهر عبقرية الامم في توليد كلمات وترصيف الفاظ جديدة صيغت في قوالب يراد لها الحداثة وما هي في جوهرها الا تقليد اعمى وبليد لكل مالا يمكن ان يتصل باصالتنا باي رباط. لا، ان السيادة الحقة لتظهر في اسمى بهالها في المشاريع الوطنية الكبرى، المخططة بعقل وروية، والمنجزة بتؤدة وتأن. بل انها لتبرز في احلى حلتها في المعارك الشعبية المخاضة في التلاحم الوطني لافراد الامة جمعاء، قصد تحقيق حق مشروع او مطلب شريف او اثبات حق او ابطال باطل او ردع معتد عتل أثيم. انها لتتمثل في اجمل صورها في المعارك اليومية المتواصلة قصد الغد الأفضل لخير المجموع ولسعادة الكل ولرفاهية الامة.

السيادة التي يسعى الى تحقيقها امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله، ونحن من ورائه جميعا هي السيادة التي تعطي لنا المناعة لا من هذه الاشرار الخبيثة المتمثلة في الهجوم علينا ظلما وعدوانا من اولئك الذين ما وجدوا على هذه البسيطة الا ليتربصوا بالاحرار الأباة الدوائر. وهيهات ان يحققوا احلامهم! والقائد ماهر حريص على صيانة البلاد المغربية التي قلده الله زمام امرها ومآل مصيرها؛ يصونها قوية الشكيمة، منيعة الجانب، متكاملة في كل حين، متكاملة على جميع المستويات. نعم، لم تكن همتنا العربية ولا سماحة ديننا الحنيف، ولا اباؤنا المغربي، ولا شهامتنا الافريقية لتكتفي برد العدوان فحسب، باعنف ما يكون الرد، وباسرع ما يتطلبه الواجب المقدس، وباحسن السبل التي تتمشى والدفاع عن الحياض، وانما، زيادة على هذا وذاك، نريد ان نكون ـ وعيا بالدور الطلاعي الذي تلعبه بلادنا في العالمين العربي والاسلامي ـ القدوة الحسنة، والنموذج المثالي لكل طالب حق.

همتنا العربية، وسماحة ديننا واباؤنا المغربي هم (ولا اقول هي حتى يكون لها من شرف العقل ما يرفعها درجات فوق كل ماهو مفتقر الى التمييز والرشاد) الذين اوحوا لنا بالمسيرة الخضراء، وناهيك بهامن مسيرة!

لكن فراسة الملك المؤمن، وخبرة الرائد الذي لا يكذب اهله، وحنكة الامير الملهم، واخلاص القائد الهمام، وتقدير العاقل الرزين، هي العناصر التي اجتمعت فقادت شعبا برمته في مسيرة سلمية خضراء لم ير التاريخ، الى اليوم، مثيلا لها.

فاذا كانت هناك مسيرات حدثت، وتجمعت سليمة نظمت، ولقاءات لاعمالية انجزت، فانما كانت عناصرها ـ ولا يمكن ان ينازعني في ذلك منازع ـ اما مركبة من شر في بدئها، او هي تدعو الى دمار وخراب وفتن ومحن في آخرها.

اما مسيرتنا فقد كانت فريدة في نوعها عناصرها ـ ولا يمكن ان يدعي في ذلك مشارع يلهو بالاهواء ، ولا لنفس امارة بالسوء لتشوش وتهول ، ولا للقلب المريض ليرتع في الماء العكر ، ولا للسان خبيث ليزرع الشقاق والفرقة والنفاق ولا للأذن السماعة لتوزع الافك والكذب ؛ عناصر مسيرتنا الخضراء قرآن مبين يتلى فيلين قلوب الاعداء والاصدقاء ، وصلاة تقام فتسوى الناس في الشعور والعواطف والاحساس ، وذكر يوحد صفوفهم وليبعدهم عن الاهواء المتعددة ، وقائد ملهم يؤطر ببركة جده زحفها المقدس ، وحق ترنو اليه ، اعترف لها به عرب وعجم ، مسلمون واهل كتاب . فلن يردع الشعب المغربي عن هذا الحق رادع من جن او انس ، اذ ما كان لشعب مثل شعبنا يسمو لحياة عز ان يتخلى عن حق له مشهود ، ويتنازل عن ملك له موروث .

هذه هي معنى مسيرتنا ، فليعلم القاصي والداني ذلك ، وليستيقظ من سباته صاحب اضغاث الاحلام : فلعله ، بذلك يوفر على نفسه وذويه متاعب لن تعود عليه الا بالويل والثبور .

ب ـ المسيرة حافز ينشط

فما كان للمسيرة على قدر جلالها ، وعظم نتائجها وتفدد مراميها ان تلهي امير المؤمنين عن التفكير في تتميم السيادة الوطنية وتقوية كلمة الامة . فما شغلته المسيرة عن التفكير في مواصلة انجاز المشاريع التي ستعود علينا بالخير العميم وترفع راس الوطن عاليا ؛ فدشنت سدود ، وانجزت دراسات ، وبوشرت اعمال وتمت تعينات على جميع المستويات .

فما أوقفت المسيرة شيئا ، كما كان يحلم بذلك العدو وما اشلت امرا كما قدر ماكر ، بل بالعكس ، انها كانت بذرة خير وبركة ، نمت وقتها الانشطة الوطنية على جميع المستويات ، وعظمت في ابانها الاعمال وشحدت القرائح وتوحدت الصفوف لخير الجميع .

لم يتدخل هذا الحافز رداءه الظاهر على الانشطة الوطنية السابقة الذكر فحسب ، وانما اوحى للادباء والمفكرين بالعمل بجد في ميدانهم ، فنتج عن ذلك ادب مغربي رفيع سمته الرئيسية انه ادب ملتزم اشد ما يكون الالتزام ، وهي خاصيه افتقرناها ، باسف شديد ، من زمان في ادبنا المغربي المعاصر حتى كدنا نفقد الأمل في ان نراه يعود يوما الى رشده .

ج ـ المسيرة نشطت كثيرا من الاعمال الثقافية والعلمية .

كنت حدثت في السنوات الاربع الاخيرة قراء هذه المجلة عن اليد البيضاء لصاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله في ازدهار القراءات القرآنية . سيما عن الامر المولوي الكريم القاضي بطبع المحرر الوجيز لابن عطية محققا تحقيقا علميا . ولقد انجز ، طبقا للامر المطاع ، علماؤنا الاجلاء ما انجزوا من عملهم العظيم في هذا الباب .

وجاءت المسيرة فحفزت هممهم ودفعتهم الى العمل بنشاط متجدد وبعزائم قوية . وهكذا بدات البذور الصالحة لهذا العمل المبارك تؤتي اكلها ، فطبعت بعض الاجزاء من المحرر الوجيز ودفعت اجزاء اخرى منه الى المطبعة وفي اثناء غمرة المسيرة المباركة كانت جلسات علمية ثقافية بناءة تعقد في كل من مقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية وفي وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم العالي وفي معهد الدراسات والابحاث للتعريب وفي معهد البحث العلمي وفي مديرية الوثائق الملكية بالقصر الملكي العامر .

اما في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فقد كانت لجنة القاموس الخاص بالفاظ القرآن تواصل اعمالها طبقا للرغبة المولوية الكريمة . ومن المفارقات العجيبة ان تكون ظلال المسيرة الخضراء هي التي اظلت جلسات اعمال هذه اللجنة من الباحثين التي تقررت فيها الخطوط الرئيسية للمنهج الذي يجب أن يتبع قصد انجاز هذا العمل الذي يستطيع وطننا العزيز أن يضيف به مفخرة الى مفاخرها العديدة .

ولقد سرنا كثيرا ان راينا انه في الوقت الذي حققت فيه المسيرة اهدافها انهى اعضاء هذه اللجنة ارساء الخطوط الرئيسية للمنهج الذي سيتبعونه في عملهم قصد النهوض في اقرب وقت ممكن بعملهم العلمي الكبير .



اعضاء الحكومة يتقدمون المسيرة

اما وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية فقد كانت ؛ هي ايضا تنشط ، وقت المسيرة الخضراء في تهيء العدد الرابع من مجلتها الكبيرة « المناهل » الذي جاء آية في الاتقان .

اما وزارة التعليم الابتدائي والثانوي فقد استطاعت في وقت المسيرة المظفرة ان تنجز ما كانت دائما تحلم به ، وهي النظر بجد في الكتاب المدرسي . وقد استطاعت ، اثناء المسيرة ان تنشيء مصالح خاصة لهذا الغرض رصدت لها الاطر الصالحة والمال الكافي . ونرجو ان تكلل جهود هذه المصالح بالنجاح كما كللت المسيرة الخضراء .

اما وزارة التعليم العالي فقد خطت ، وقت المسيرة الخضراء الخطوة العملاقة في اتجاه اصلاح التعليم الجامعي والدفع بالبحث العلمي الى الامام ذلك انها استطاعت ، في هذه الفرحة الوطنية الكبرى ان تحقق تقدما لن تنساه لها الاجيال المغربية الصاعدة . لقد تمكنت من اصدار نصوص اساسية انتظرها التعليم العالي بفارغ الصبر . اسست بمقتضى هذه النصوص جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة محمد بن عبد الله بفاس زيادة على تنظيم جامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة القرويين بفاس

كما استطاعت ان تصدر نصوصا شرعت الشرعة القويمة لما يجب ان تسلكه المعاهد العليا التابعة لهذه الجامعات المختلفة حتى يتسنى لها انجاز ما يعهد اليها من مهام عليا .

اما معهد الدراسات والابحاث للتعريب فقد كان وقت المسيرة الخضراء منهمكا في اعداد الرصيد اللغوي الذي سيكون اللبنة الاولى الضرورية التي سيبني عليها المغرب العربي الكبير تعليما عربيا سليما . ولقد بدات مطبعة المعهد المذكور في الايام الاولى للمسيرة تدور لتخرج هذا العمل الذي تظافر على انجازه العديد من الكفاءات المغربية .

واما معهد البحث العلمي فقد كان في غمار فرحة المسيرة ونشوتها ينشط في اعداد مجلاته العلمية مثل مجلة البحث العلمي العدد 23 الذي كان يطبع وقت المسيرة ومجلة الاقتصاد التي ظهرت اثناء الزحف المقدس على جزء ترابنا المعاد .

واما مديرية الوثائق الملكية بالقصر الملكي العامر فقد كانت ابان الانتفاضة الشعبية العظيمة تهيء في نشاط دائب المجموعات الدورية الاولى المسماة بـ « الوثائق » التي يشرف على اصدارها الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ؛ وهي دورية ستسدي خدمات علمية لا تقدر بمقدار لكل باحث .

هذه هي المسيرة وهذه معانيها ؛ وحدت البلاد وجمعت القلوب ليحس الجميع بنفس الاحساس لصالح المجموع الذي يجب دائما ان يكون متراصا يشد بعضه بعضا وكانت زيادة على ذلك الحافز القوي لانشطة علمية وثقافية عديدة .

الدار البيضاء : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي



الاستمرار والمسيرة..

للشاعر محمد بن محمد العلمي

واصل الشعب المسيرة نحو اهداف كبيرة
فى ظلال العرش قد حقق ارباحا كثيرة
ذلك النور المجلى فيه يستجلي مصيره
فتح الله بفضل العرش اعماق البصيره
والميادين بها انشطة صارت وفيره
واتجاهات جميع الشعب بالبعث بشيره :
جدة فى القول والفعل ، وصفو فى السريره
ونمو يطبع السعي الى اسنى ذخيره
فى قطاع الدولة ، الشعب لقد القى بذوره
والقطاع الحر معوان على نفس الوتيره
وتساوت فى المشاريع حظوظ مستنيره
فاذا التوزيع عدل للمزايا فى العشيره
واذا (المغرب) فى الاسلام قد ربى شعوره
يتباهى باشتراكيته المثلى ؛ اليسيره
لم تكن تفقر ميسورا ، وقد اغنت فقيره
اذ بها يدرك اهدافا له كانت عسيره
فاذا الانماء يزداد انسجاما لا وعوره
يبسم الحظ لمن جد ، ومن عاف سريره

ان في (مليون هكتا — ر) مثالا في الصبيره
بسدود بعثت من   مغرب الخير صخوره
في تراب وطني   نحن أجزلنا مهوره
اصبح الانماء يرعى   خطة تنعش (بوره)
فاذا (المغرب) كل   نافع ، يحمي ثغوره
ارضه المعطاء ، بالخيـ   ـرات ما كانت فقوره
في سهول ونجود   عالج الشعب بثوره
كحل (المغرب) من السـ   ـمدها الغالي شفيره
ومع العرش نرى الامـ   ـة دوما مستشيره
في اكتفاء الذات ما كا   نت لشيء مستعيره
فاذا الصحراء فيها الـ   ـرمل لم يذكر هجيره
واذا الواحة فيها   يغدق النخل تموره
قنوات الماء صارت   علبة الري ، نميره !
في اقتصاد واجتماع ،   بالتصاميم القريره ،
يشهد الشعب من الامـ   ـثال ما يحيي ضميره
ويرى في الصدق تجسيـ   ـما لما زاد سروره !
ان في مغربة الأنـ   ـشطة ، الروح الجسوره
باسنا منا البنا ،   نحن شيدنا جسوره
وطبعنا نهضة العصـ   ـر بفحواها المثيره
فاستعدنا من قروض   ذات ارباح غزيره
فاذا الحرث جماعـ   ـي تداركنا اموره
واذا الفلاح في ملـ   ـكية يبدي حبوره
واذا الصانع في معـ   ـمله يلقى نصيره
واذا (المغرب) قد مد   د للصيد بحوره
واذا الخدمة اجبا   رية تربي الخميره
والشباب الغض في الهـ   ـمة لا تلقى نظيره
عسكريا ، مدنيا ،   في العلا يرعى حضوره !
واذا استثمارنا يمـ   ـضي على اقوم سيره
واذا كل اجير   يجزل العرش اجوره

الف حمد لمليك من رعاياه الشكوره
في دروب المعي قد ال تقى على الاوطان نوره
تلك توجيهات لمولانا لقد كانت جهيره
اذ بها الهمة تسمو ، فهي لا تحيا غريره
حبذا ذكر جميل بث في الكون عبيره !
امتي با (لحسن الثاني) مدى الدهر فخوره
وسجايا (الخامس) الشهم ، الى النبل مشيره
ما نسينا ابدا منفاه في تلك الجزيره
اذ نظمنا أدمعا من قلبنا كانت نثيره
عجبا للشمس في البدر ، لقد لاحت كبيره !
ذلك الاخلاص للاوطان احرى أن نثيره
توج (الخامس بالنخوة آمادا عصوره
قد حمى في القرب والبعد من الحق وكوره
فبه (المغرب) يحيا دولة دوما وفوره
حسبه من ذلك المشعل خلدا أن ينيره
ليس ينسى الفضل ممن كان في الهول مجيره !
فبه تاريخنا الامجد قد وشى سطوره
وبه (المغرب) قد اسرى صداه ، وأثيره
وبه ناجى سمير الشوق في العشق سميره !

* * *

في ظلال العرش تمتد البساتين النضيره
يرفع الشعب من الأكباد للعرش بخوره ،
انه ديوان شعر ، رصع الحب بحوره
انتا قطر سياحي ، له ذات شهيره
فسل القفطان عنه ، والزرابي الوثيرة
وسل النسواص من يرجو على الدر عثوره
وسل (الاطلس) عن امتنا ، تلك الغيوره
وسل التاريخ اذ وشح بالمجد ستوره :
(طارق) مثل (ابن تاشفين) ، باجناد غفيره ،

قطعنا (البوغاز) للفتح ، وما هابنا الخطوره ،
فاذا (الاندلس) ارتاحت بخيرات وفيره ،
واذا (انوال) من بعد ، الى المجد مشيره !
انما (المغرب) في عصمته يرعى مصيره ،
يتمنى كل بحاث خبير ان يزوره
والحضارات لقد احييت حماه وقصوره
انما (المغرب) بالبسمة ، قد زان ثغوره
انه الفردوس قد زف الى الاكوان حوره
تتشهى جوقة الاعياد في الشدو طيوره
والربيع الغض من اغصانه يهدي زهوره
فنرى سندسه فوق الروابي وحريره ،
ونرى الجدول بالتسبيح يستهوي خريره ،
ونرى البلبل قد ردد في سكر صفيره
فسل (البيضاء) و (الحمرا) ، و (فاسا) و (الصويره) ،
و (رباط الفتح) و (السلوان) ، واذكر (آكاديره) ،
و (الفلكلور) الذي في (أوريكا) ، يسبي (زاكوره) ؛
و (بتطوان) و (مكناس) نماء في العشيره
ونرى (وجدة) و (الناضور) في اوج المسيره ،
و (بني ملال) آخت (ورزازات) في السريره ،
ومضت (سطات مع (آسفي) على نفس الوتيره ؛
كل اقليم نراه يقظا ، يبني مصيره !
كانت (الساقية الحمراء) في القيد كسيره ،
« مثل (وادي الذهب) الغالي ، الذي ترعى بسروره »
« فهما جزءان من صحرائنا ، تلك الكبيره ! »
وكذا (مليلية) آخت (سبتة) ، تلك الأسيره !
في شمال او جنوب ، وحدة نحن ، قريره .
فسل (الاطلس) و (الريف) ، وسل (سوس) الشهيره،
فبها (ايفني) لقد عادت لنا ، وهي فخوره
ولكم صانت جوارا امتي ، تلك المجيره



ونصرت بالرعب مسيرة شهر ...

كـل ركـن من بـــلادي ، جنـة ، فيهـا الذخيـــره .
في ظــلال العرش قــد فــز ـــ نا بخيـــرات كثيـــره !
فنـرى مغربنـــا قــد البـس الفرحـــة دوره
ونـــرى الارواح تحيـــا حـرة فيـــه اسيـــره
ذلـك السحـر حـــلال ، قد سقـى الكـون خمـــوره !
مـن رحيـق مستطـــاب ، مـلا الـروض غـديـــره
يا نديمـي هاتينـــي احـــلى شـراب كـي اديـــره
لا يريـــد الـــورد الا ظمئنــا فـي كـل جيـــره
يمنـح (المغـرب) من كـو ـــ ثـره عينـا طهــوره
ومن (الينبـــوع) عـــرش صـان بالعـدل دهـــوره
علـوي ، بـــاذخ الأمـــجاد ، مفتـوح البصيـــره
فيـه (المغـــرب) يـــزدا ـــ د التحامـا في المسيـــره
وجمـــال الطقـس فيـــه آيـــة حقـت عصـــوره
سـره فـي الصفـو و الحســـن ، لقد آخـى ظهـــوره
ميـزة العـدل شعـــار زان مـن شعبـي صـــدوره
والأمـانـــات عقـــود طـوقـت منـه نحـــوره
فبقـى مـن منبـت الانــــعاش والخيـر جـــذوره
امتـي فـي الحـق مهمـــا حـزب الامـر صبـــوره
وطنـي حسنـاء ، فـي مفـــرقها التـاج ، اميـــره !
وطنـي (المغـرب) ، بالحظـــوه ، غيـداء ، اثيـــره
خجلـت منـه شمـــوس عنـد ما أبـدى بـــدوره
انـــه لـــوح بالغصـــن ، وقـد بـث عطـــوره !
ينصـر الملهـوف ، من يـــر ـــ فـع بالظلـم العقيـــره
وصبـاح الخيـــر منـــه مسـدل فينـا شعـــوره
كلمـا طالـــت حيـــاة فيـه ، قد كانـت قصيـــره
مستـوى العيـش لـديـه از ـــ داد حسنـا بالضـــروره
كـل فـرد في ظـلال الـــعز قـد حـث مسيـــره
وضمـان العمـل المجـــدي لقـد داوى كسـوره
ان فـي تكوينـه ، تـــا ـــ هيله ، يمحـو قصـــوره ؛
معجـزه يصبـح اتقـــا ـــ نـا لما يرضـي ضميـــره !

وسواء كبرت معناه ، أو كانت صغيره ،
فخديم الوطن الحر لقد كان سفيره ؛
قد تكافأنا ، فهذا الدور لم يغبن أجيره
وطريق الشعب توحيد به يهوى مروره
بتفان ، وبادراك لما يحيي بروره !
لا نرى في معمعان السعي للعليا فتوره
يزخر (المغرب) دوما بالاطارات المديره
ليس كالصبر دواء ضد أدواء خطيره
من يغص في جوهر الشيء ، فقد عاف قشوره
كل صعب هان في المجد ، لمن رام بكوره
فبتصميم خماسي نجحنا في المسيره
تلك آمال لنا جادت بها الروح الخبيره
من مليك فطن عبأنا للمجد صقوره
في وفاء قد سقى الشعب من القلب عصيره
ليس منا خامل تقبله هذي الحظيره
انما الطاقات تجنيد بصبح أو ظهيره ؛

* * *

سل ربوع الشرق عنا ، والخنا يذكي سعيره
جيشنا الجرار قد زلزل صهيون المغيره
فهو منا والينا ، توج النصر ظهوره !
في ثبات واعتزاز ، اسمع الخصم نذيره
تلك (اسرائيل) عادت مثلما كانت حقيره !
دابها ، مهما تجلى الصبح ، أن تبقى ضريره
همها ما كان طبعا نحو خير لتعيره ؛
أن (اسرائيل) قد كانت ، وما زالت كفوره ،
حرفت توراة من أنزل بالحق زبوره .
والمليك (الحسن الثاني) لقد ساق هديره
أمة الاسلام في نعماه بالنصر جديره
انه الضيغم ، تخشى مهجة الكفر زئيره

فهو في (سيناء) و (الجو — لان) ، قد القى نوره
ليرى (المغرب) في ابهى ، وفي احسن صوره!
سنصلي ، ونؤدي   في الحمى ، اسمى شعيره ،
ونرى استعراض نصر ،   اذ يتم الله نوره !
كم شهيد في ربى المشرق ، نهوى ان نزوره ،
والمسافات لذاك السحج ، كم صارت قصيره !!
ان صهيون دخيل ،   بث في الكون شروره
فاذا بلواه في كل البرايا مستطيره :
تشتكي (القدس) من التهويد ، من هول الجريره ؛
عرفت (افريقيا) بهتانه الادهى ، وزوره
شجبته ، فضحته ،   فمحا الحق فجوره
وشعوب الارض طرا   ادركت منه نكيره
فتراها استنكرت ما   قد جناه من خطوره
و (فلسطين) ضرام   تعرف الدنيا زفيره
طوق الله بها صهيون ، كي يلقى ثبوره
في عتو وقح ابدى من الحق نفور
صفه منصدع لم   يراب « السام » قطوره
(يوم كيبور) صراط   مهول عانى عبوره
لم يكن افطر في الامن ، ولا اعتاد سحوره
نحن سفينا نوايا — ه ، وحطمنا غروره
(خط بارليف) بايما — ن لنا ، نهدم سوره !
كنعاج راجفات ،   يحشد المكر ذكوره
في جحيم وهوان   يحفر الغدر قبوره
امتي لم تك للافك ، وللدس غفوره
فاذا الشرق لقد اكد في النصر ثبوره
واثقا من نفسه ، قد   جمل الحق ظهيره
ان يكن اغفى ، فقد ا — دى من الجرح دعيره
ومضى يحصي الى الثا — ر سنيه وشهوره
فجنى التيد المصفى   من مآسيه المريره !

و (صلاح الدين) حيي ، ها هنا ينفخ صوره
انما النصر صباح ، نحن أعددنا سفوره
لم تخب فينا فراسات النوايا المستخيره !
تكل الكفر بيوم البأس والثار خفيره
فاذا الرجفة تفشى في الميادين نفيره
ليس من فطرتنا الحسرة ، أبصار حسيره
من (رباط الفتح) القى المغرب الحر نموره
وأرى الاسلام في (لاهور) قد سوى أموره
قمة نحن كما ترضى لنا أجدى مشوره !
فبجاه الذكر ، والسبع المثاني ، خير سوره .
وبطه ، من به الامة تدعو ، مستجيره ،
وبهذي الحضرة استودعها الفضل حضوره ،
وبحق النور في هذي الجماهير الغفيره
ابق يا رحمان اشعاع المصابيح المنيره ،
واكشف الاضرار ، واجبر مهجة الشرق ، الكسيره
لنرى امتنا عادت ، كما كانت كبيره ،
من محيط لخليج ، واصلت تلك المسيره !
واحفظ اللهم فينا (حسنا) ، وارع بدوره
(وولي العهد) من نورت بالحق ضميره !
(الرشيد) الشهم ، تبدى له باقات صغيره .
فالهتافات بتاج الملك في الدنيا جهوره !

* * *

قلمي بالعرش قد انطلق بالحمد صريره ،
حوله الأنوار هالات ، تجلت مستديره ،
والأحاسيس به تهتف ، اولى واخيره !!

الرباط : محمد بن محمد العلمي

عصرنا بين العلم والتكنولوجيا والاخلاق النفعية



للأستاذ عبد الله اكديرة

« ان أهم ما يجب أن يتنبه اليه المسلم هو ما تعمد اليـــه الايديولوجيــات الهدامة في معالجة الاخلاق كشيء مجرد ، ومعالجة الانسان منفصلا عن الاخلاق ، فهذا الانشطار هو ما يجب أن نتصدى له بكل قوانا ، لان الديانة هي العمود الفقري لكيان الانسان ، والامر أكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع ، فلا مجتمع بدون قانـــون خلقي وشريعة روحانية .

واذا كان التقدم المادي قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم ، أي على حساب القيم الانسانية فانه يسير ، ولعله قد وصل الآن الى متاهات الضياع ، فاصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نصفها الضائع ، وهذا البحث يشكـــل احدى معضلات العصر الكبرى ، وأبرز أسباب القلق فيه » .

« كنت قد استلهمت القول الملكي الكريم هذا ، عندما كنت أريد أن أكتـــب بحثي عن (الثقافة الصامدة) منذ سنتين تقريبا ، وها أنذا اليوم أستلهمه ايضـــا لكتابة بضع خواطر عن (عصرنا بين العلم والتكنولوجيا والاخلاق النفعيـــة) ... وقد اقتطفت هذا القول السامي الحكيم من الحديث الذي خص به أمير المؤمنين الحسن الثاني مجلة (دعوة الحق) الغراء ، بمناسبة الاحتفال بعيد العرش في ظل البعث الاسلامي ، العدد 8 السنة (15) » .

لكل عصر ميزات تميزه عما يسبقه أو ما يليـــه من العصور ، وقد تكون هناك بعض الميزات المشتركة بين عصرين متعاقبين ، أو متباعدين يفصلهما عـــن بعضها أمد زمني طويل أو قصير .

وقد قيل عن عصرنا هذا بانه عصر الحرية ... عصر النور ... عصر حقوق الانسان ... عصـــر تحرير المراة ... عصر يقظة الشعوب المغلوبة على امرهـــا .

وهناك بعض المتشائمين وصفوه بأنه عصـــر القلق .. عصر الامبريالية .. عصر الحروب الباردة .. والساخنة .. عصر الذرة ، هذا المارد الجبـــار الذي ينتظر لحظة غفلة من حارس القمقم ، لينطلق

من محبسه حاملا الدمار والهول ، بل الفناء الشامل الكامل للحضارة البشرية ، ان لم اقل للبشرية كلها.

ولكن اهم السمات التي تطبع عصرنا الحاضر بطابعها الخاص المميز الذي لا يستطيع ان يتجاهله احد ، هي ثلاث :

1 ـ انه عصر العلم

2 ـ انه عصر التقنية

3 ـ انه عصر الاخلاق النفعية .

ولنحاول الآن أن ننظر فى كل من هذه الميزات الثلاث .

1 ـ عصر العلم : هذه ميزة بارزة واضحة تسم عصرنا بميسمها الواضح الذي لا يحتمل انكارا، ولكن الغرور دفع بعضهم الى ان يحاولوا فى معاملهم ومختبراتهم خلق المادة الحية .. وقد استخف احدهم نجاح ضئيل احرزه فصاح بما معناه : «ايتوني بالمواد اللازمة وانا أخلق لكم بشرا سويا » وهكذا .. وبعملية « بدائية » سبقه اليها الاطفال حين كانوا يأتون بأكمام الزهر المغلقة فيضعونها فى الزهريات المليئة بالماء الممزوج بالسكر فتتفتح وتزهر وتطول عمرها اياما قبل ان يصيبها الذبول ، انكر وجود الخالق القدير جل وعلا ، وادعى لنفسه ما لا يدعيه الشيطان نفسه ..

ان العلم الحق لا يتناقض ابدا مع الايمان الحق ، فكلاهما طريق الى معرفة الله وعبادته حق العبادة ، ولو توصل العالم الحقيقي الى (تسوية) بشر كامل سوي لما اغتر وانكر وجود الخالق جل جلاله ، لان المادة التي اعتمدها هي من صنع الله ، والسنن والنواميس التي اتبعها فى عمله هي سنن ونواميس طبعية سنها الله فى خلقه منذ اوجد هذا الكون ، ولا فضل للانسان فيها الا انه اكتشفها بما وهبه الله اياه من قدرة ، ولكن ما يؤلم ويؤسف هو طغيان موجة الالحاد والكفر استنادا الى العلم ، والعلم منها براء . ولو حاولنا اجراء احصاء دقيق لمعرفة المؤمن من الملحد بين العلماء لوجدنا ان اكثر من 80 ٪ منهم مؤمنون ، ايمانهم عميق راسخ ثابت ، وما ظاهرة الالحاد التي تسود عصرنا الا موضة جديدة من الموضات التي تطفو على سطح مجتمعات العالم مسوقة بأخلاق المنفعة التي تقوم عليها حضارة الغرب السائدة الآن ، وسرعان ما يجرفها تيار الفطرة البشرية السوية التي لا ترضى بغير الايمان بديلا .. وما ظاهرة اللانتماء والتمرد ، وموجة البتنيك والهيبي وغيرها من الموجات والظواهر الا تعبيرات غير واعية عن القلق الذي تحسه الاعماق البشرية المتعطشة الى الايمان ولا تجد ريا .

2 ـ عصر التقنية : منذ خلق الله تعالى الانسان على ظهر هذا الكوكب وهو يسعى الى تحسين وسائل عيشه ، وذلك باصطناع ادوات ووسائل معينة تعوض ضعفه البدائي فاخترع اول الامر ادوات بسيطة بدائية ، اخذ يسعى لتطويرها وتحسينها ، بما وهبه الله تعالى من عقل حتى اصبحت فى عصرنا هذا امورا مذهلة خارقة ، وفى مدى اقل من قرنين من الزمن انتج الانسان فى الميدان التقني ما عجز عنه فى مدى الوف السنين منذ بدء الحضارة الى اواخر القرن الماضي .

وها نحن نرى الان العقول الالكترونية تقوم بادق واصعب الاعمال التي تعجز عنها العقول البشرية ... وللانسان طموح كبير فى أن يصنع عقولا الكترونية تقوم مقام الجهاز الاداري والجهاز العمالي فى اكبر المصانع .

وبعض الناس يسمون هذا التقدم التكنولوجي الهائل الذي توصل اليه الانسان بالثورة الصناعية الثانية ، تمييزا عن الثورة الصناعية الاولى التي قامت فى الغرب خلال القرن التاسع عشر ، فهي امتداد لها وتطوير لامكاناتها ، وهي مع ذلك تختلف عنها فى الطبيعة والنتائج والعوامل المسببة ، فمنطلقها هو من الاتوماتية بخلاف الاولى التي تنطلق من الآلة ، وهي تحرر الانسان من الالتصاق المباشر بالآلة ، يحركها ويراقبها ، وهي تفجر طاقات جديدة فى الكائن البشري قد تمتد الى حد تحريره من قيود خضوعه للعدد المحدود من الموارد الطبيعية التي تجود بها الطبيعة ، وتسمو بطموحه الغير المحدود الى استنباط مواد جديدة متكاثرة .

انها ـ قبل ان تكون آلات تصنع ، واجهزة تقنية تطور او تكتشف ـ عقلية جديدة ، وحياة جديدة تعاني وتعاش بأسلوب جديد .

بالامس ـ وخلال الثورة الصناعية الاولى ـ استعبدت الآلة الانسان ، وانتزعت منه مكانته الاولى

في عملية الانتاج ، والصقته بها كخادم وضيع لهـا يراقب ما تنتج بصمت وحياد تامين ، دوره ينحصر في الضغط على الزر لتعمل ، او الضغط على آخـر لتتوقف .. تلطخه اوساخها ... تمسخه دولابا من دواليبها ، وليس اهم هذه الدواليب ، اذا حدث بها عطل او خلل ، فهو المسؤول عن خدمتها ومعالجتهـا حتى تعود سيرتها الاولى ... اذا احسن فيمها واتقن كيفية التعامل معها كان له الحـق في أن يعيش وضمنت له ان يبقى الى جانبها .. والا فهـو دولاب مثلوم يصلح .. او قطعة غيار تستبدل بغيرها اصلح منها .. من المسؤول عن هـذا الوضـع المهين المشين !؟ اهو الانسان الذي ارتضى لنفسه هـذا الوضع الذي يسحقه ويمسخ انسانيته ؟ ظـروف العيش .. والحاجة .. والفقر الكافر .. تطحنـه وتستعبده ، ولا مجال امامه للاختيـار او حتـى التردد .. اهي الآلة نفسها ، وما هي الا جماد اصم ابكم ؟ ؟ اهي علاقات الانتاج التي سادت عصر الثورة الصناعية الاولى ؟ ؟ هناك من يرتضي هذه النقطـة كعامل اساسي في كل ما ذكرت ويكتفي بها ، ويرفض أن يذهب ابعد منها ، فلا يضيف (اخلاق النفـع) التي سادت مجتمعات القرن التاسع عشر ولا زالـت سائدة الآن ...

وها هي الثورة التقنية تقلب كيان الصناعـة ، والآلة ، وعقلية انسان القرن العشرين ، واساليـب حياته راسا على عقب ، تقدم له فهما جديدا للطبيعة وتذليلها له الى درجة انه اصبح يطمح الى السيطـرة التامة على الكون .. يفعل ما يريد .. ويمنع وقـوع ما لا يريد .. اذ ان هذه الثورة التكنولوجية ـ على ما يبدو ـ ذات بداية وليست بذات نهاية ، الا اذا انتهى الوجود البشري .

هذه القوة غير المحدودة التي اتيحت للانسان بالسيطرة على قوى الطبيعة واستخدامها استخداما غير محدود ايضا ، هل سيمنع اكتسابها من ان يعيد التاريخ نفسه ، فيقع الانسان في نفس الاخطاء التي وقع فيها خلال الثورة الصناعية الاولى ، وربما تكون اخطاء افظع واوخم عاقبة ؟

الجواب بدهي وحاضر في ذهن كل من يحسن استقراء الوقائع والاحداث : الغـرور ، والاخـلاق النفعية الانانية التي تسود المجتمعات التكنولوجيـة على الصعيدين الفردي والاجتماعي ، لا تترك لمتفائل ان يتفاءل ــ او على الاصح ــ يذهب بعيدا في تفاؤله .. التكنولوجيا بما اودعته بيد الانسان من قـدرات مادية وادبية على تدمير نفسه ، وقفت عند هذا الحد ، وليس وراء ما يملكه البشر من ادوات الدمار والفناء زيادة لمستزيد ، فلحظة طيش كافيـة للقضـاء على الحياة باوسع معانيها على سطـح الارض .. ومـا الاستزادة من هذه الوسائل والقدرات الا على حساب القدرة الخلقية على كبح جماح النفس ، وبالتالـي ضعف السيطرة على هذه العدد الجهنمية التي تدمرنا وتدمر مالكيها وصانعيها قبل غيرهم .. واذا احسنا بها الظن قلنا : مع غيرهم .

وهذه العلوم الانسانية التي ندرسها ، ما هـو دورها ؟ الم توجد لتجعل الحياة احلى واغلى في عيون الناس ؟ الم توجد لتحسن علاقة الانسـان باخيـه الانسان ؟ هذا ما قيل من قبل ولا زالت تلوكه الالسن الى الآن ، وهو وهم كاذب تطمئن به الارانب انفسها ، كمن يصفر في الظلام او يغني ، ليوهم نفسه بانه غير خائف ، وهو خدعة غير بريئة ترددها الذئاب حيـن ترتدي جلود الارانب وتندس بينها لتوهمها بانها في امن وامان .. ولتلتهمها هي في امن وامان .

هذه العلوم الانسانية فشلت في ان تجعـل الانسان يسيطر على نفسه ويرتقي بها ، ونجحـت نجاحا تاما في ان تبرر له وتزين له ان يسيطـر على اخيه الانسان .. علوم فشلت في ان تجعل من الانسان انسانا يعتز بانسانيته وباخلاقه ، وبارادته المسؤولة عن البحث والسعي وراء كل ما ينفع الناس ، ودفـع كل ما يضرهم .. وجعلت منه مجرد آلة عاقلة تدفعها الاهواء ، وتحتجزها المخاوف .. المنفعة تجري بها ، والعقاب يلجمها ، قلبها جاف غليظ فظ خال مـن الرحمة .. بلا كبرياء .. ولا اعتزاز ..

الدين الحق ... الحل الوحيد .. اذار الناس عنه وجوههم .. صدوا عنه .. ازوروا .. ولـووا رؤوسهم .. واغمضوا عيونهم .. وجعلوا اصابعهم في آذانهم .. واستغشوا ثيابهم .. واصروا اصرارا .. واستكبروا استكبارا .. العودة اليه هي علاجهم الناجـع ...

3 ـ عصر الاخلاق النفعية : عرفوا الاخلاق فقالوا : « هي مجموع افكار الناس عن الخير والشر، والتي تعبر عن ضمير الجماعة فى عصر من العصور ، اما قواعد الاخلاق ، فهي تلك التي تفرضها الجماعة على افرادها تحقيقا للخير وتجنبا للشر ، والتي يستلزم عدم احترامها سخط المجتمع ، وازدراءه للمخالف » .

اذن فالاخلاق هي مجموع ما تعارف عليه مجموعة من الناس في مكان وزمان محدودين ، من احكام وقواعد تبين الحسن والقبيح والنافع والضار، وهذه الاحكام والقواعد ، لا يعاقب مخالفها من طرف السلطة الحكومية ، اذ تكل امر ذلك الى مجموع الناس الذين لحقهم ضرر مخالفتها ، بان يقاطعوا الشخص الخارج عنها ، ويشوهوا سمعته . بعكس القاعدة القانونية التي يعاقب مخالفها من طرف السلطة الحكومية بما تقدره له السلطة القضائية من عقاب يستحقه ويناسب نوع المخالفة التي قام بها لقوانين المجتمع .

هذه هي النظرية الخلقية السائدة فى جميع مجتمعات عصرنا ، مهما اختلفت ايديولوجياتهم وانظمة الحياة عندهم ، محدودة بزمان ومكان معينين، وهذا يستدعي عدم ثباتها ، وبالتالي عدم ثقة الناس بها ، فيسهل عليهم خرقها والخروج عنها متى ظهرت لهم منفعة فى ذلك ، وهي ايضا قائمة على الحسن والقبيح والنافع والضار ، وما اسهل ان يبرر الانسان بان الحسن فى المنفعة ، وبان القبح فى الضرر ، فتلتبس على الناس المفاهيم . فاذا الانسان الذي يحرص على منفعته قبل كل شيء ، ولا باس بان يغرق الطوفان غيره ، هو الانسان المحترم ، خصوصا اذا كان فتات موائده يصيب المحرومين والطامعين ، وبطشه وجبروته يخرس السنة الحاسدين ، اما الانسان الذي لا يعرف من اين تؤكل الكتف ، ولا يحسن استغلال الفرص وانتهازها فهو المحتقر المنبوذ .. حتى الدين الذي تقوم نظريته الخلقية على الثبات الدائم فى كل عصر ومصر ، وعلى الحسن والقبيح دون ان يدخل فى حسابها ابدا النافع والضار، الا اذا عم النفع وشمل مجموع البشر ، وقل الضرر او انتفى نهائيا ، فان الناس قد نبذوه نهائيا باسم العلم .

وقد يبدو ان النظرية الخلقية القائمة على المنفعة سائدة فقط فى المعسكر الغربي الراسمالي الذي تقوم نظريته الاقتصادية على مبدا المناقشة الحرة غير المقيدة : « دعه يعمل ، دعه يمر » . ولكن الحقيقة انها سائدة ايضا حتى فى المعسكر الشرقي الاشتراكي الذي تسود فيه النظرية الاقتصادية القائمة على ملكية الدولة لجميع وسائل الانتاج وعلى مبدا : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته» والا فما الداعي لان تجتاح عساكر الروس المجر وتشيكوسلوفاكيا ، عندما اشتمت منهما رائحة الخروج عن محورها ؟ ! وما الداعي لاعترافها السريع بمنظمة منشقة تسعى لانشاء دويلة تدور فلكها .. محطمة بذلك آمال شعب افريقي عظيم قاسى الويل من الاستعمار زمنا ليس بالقصير ، وما هي اخلاق المنفعة التي تسود العالم ، وتقربه اعرافا دولية اشبه ما تكون بشرائع الغاب .. هذه الاخلاق ؟ وقد بهذا البلد الكريم الغني حربا طاحنة تكاد تاتي على الاخضر واليابس ، وما الداعي ايضا الى ان يسجن .. عدة مرات .. سنين طويلة .. اكبر زعيم شيوعي بعد تيتو فى يوغوسلافيا « ميلوفان دجيلاس » بعد ان اصدر كتابه الخطير الذي يفضح فيه ويعري اخلاق « الطبقة الجديدة » ! ؟

وما الداعي ايضا الى ان يغير « السوفييت » موقفهم من قضية فلسطين تغييرا يكاد يكون جذريا ، خلال ظرف زمني قصير نسبيا لا يتجاوز ربع قرن ! ؟ ونفس الاصوات التي بحت بالتعبير عن الموقف الاول على منابر الامم المتحدة .. هي نفسها تقريبا التي ترفع عقيرتها معبرة عن الموقف الثاني الان وعلى راسها « ما يسترو الاركستر » القدير : كروميكو .

وما الداعي ايضا الى ان ينتطح اكبر راسين فى المعسكر الشرقي « روسيا والصين » وبعنف بالغ احيانا يكاد يكون دمويا ! ؟

* * *

ليصبح عصرنا حقا عصر العلم ، ينبغي أن تروج العلم بالايمان .

ليصبح عصرنا حقا عصر التكنولوجيا ، ينبغي ان نجعل التكنولوجيا فى خدمة الانسان لا العكس .

ولن يكون هذا الا اذا بدلنا اخلاقنا ، وغيرنا نظرتنا الى الحسن والى القبيح ، والخير والشر ، والنافع والضار .. فالخير هو الخير فى كل زمان ومكان ، والقبيح هو القبيح فى كل عصر ومصر . اما النافع فهو ما يعم نفعه البشرية باكملها ، واما الضار فهو ما يشمل ضرره ارضنا الطيبة باجمعها .

نسال الله أن يبدل سيئات عصرنا حسنات ، انه سميع مجيب .

الرباط : عبد الله كديرة

مراجع اعتمدتها عند كتابة هذا المقال :

— الانسان العربي وتحدي الثورة العلمية التكنولوجية : د. حسن صعب
— الثورة التكنولوجية فى التربية العربية : د. عبد الله عبد الدائم
— شروط النهضة : مالك بن نبي
— دستور الاخلاق فى القرآن الكريم : د. محمد عبد الله دراز
— مجلة المسلم المعاصر العددان الاول والثاني — ربيع الثاني 1395 هـ — ابريل 1975 م
— نظرية القانون : الدكتور عبد الفتاح عبد الباقي
— روح الدين الاسلامي : عفيف عبد الفتاح طبارة .





من عمق الدعوة...

للأستاذ محمد ابراهيم بخات

«لقد كرم الله المسلم - كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد ، ليقوم ، وباستمرار ، كحجة على الزيف والفساد والتحريف ،

- كرمه بربط قيمته بتقواه ، بصرف النظر عن لونه وسلامته ،

- كرمه اذ ابعده عن التقليد الاعمى ، التقليد الاعمى الذى يسىء الى الاصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة ، ان اهم ما يجب ان يتنبه اليه المسلم هو ما تعمد اليه الايديولوجيات الهدامة فى معالجة الاخلاق كشىء مجرد ، ومعالجة الانسان منفصلا عن الاخلاق ، فهذا الانتظار هو ما يجب ان نتصدى له بكل قوانا ، لان الديانة هى العمود الفقرى لكيان الانسان، والامر اكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع ، فلا مجتمع بدون قانون خلقى وشريعة روحانية ، واذا كان التقدم المادى قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم ، اى على حساب القيم الانسانية فانه يسير ، ولعله قد وصل الآن الى متاهات الضياع، فاصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نصفها الضائع، وهذا البحث يشكل احدى معضلات العصر الكبرى ، وأبرز أسباب القلق فيه».

من الحديث الاسلامى الذى خص به جلالة الحسن الثانى مجلة دعوة الحق بمناسبة عيد العرش فى ظلال البعث الاسلامى ، العدد (8) السنة (15) .

ان دعوتنا الخالدة فى عصر جاهلية هذا القرن فى حاجة ماسة الى التزام المسلمين ووعيهم واعتصامهم، وهو التزام اساسى وضرورى يجعل المتشبث به ومن يتحلى به يعيش فى قمة بدينه ؛ وينظر الى هذه الجاهلية نظرة شزراء فهى عنه فى الحضيض . انسانها قزم يحاول ان يتعملق، وانسان الاسلام هو النموذج الاسمى والمثل الاعلى للانسان الكامل، حلم فلاسفة الغرب الذى لم يتحقق منذ اقدم العصور، وحققه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى اقل من ربع قرن،

انسان الجاهلية الحديثة يحاول ان يتسلق قمة الكمال الى سعادته المنشودة على سلالم عرجاء من ديمقراطية جوفاء مزيفة ، فيتربع على عرش الكمال الموهوم، حتى اذا شاء شياطين الانس احياء ماضيه هووا به الى الحضيض فى اسرع من لمح البصر ، وقضايا «ووترغيت» و «براندت» ووزير بريطانيا الفسق ليست عنا ببعيدة ، والجعبة مليئة بالاخبار عن فسق رجالاتهم الكبار ، طافحة بالكثير الكثير عن نفاق حضاراتهم .

المثل الاعلى للحضارة الغربية فى ممثلي السينما والراقصات وانصاف المعتوهين من الرسامين والعته الذى فيهم وفى غيرهم من الفنانين ليس طبيعيا بمعنى انه ناتج عن حالة مرضية وانما هو اصلا انحراف فى التعبير الفنى والتجسيم الفنى بحيث لا علاقة لهم البتة بأى صورة من صور الصدق الفنى ، وبصراحة النتاجهم الفني فى ضوء التحقيق لا يمت بالصلة الى حقيقة من حقائق الاصالة الفنية.

وعلى هذا الاساس فالفن كما يؤكد الواقع ، ويشهد به عندهم يساوى العفن ، فهو فى عالمهم لا يجسد ويحقق الا المسخ والتزييف والاسفاف والانحراف والتمييع ، فالعته بهذا المفهوم عند انسان الغرب صنو للعمه الذى يعانيه، ومن باب وضع النقط على الحروف : عتهه ليس ناتجا عن نقصان عقل وانما عن نقصان **ايمان**، وهو نقصان تجاوز الحد مما جعله لا يؤمن حقيقة ولا يهتدى اصلا

اذن ليس غريبا ان يكون عمها وليس غريبا ان يتحول الى معتوه، لان ما به من عته وعمه من ضروريات حضارته ومن حتميات جاهليته، وما حضارة الغرب الا مادية طاغية عن الغاية، وما جاهليته ؟ اليست ضلالا فى ضلال وكفرانا فى كفران ؟
«ان الذين لا يومنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون»(1). «من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون»(2). اما انسان الاسلام فمثله الاعلى الانبياء عليهم سلام الله الذين كانت دعوتهم : «ان الدين عند الله الاسلام»(3) وفى الصديقين والشهداء والصالحين الذين اقتدوا بهم والتزموا هديهم، واعتقدوا وتيقنوا بانه لا قيمة للحياة ولا قمة لانسانها الا بالايمان وعمل الصالحات، وبدونهما لن يتنظر هذا الانسان ولن يبقى الا الخسر، فهو مصيره وهو جزاؤه.

والايمان وعمل الصالحات كما يريد هذا الدين وكما بين واكد هذا القرآن ودعا ووجه اليهما ، وبرهن عنهما هما الحل : «..والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

ان ما وصلت اليه هذه الجاهلية من خسر ، نابع من وقعها الاليم ينذر بساعة الخطر التى ازفت والتى تؤكد انها فى تهافت واندحار وافول، وانسانها الشقى يقاسى(4) بسببها شتى انواع الحرمان واللعنة والزيغ، وحدث ولا حرج.

وكما قدمت لهذه المقالة اعود لاقول ـ محللا وموضحا ـ بان بيت القصيد بالنسبة لنا هو ان نلتزم على ضوء حديثه صلى الله عليه وسلم : «لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولا يزيغ عنه(5)».

فبالالتزام والتضحية والاخلاص والصبر والصمود انتشر الاسلام وساد دعاته واهاليه، ولا نسال عن القدوة الصالحة والمثل الحى فهما ناتجان عن الالتزام.

وعلينا ان لا نمل او نياس لقلة العمل الاسلامى واعراض الناس عنه وضيق نطاقه، حتى ان هناك من يقول بانعدام وجوده او يكاد، وبدون تعليق اقول فى ضوء التحقيق : بأن دعوة الحق فى عهد البعثة المحمدية كانت تدريجية، بمعنى لدحر الباطل لا بد من ان يكون الاصلاح تدريجيا، وطبعا لكى يكون جذريا لا بد من ان يكون جذريا بتصحيح عقيدة المؤمن وتجديد ايمانه وتكوينه كما يريد هذا الدين، وبذلك يتجدد العمل بالاسلام بانبعاث القاعدة الصلبة التى تفرض وجود الاسلام وتحتم عودة حاكمية الاسلام ، وبغير هذه الجذرية الاسلامية يستحيل اى تغيير.

---

1) الاية 4 من سورة «النمل».
2) الآية : 186 من سورة «الاعراف».
3) الآية : 19 من سورة «آل عمران».
4) شاع استعمال «عانى وقاسى من كذا»، وهو استعمال غير صحيح. فالفعل لا ياتى متعديا بمن، والصحيح ان ياتى متعديا بنفسه ، جاء فى الاساس» وهو «يعانى الشدائد» . عن مجلة التضامن الاسلامى السعودية، سنة30 عدد 4ـ5 استعمالات لغوية معاصرة للاستاذ محمد حسن عبد العزيز ص : 88 ، 89 ، 90.
5) رواه البخارى باسناد صحيح والحافظ ابو نعيم فى (الاربعين) ورواه الطبرانى بزيادة : (ولا يزيغ عنه).

وبصراحة اقول : ان من يكتفي باصلاح الظاهر ويحاول التغيير طفرة فهو يطلب مستحيلا، فيزيده الفساد تعقيدا، والفتنة جسامة، والوضع افلاسا ، والشر انتشارا، والمنكر سيادة ، وهكذا فالافساد كان بالتخطيط وكذلك يكون الاصلاح ، هذا ما علمتناه مراحل الدعوة الاسلامية بمكة اولا وبالمدينة اخيرا.

ومن اعدائنا نتعلم اعادة التخطيط وجدية العمل من اجل باطلهم لنشر حقنا، والواقع يؤكد انهم حينما كانت تخفق لهم طريقة او ينجح لهم تخطيط يحاولون ويعملون ليحققوا نجاحا اكثر ومستمرا.

وببلاد الاسلام كم غيروا واستعملوا من وسائل وبذلوا واتخذوا من اسلحة ، ولكن كان نجاحهم الاكبر والاخير في اتخاذ تلامذة(6) بمثابة ورثة لهم، يخلصون لهم وينوبون عنهم في ارض الاسلام لاستمرار الاستعمار بشكل آخر، وقيادة عالمنا الاسلامي في ركاب الجاهلية دوما وابدا.

ان الدعوة الى الله تحتاج الى الكثير الطيب والكثير المتنوع من الاعمال والوسائل باخلاص ومنهجية وحركية دائمة كما علم ووجه قرآننا، وكما علمت ووجهت السنة النبوية مع مواكبة الجهود لها واقبال الافراد عليها :

«وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم»(7)

«واعتصموا بالله هو مولاكم»(8)

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»(9)

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (10) .

«جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم وألسنتكم»

(الدين : النصيحة)

(بلغوا عني)

لا مناص من التخصيص لاوقات الدعوة والتفرغ لها واقصد اغتنام فرص الدعوة وايجادها مع التطليق للراحة، ذلك انه لا راحة في مثل عصر كعصرنا هذا، فالركون الى الراحة في عهد جاهليات القرن يعد غفلة بل خيانة بلا مبالغة او مغالاة ، وصدق الفاروق عمر ابن الخطاب عليه الرضوان حينما اعلن عن هذه الحقيقة منبها وموجها جنود الدعوة ورجال الاصلاح:

(الراحة للرجال : غفلة)(11).

والتخصص في ميدان الدعوة ما اعظمه وكم يحقق من ايجابية ، ولكن في حدود معرفة لغات الغير للاستفادة العلمية عموما، فهذه المعرفة تمكن من دعوته بلغته واقامة الحجة عليه ورد شبهاته والمقارنة بين جاهليته واسلامنا وهلم جرا.. ولكن بشرط ان تكون دعوة المسلم له وهو موقف القوة على اساس انهم المتهمون وان الاجرام لجاهليتهم، والنقص قيمهم والضعف في ماديتهم ، والانحلال في حضارتهم ، والتهافت لعلمانيتهم.

فالمسلم بحكم قوة عقيدته وصحة شريعته وسلامة قيمه يجب ان يكون دائما في مركز القوة في كل مناسبة وعلى اية حالة، يدعو لحقه بصفة مباشرة وغير مباشرة، وخلال دعوته يمضي قدما ونصب عينيه شعار المؤمن الحق :

«وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين».

وهذا المؤمن وهو في ميدان الدعوة والدفاع عن الحق، يتحين الوقت المناسب لكيفية الدعوة ولوسيلة دفاعه فيبرز وينتهز، فان دعا فلفرض حق ولقضاء على باطل كيفما كان ، وان دافع فلفضح العدو ولاظهار باطل الغير والتشهير بخوائه ومواطن الضعف فيه، فيكون قد طبق المفصل وأصاب المحز: عرف بالاسلام وفضح الجاهلية وبرهن على فراغها

---

6) انظر بحث (اين محاضر الجيل المسلم)، للاستاذ يوسف العظم.
7) الآية 78 من سورة الحج.
8) الآية 78 من سورة الحج.
9) الآية 103 من سورة آل عمران.
10) الاية 105 من سورة التوبة.
11) كتاب (ادب الدنيا والدين) للماوردي ، صفحة 82 .

وبين ما وصلت اليه من حضيض ، وما تحتج فى الدعوة والدفاع الا لانه فى مستوى مسؤولية الدعوة.

وهكذا يكون قد ضرب العدو وأجهز عليه ، فاسلامنا لا يمكن ان يكون فى قفص اتهام ، فهو دين الحق الذى اظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون فى الماضى والحاضر والمستقبل حتى يأتى امر الله، فهو يعلو ولا يعلى عليه واتباعه له اعويته وقوته فهو قوى وهو عزيز:

«وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين»(12).

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»(13).

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»(14).

اما ان نتقاعس ونحجم، ونبرر بدعوى عدم تخصصنا فسيكون تصرفنا هذا ، وفهمنا علينا لا لنا، لان التخصص المقصود لا يتحقق الا للقليل المستعد ذى القابلية، ومن ناحية اعدائنا فهم لن يسمحوا لنا ولن يتركونا نعمل لهذا التخصص الذى يستحيل ولا حتى ان نحاوله ؛ لانهم اكتشفوا نقطة الضعف فينا وهى الخيانة ، وادركوا حقيقة الخطر الذى سيعرضون له لو تبنا الى ربنا وتبنا الى رشدنا بالعودة لديننا، ولذلك فهم يعملون ليل نهار للحيلولة دون ذلك وهم مطمئنون، ونحن مقصرون الى القمة، وتقصيرنا لا نحسد عليه، ويتجسم اكثر فيما نستطيعه، اما ان نتجسم تكاليف ما لا نستطيع فهذا سيكون منتهى التحريف والتضييع ، والتخبط والتنطع.

وفى موضوع ما نستطيع وما لا نستطيع يجب تبيان حقيقة وهى ان الكثير من المسلمين وحتى الحركيين منهم يدعون ويتذرعون بعدم الاستطاعة فى ميدان الدعوة والعمل، والاصلاح والتغيير قبل ان يخوضوا ويحاولوا ، او قبل ان يجربوا ويعملوا.

وهذا تصرف منهم حجة عليهم ويشجبهم ، فعليهم ان يجربوا اولا فى حدود الطاقة وكل له طاقة وفى دائرة المسؤولية وكل له مسؤولية ، وبعدها فان لم يستطيعوا وما نجحوا فهم مخلصون ما قصروا ، ابرياء لا خونة ، يؤيدهم قول الله على لسان نبى الله شعيب. لا تتوقف لهم محاولة، ولا ينقطع لهم امل، يداومون ويعيدون الكرة تحملا لعبء الدعوة وواجب التضحية : «ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب»(15).

وعودة ختامية لدعوة والتخصص تدعونى الى البوح بحقيقة هى من عمق الدعوة وهى: ان التخصص الوحيد بالنسبة للمسلم يكمن فى الاخلاص، فهذا هو التخصص الذى ينقصه، وانعدامه سهل على اعدائنا العمل الكثير لتحريفنا عن ديننا وتحويلنا الى جاهليتهم.

هذا النوع الفريد من التخصص، به حقق سلفنا الصالح ما حقق من دعوة ونصر، وهداية وانقاذ لانه عرف دوره فى الحياة وقدر وظيفته كما علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام : «بلغوا عنى ولو آية».

ولو آية : هى جوهر الدعوة الحتمية فى الاسلام فهى نقطة الانطلاق للمسلم الحركى الملتزم، هذا المسلم الفذ الذى درى ووعى، وفكر وقدر، واقبل وتقدم فبلغ عن رسول الخير، القليل من امر دينه لكافى الهادى، اما الكثير منه فما كان ليبخل به لان رسول الحق وجهه الى ضرورة الدعوة فى حالة ما قل وكثر، فهو كما رباه صلى الله عليه وسلم يدرك حقيقة فطن اليها فتشبع بها، لها علاقة وثيقة وأساسية بالدعوة ، وهى ان المسلم بحكم اسلامه داعية بالفطرة والضرورة ، وبالحال والمقال، فى ضوء التزامه لا يعرف التناقض سبيلا الى واقعه بين قوله وفعله.

ولهذا فهو دائما يجول ويجاهد ، يكد ويجتهد فى سبيل الحق، وهذا خير دليل على ايجابية انسان الاسلام الحق ومنهجية دعوتنا التى تنم عن واقعية اسلامنا.

الرباط : محمد بن ابراهيم بخات

---

12) الآية 139 من سورة آل عمران.
13) الآية 8 من سورة المنافقون.
14) الآية 60 من سورة الانفال.
15) الآية 88 من سورة هود.

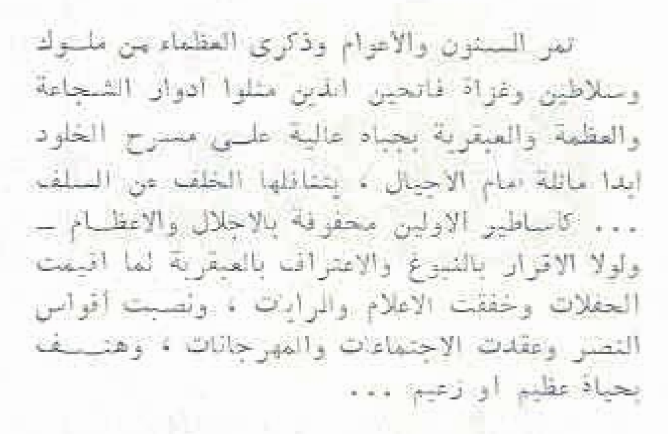


الحسن الثاني

رمز الأمة ومحقق الوحدة



للأستاذ عثمان بن خضراء



تمر السنون والأعوام وذكرى العظماء من ملوك وسلاطين وغزاة فاتحين الذين مثلوا ادوار الشجاعة والعظمة والعبقرية بجباه عالية على مسرح الخلود ابدا ماثلة امام الاجيال ، يتناقلها الخلف عن السلف ... كاساطير الاولين محفوفة بالاجلال والاعظام — ولولا الاقرار بالنبوغ والاعتراف بالعبقرية لما اقيمت الحفلات وخفقت الاعلام والرايات ، ونصبت أقواس النصر وعقدت الاجتماعات والمهرجانات ، وهتف بحياة عظيم او زعيم ...

فالخدمات الجليلة والاعمال المجيدة التى يقوم بها ذوو الاريحية والنفوذ لها نشرها الطيب وذكرها الخالد واثرها المحمود ولله در القائل :

من يصنع المعروف لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

ولقد سجل التاريخ المغربى الشيء الكثير عن الاسرة العلوية المجيدة من المكارم والامجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية ... فكانت هجرتهم من الحجاز الى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد واهلها ، وسجل فى حقهم التاريخ المغربى التسابق الى المعالى وتسنم ذروة المجد والاسراع الى الاغاثة والنجدة وتحرير الثغور من الاحتلال الاجنبى وتوحيد التراب الوطنى شمالا وجنوبا ...

ولقد ظل حب الحرية وعقيدة التحرر هما الميزة التى تجلل عبر القرون حركات التاريخ المغربى وتؤجج انفس المغاربة فى كل ما خاضوا من معارك وما قاموا به من ثورات ، وما انبعثت به ضمائرهم من حيوية واحساس ورق به وجدانهم من سمو ونبالة — أن عرق الحرية ينبض فينا منذ الاجيال الغابرة ... ولهذا فنحن احق بحياة ينتشى بها الطير ويشدو على الافنان فى الهواء الطلق حول الربوع الخضر فى هذه الارض الطيبة !

هذا وان الذكرى الخامسة عشرة لتربع صاحب الجلالة الحسن الثانى على العرش العلوى المجيد لتذكرنا فى فخر واعتزاز بالكفاح البطولى الذى خاضه ابناء هذه الاسرة العلوية العريقة والشعب المغربى النبيل فى الحفاظ على كيان المغرب وتقدمه والرفع من مكانته بين الدول الراقية .

نعم ... فعندما تبسط القوى المعادية للبشرية سلطانها ، يولد افراد من ذوى الايمان الراسخ مدركين ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان ويلعبون دورهم دون خوف او تردد غير عابئين بما يلحقهم من مكروه واذى .

اجل ... ففى حياة الحسن الثانى اليوم واخلاقه العالية وخصاله الشريفة وغيرته الاسلامية وحرصه الاكيد على توحيد القطر المغربى واسترجاع الاجزاء المغتصبة كالساقية الحمراء ووادى الذهب وغيرهما لدليل ساطع وبرهان قاطع على نبوغه وعبقريته ، بالقوى المعنوية الناجمة عن القوى المادية وبصورة

صاحب الجلالة مع فخامة الرئيس الموريطاني الاستاذ السيد المختار ولد دادة

تختلف عنها معنى وتتفق معها مبنى لا تقبل الجمع ولا تألف الحصر ، فهى ابدا سابحة بأضواء آمالها فى اهواء اللانهاية تطوى اشواطا شاسعة ، فتنبسط امامها اخرى ممهدة العقبات مذللة الصعاب محاربة الاحداث والانفعالات الزمنية بهمة عالية وعزيمة ماضية ... فتردد الاحقاب صداها ويسطر التاريخ صفحة مجيدة من صفحات العبقرية والخلود !!

ولا عجب فقد ورث الحسن الثاني عن اجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالاعمال الجليلة والمنجزات العظيمة والمبادرات الأصيلة واذا اخذنا صفحات هذا العرش العلوى المجيد لنجلو ميزاته الانسانية ونتفهم الى أي مدى اتسعت اعماله الاصلاحية وامتدت اطر مجاهديه الكبرى الى آفاق انسانية عليا ، فاننا نجد البطولة فى أروع صورها تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى على الشريف الى الحسن الثانى ، ونرى المجد الانسانى الباذج والسمو الروحى الأمثل الذي يتعالى فى مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذى يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش !

حقيقة ان هذه السنة حافلة بالعطاء والبطولات والامجاد ، مليئة بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق التي توجت باسترجاع الصحراء المغربية الى حظيرة المملكة بفضل كفاح الملك والشعب وذلك بالرغم من الروح القبلية التى كان الاستعمار يشجعها ويذكيها لان سكان الصحراء كانوا أيضا يعتبرون مستقبلهم فى الانضمام الى باقى تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا منذ القدم ...

ولقد هب الشعب من اقصاه الى اقصاه ملبيا نداء ملكه العبقرى وقائده الفذ فى مسيرة خضراء رائعة سلمية كانت نتائجها الباهرة افضل من الف معركة دامية . وذلك بعد أن اقنع حفظه الله هيئة الامم ومحكمة العدل بأن منطقتى الساقية الحمراء ووادي الذهب كانتا طيلة التاريخ منطقتين مغربيتين صميمتين خصوصا وان المغرب كان الدولة الوحيدة التى حافظت على استقلالها عبر القرون منذ القرن التاسع الميلادى . وقد خرجت من الصحراء سلالات حكمت المغرب كسلالة الموحدين كما ان سيادة المغرب قد استمرت عبر الاجيال على هذه الصحراء بكيفية دائمة – وافهم الرأى العام العالمي بانه حينما وطأ الاستعمار الاسباني أراضي الصحراء وبالاحرى بعض الجيوب الشاطئية من الصحراء فى حدود عام 1885 هبت القبائل المغربية الصحراوية لمقاومته واجبرته على الانكماش فى نقط من الشاطىء ... والكل قد سمع بثورة آيت بعمران وتضحية الشيخ ماء العينين فى هذا الجزء – ولا غرو ... فكفاح الملوك العلويين من اجل وحدة التراب المغربى وخصوصا من اجل الصحراء اكدته الوثائق والمستندات الوطنية والاجنبية ... فقد وصل الى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر اهل شنقيط حيث عقد على الملكة خناثة بنت الشيخ بكار المغافرى ، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة –

ورحل السلطان مولاى الحسن الاول بدوره الى تخوم شنقيط وتوغل فيها الى ان نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا احوال الرعية ...

وعندما احتلت فرنسا بلاد السينغال سنة 1858 فكرت فى الدخول الى شنقيط وهيات حملة بقيادة الجنرال « فيدرب » وقد لاقت الجيوش الاستعمارية مقاومة عنيفة من رؤساء القبائل الساكنين فى القطر من عرب وموريطانيين وكبدوا العدو خسائر فى النفوس لم يعرف عددها ... واستمرت المقاومة الى سنة 1901 حيث بعثت فرنسا جيشا بقيادة الجنرال « كبولاى » للاجتماع برؤساء الصحراء فاجتمع بأمير الترارزة اذ ذاك السيد احمد بن سالم بن علي ... وذلك فى اقصى الجنوب الموريطانى حيث تقع امارته وطلب منه عقد معاهدة صداقة وتعاون والسماح له بالدخول الى امارته ! فرفض الامير هذا الطلب مؤكدا للجنرال الفرنسى أنه لا يستطيع ابرام اية اتفاقية الا بعد الحصول على « موافقة سلطان المغرب » وعند ذاك دبر الضابط الفرنسى مكيدة لقطع نهر السينغال واحتلال الامارة بالقوة ولكن جيش الامير قاومه بشدة اربع سنوات ... واستمرت الحرب بين ابناء الصحراء المغربية والجيش الفرنسى مدة خمسة عشرة سنة ولم تنته الا سنة 1916 .

وكان السلطان مولاى عبد العزيز قد ارسل وفد الى شنقيط لينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم ويتفقد الاحوال ويصلح من شانها ...

صاحب الجلالة يستقبل الوزير الاسباني

موظفون بمدينة العيون

فقصدت هذه البعثة مدينة « اسمارة » بالساقيـــة الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وادت مهمتها احســـن اداء

ومن جملة الوثائق التاريخية التي ادلى بهـــا المغرب حول مغربية الصحراء انه في سنـــــة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شان المغـــرب ، وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية ... فكانت تجد بالجزائر وافريقيا الوسطى : السينغـــــال والسودان وربودي اورو ــ وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود وقد عمدت فرنسا الى ادماج الصحــراء المغربية في افريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها ، مما يجعل هذا الامر ملغـــى ومناقضا للقوانين الدولية !

هذا وفي منتصف القرن التاسع عشر طالـــب الاسبانيون بحق الصيد وفي انشاء معمـــل خـاص بالسمك على الشاطىء المغربي ، ولـــم يطالبـــوا قط بالسيادة على تلك المنطقة ... ولم يتنازل المغـــرب لهم قط عن تلك السيادة الشيء الذي تؤكده معاهدة تطوان 1860 ــ

وقد تابع الاسبان محاولاتهم لاحتلال ايفني وما حواليها حتى تم لهم ذلك باتفاق مع فرنسا ولكن بدون موافقة المغرب حيث ان السلطان عبدالحفيظ لـــم يصادق على تسليم بقعة من التراب ولو من اجـــل انشاء معمل للصيد !

وقد استطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله جلالـــة الحسن الثاني من تحرير جزء من الاراضي المغربية سنة 1956 حينما اعلن استقلال المغرب في 3 مارس مع الدولة الفرنسية وفي 2 ابريل سنة 1956 مـــع الدولة الاسبانية وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقـــة الاستقلال على ان يتحفظ فيما يخص الاجزاء غيـــر المحررة منه ويسجل حقه الكامل فـــي تحريرهـــا واستعادتها الى حظيرة الوطن المحرر ... وبفضل كفاح سياسي مستمر تمكن المغرب مــــن استرجاع مدينة طنجة سنة 1957 وواصل الكفاح بعـــــد ذلك فاسترجع طرفاية الصحراوية المجاورة للصحـــراء المغربية سنة 1957 بعد مفاوضات مباشـــرة مـــع اسبانيا ... وبعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية وطويلة مماثلة مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة ايفني في 4 يناير 1969 .

وجاء دور الساقية الحمراء ووادي الذهـــب واهتم الراي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها جلالة الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية ســـواء مـــع اسبانيا او هيئة الامم او محكمة العدل الدولية ... واثبت حفظه الله مغربية الصحراء الغربية تاريخيـــا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيـــا ... فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الارض من الاحتلال الاجنبي ... وقرر الملك المعظم القيام بمسيرة سلمية والدخول الى الصحراء في موكب سلام ــ وقامت جل دول العالم وفـــي مقدمتها الدول العربية والاسلامية بدعم موقف ملكنا ومباركين هذه المسيرة الشعبية والزحف المقدس ــ الشيء الذي دفع بالحكومة الاسبانية الى التفاهم مـــع المغرب والاستجابة لارادة الشعب وملكه ــ ورفعت الاعلام المغربية مرفرفة علـــى ربـــوع الصحراء ... وتعالت هتافات الغبطة والنصر والحب والولاء تغمر ارجاء الوطن ... وهب ابناء الصحراء من كل فـــج عميق لتاكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لجلالـــة الملك ــ وتحقق العالم مرة اخرى من شعبية الحسن الثاني ومن الشعب المغربي الصحراوي الـذي رفض رفضا مطلقا كل محاولة لتزييف واقعه وفصله عـــن تاريخه واجداده ودينه !

وبعد استكمال الوحدة الترابية هاهـو المغرب ملكا وحكومة وشعبا يبذل جهدا كبيرا وتضحيات غالية لاستعادة عظمة البلاد بعد تحقيق الوحدة ... وقـــد هيا جلالة الملك البرامج الواسعـــة والدراسات الجوهرية للعناية بالصحراء اقتصاديـــا واجتماعيا ودينيا حتى تصبح جنة خضراء ان شاء الله ــ

وقد بدات بالفعل المرحلة الاولى والمهمة وهـي عملية الحرث وحفر الآبار لاستخراج المياه من باطـن الارض لان التربة هناك صالحة للفلاحـــة وعمـــال الصحراء اذكياء مجدون لا يحتاجون الا لمن يفتح لهم المجال ويرشدهم الى العمل والانتاج فـــي جميـــع الميادين ... ولذلك توجهت عناية الحسن الثانـــي الى تزويد الاقليم بالأطر العليا الضروريـــة لهـــذا التطور الاجتماعي والفكري بتظافر الجهـــود وتآزر الارادات وحشد الوسائل ــ ان الامة التي يقودهـــا ملوك من امثال الحسن الثاني تستطيع الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة ابنائها لتشق طريقها نحـو العظمة والبناء والازدهار ... وان الحماس الوطنـي

والايمان الصادق لهو الحافز الذى يحرك ابناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث اثناء المسيرة الخضراء حيث تحول المغاربة الى شخص واحد يحس بنفس الاحساس ويعيش نفس الموقف .

فالمعركة المقبلة من اجل عظمة المغرب هي كما يريدها الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد، للتلقيح للانتاج ، لانه عمل كل يوم .. كل شهر .. كل سنة .. كل جيل — فهى معركة ايمان فى القلب وفى التفكير والابداع والانتاج — والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا اخرى بالطابع المغربى لن يقبلوا ان تطبعهم شعوب اخرى بطابعها ولن يستوردوا انظمتها —

فازدهار الصحراء مرتبط بالعمل المستمر بسمة الخلق والابداع ويقوم على استيفاء المناهج والاساليب المتولدة عن الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين ... ويعطى جلالة الملك الأولوية لاستصلاح الاراضى وتوفير المياه ... وشق الطرق وبناء السدود ... وتشييد دور للسكنى ... وتاسيس الاندية الثقافية والملاعب الرياضية بجانب المدارس فهو يريدها انطلاقة اقتصادية واجتماعية لتعميم الرخاء والازدهار وتحقيق الرفاهية لكافة افراد الشعب شمالا وجنوبا —

ان حدث استرجاع الصحراء وما تركته المسيرة فى قلوب الملايين من شعور قد تحول بين عشية وضحاها الى حافز قوى للتكتل والتطوع للارتفاع الى مستوى ما يطمح اليه قائد البلاد جلالة الحسن الثانى فى اعادة بناء الصحراء وتطهير رمالها من كل المخلفات العالقة بها ... ولقد ادهشت هذه البادرة الطيبة والمسيرة السلمية الملاحظين والرقباء والاعداء واشباه الاعداء وبدالهم مالم يكونوا يرقبون حيث استيقظت الامة من غفوتها واجتمعت على خطة قائدها وازاحت التردد من ساحتها ... وظهرت بمظهر جديد وبعيد عما كان يظن بها ... وان التاريخ الذى يسجل حياة الامم واعمال رجالاتها لفخور بما يضمه اليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذى تعتز به العروبة وينتظم به الاسلام جلالة الحسن الثانى ولشعبه البطل المومن الذائع الصيت ... ملك مسلم يومن بان المغرب بلد مسلم ورث حضارة الاسلام ومبادىء الاسلام كبقية الشعوب الاسلامية ، وفيها ما يكفى عما يمكن ان ياتينا من شرق او غرب ... فالقرآن الكريم مسطرة للحياة الاجتماعية ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم فيه ما يكفينا من الحكم لتسير سيرة رشيدة ... وهو كذلك يدعو شعبه الى التمسك بالمثل العليا التى هى موجودة فى كتاب الله تعالى وفى تعاليم الاسلام —

فالشعب المغربى وهو يحتفل بالذكرى الخامسة عشرة لجلوس الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التى لا تزور العالم الا نادرا وفى فترات متباعدة من التاريخ ... وهذه العبقرية لا تقاس بالسن ولا بغير السن من مقاييسنا لانها موهبة من الله تعالى ... وان الشعب المغربى وهو يومن بأن مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه فى الماضى وخليق بتاريخه فى المستقبل !

وان هذه الذكرى المجيدة لتذكرنا فى فخر واعتزاز بالكفاح البطولى الذى خاضه ابناء هذه الاسرة العلوية العريقة وملوكها الابطال والشعب المغربى النبيل فى الحفاظ على كيان المغرب وتقدمه ووحدة ترابه والرفع من مكانته بين الدول الراقية !

وان عظمة هذه الدولة ... وملوكها هم بناة صفحاتها التاريخية ليقفون بين تواريخ كثير من الامم موقف التحدى فى كثير من صور البطولة والشهامة ، وفى كثير من مناهج العمل والاخلاص — فلنهنأ جميعا بهذه الذكرى السعيدة وكل سنة ونحن فى عز ورفعة وانتصار مستظلين براية الاسلام —

سلا : عثمان بن خضراء

أقصوصة مغربية



الشارة المباركة



للأستاذ محمد أحمد اشماعو

> ان مكيدة فصل البربر عن العرب دبرها الاستعمار، ليتمكن من احكام قبضته على زمام الامور في وطننا الكريم، لكنها كانت بعكس ما أراد ـ بادرة لفتح باب النضال، من أجل التحرر والانعتاق، على أيدى افراد هذه الامة الصامدة.
>
> علينا ان نذكر هذا باعتزاز فى الذكرى العشرينية لاستقلال المغرب، والذكرى الخامسة عشرة لعيد العرش المجيد.

الفكرة مدهشة ومثيرة، لا يمكن أن يخرج بها الا ذهن عبقرى نادر الوجود.. فلا عجب ان ملكت عليه زمام نفسه، وعمرت خياله بالاحلام الجميلة، وغذت نفسه بالامانى العريضة. ولكى يزيد اقتناعا بهذه الفكرة ألزم نفسه أن يعيش فى وسط أطلسى خالص : الزرابى بالبيت من نسج الانامل (الزيانية)، والمتكآت من عمل (الخنفريات)، والبطانيات من انتاج (أزرو)، والبرانس من أحدى مناطق (قصر السوق)، أما القبعات ذات الالوان الزاهية، فكانت من انتاج القرى الزمورية.

وامعانا فى الاستمتاع بهذا الجو اتى بنموذج لجسم بشرى، من نوع النماذج التى يستعملها باعة الملابس الجاهزة، وحور قليلا من شكل الوجه، والصق به لحية خفيفة مستعارة، ثم كسا الجسد لباسا اطلسيا كاملا : عمامة بيضاء صغيرة ناصعة البياض، ورداء قطنيا ملاصقا للجسم، يشده عند العنق حبل قطنى رفيع، والجلباب الصوفى ذو اللون الضارب للصفرة، ينسدل عليه سلهام من الصوفى بنى اللون (صبغة الرحمن)، والسروال الواسع الفضفاض يشده عند الوسط تكة طويلة متينة، والقدم ينتعل حذاء أصفر، ليس من صنع الحضارة، ومن الكتف الايمن حتى الجانب الايسر تدلت (شكارة) مزخرفة، أهدابها المتدلية تكاد تلامس الكعب.

وبالاضافة الى هذه المقتنيات، الجميلة فى بساطتها، الزم الخادمة (يزة) بالا تظهر امامه الا

بمظهرها الاطلسي الاصيل : اردية بيضاء تحاذي البدن، مشدود عليها من الوسط بحزام منسوج من خليط الصوف والشعر، وعلى الرأس ومن حول العنق تكدست الحلي، التي هي عبارة عن قطع فضية، بعضها من عملات الايام السالفة، وبعضها من المثلثات والمستديرات والمكورات الفضية، المنقوشة بمعرفة صاغة مدينة (العيون)، مع ما يلزم — طبعا — من العطور الفواحة النفاذة، وحناء عسلية خاطفة للابصار، ودمام (عكار) أحمر قان زين الخدين والشفتين مما جعل المرأة تبدو رائعة بجمالها المغربي الاصيل.

شيء واحد من بين كل هذه الاشياء كان من مستحدثات العصر، ذلك هو (الحاكي) الذي كانت الشوكة فيه تدور على الاسطوانة العريضة الثقيلة، فينبعث من الجوق غناء ساذج، رتيب النغمة قويها، تؤديه مجموعة من النساء الشلحويات بأصواتهن الدافئة، بتناوب مع مجموعة من الرجال، الذين ينشدون بأصوات تحسبها مبحوحة، وبذلك يتألف من الكل نغم أشبه ما يكون بتغاريد البلابل الممزوج بزقزقة العصافير وصفيرها!

بعد كل هذا، لا غرابة ان اقتنى (المسيومالان) عودا مجوفا (سبيسي) في رأسه انبوبة معقوفة من الخزف، يدسها بين والحين في الصرة المليئة بـ (الكيف) المعفين، ويأخذ رشفات من الدخان اللاسع المذاق، الذي يترك من بعد التدخين شعورا لذيذا بالارتخاء والتصورات الجميلة، التي لاحدلها وينطلق اللسان — عندئذ — فصيحا بكل حديث :

— موحا، ارفع بصرك وانظر الي، لا تستحي مني، اني أعدك اكثر من صديق، طالما طلبت منك ان توضح لي رغبتك الاخيرة والعزيزة، هل تريد وساما رفيعا ؟ أم تراك تريد سفرة الى ارضنا فرنسا ؟ أم تريد غير هذا من الطلبات ؟

— لا أريد هذا ولا ذاك، لقد عملت معك باخلاص وحسن نية كل هذه السنين عرفتك بالبيوتات الاطلسية، وعلمتك لهجتي البربرية، وحكيت لك أقاصيص البربر وأحاجيهم، وحفظت اغانيهم وأهازيجهم حتى أصبحت عارفا بشؤون البربر ككل بربري قح... وفي المقابل لم تبخل علي بالمساعدات والهدايا، فليس من الضروري — ان تلح علي بقبول أشياء أخرى.. الله يجعل البركة.

— لا، لابد ان تتقدم الي بطلب أنفذه لك.

— ان طلبي... ...

— ماهو ؟

— هو ان تعطيني ورقة لركوب الباخرة...

— لتزور أم الاوطان فرنسا ؟ فعلا أنا مستعد.

— ليس من أجل ذلك، بل لازور قبر الرسول محمد عليه السلام، وأحج بيت الله الحرام... أمنيتي هي ان أصبح حاجا.

ارتج على المسيو (مالان)، فسكت، وعلاه شحوب المرضى ؛ ولم يجد ما يجيب به صاحبه البي موحا)... فلو طلب منه احدى ممتلكاته العقارية لما استكثر ذلك، ولو طلب اليه ان يزوجه بابنته الحسناء لما تعجب من ذلك ايضا، اما ان يطلب اليه ان يساعده على السفر الى أرض الحجاز، لزيارة قبر النبي العربي محمد فدون مفاجأة نزول صاعقة !

تفطن موحا الى الرومي لم يستحسن هذا الطلب، ومع ذلك بقي متحديا، ينتظر منه الجواب، ولم يظهر أي استعداد لتغيير الموضوع امعانا في التحدي؛

وهناك — كرد للفعل — قال المسيو مالان :
— الحقيقة ان التسهيلات التي بين يدي لا تسمح الا ببعض الهدايا، أو بسفرة الى بلادي ان كنت تريد ذلك. ان السفر الى الديار الفرنسية شيء رائع في هذا الشهر من السنة، فشهر مايو سيد الشهور ببلادنا !
— لا أريد الذهاب الا الى الديار الاسلامية المقدسة، أريد التطهر من ذنوبي. ان عدة أقارب ومعارف من القبيلة حجوا من قبل، ورجعوا مبتهجين بما أنعم الله عليهم من المغفرة والرضوان... اظن انه ليس في بلادكم أماكن مقدسة عندنا نحن المسلمين.

— استاء المسيو مالان وهو الخبير بنفسيات البربر، والمستشار المصدق لدى المقيم العام الفرنسي فيما يتعلق بشؤون المغاربة سكان الاطلس والمناطق المجاورة له... استاء، وقلب شفتيه يأسا من اقناع هذا المتعصب، وصمت قليلا مفكرا، ثم هز كتفيه متخدلا تجاه هذا الفشل، الذي نزل على رأسه فضعضع كيانه، غير انه لم يتخل عن عادته في التفكير، وفي تقليب الرأي في زوايا ذهنه الوقاد، مستنيرا باشعاعات خبرته الطويلة بالنفسيات، وتقلبات العقل البشري، مرسلا نظرات ثاقبة، محاولا

بها ان ينفذ الى الاعماق، يفعل عـداء، وهو يتفحص الوجه الشاحب، الغائر الحنكين الخفيف الشعر، متوقعا مفاجأة أخرى، كأن يقول موحا مثلا .

– لا تصدق، ان ما قلت ليس صحيحا، لم أكـن الا مازحـا.

لكن الرجل المتصلب كان يعنى ما يقول ويقصد ما طلب !

ان هذا العجيب، لقد قال له هذا الرجل – يوما – اقوالا جميلة تشرح الصدر، عن بنى قومه سكـان الجبال ، الذين يرغبون فى الانفراد باطلسهم وبما حوله، ساكنين خيامهم الوبرية السوداء يكثرون من أكل الكسكس، ومن شرب الشاى، ويطربون الافئدة بدقات الدفوف وزعقات الكمنجة ويروضون الاجسام بالرقص المتناسق النظيف، الذى تنسجم فيه ضربات الاكف مع خطوات الاقدام وتطاول الاكتاف النسوية النحيلة أكتاف الرجال العاتية فلا تلحقها، فى استسلام غريزى لذيذ... وهم بكل هذا لا يستبدلون القصور بقبابها وأقواسها ورياضها ونافوراتها والحياة الباذخة فيها، اذ لا قيمة لذلك امام روعة الطبيعة الجميلة، وعلوها هامات أشجار الصنوبر والسنديان والارز، وأمام جريان المياه الرقراقة فى سواقيها، بين الخمائل التى تحف بها الزهور البرية العطرية الفواحة، وقال – يومئذ – فى جملة ما قال :

– ان قومى البسطاء الطيبين يرغبون فى ان يعيشوا، ضمن جماعاتهم، ووفق اعرافهم القديمة، الخالية من التعقيدات والتفريعات الفقهية...

لما قال ذلك، صادف هوى فى نفس المسيو (مالان)... واليوم تأتى المفاة ، بعد ان تحمس المسيـو (مالان) لفكرة فصل سكان الجبال عن سكان السهول ، ودعا اليها وحرص عليها، وجمع حولهـا الآراء المختلقـة. فنجح من حيث لم يبق الا معارضون من الفرنسيين قليلون ، فى مقدمتهم المعارض الصامد المسيو (ف)، الذى قال للمسؤولين واثقا :

– تعمقوا تفكيرا فى الامر، انه دين واحد، انه وطن واحد ، وانه لعرش واحد ؛ وكل هذه المقدسات هى مقومات هذه الامة. ان تحقيق هذه الفكرة سيكـون بمثابة شرارة، شرارة ستوقد النار من حولنا فيضع كل شئ؛ وسيكون شرارة مباركة بالنسبة للمغاربة فتنير امامهم الطريق. انهم كادوا ان يفشلوا بعد تهدئـة مقاومة الاطلس، وبعد القضاء على ثورة ابن عبد الكريم الريفى، والآن نرمى الى ان نعطيهم مبررا امام بنى قومهم، ليجددوا مقاومتهم لنا، وينظموا صفوفهم وننسى أن الوحدة الدينية، والوحدة الوطنية عندهم فى مكان التقديس الاسمى ... ان العنصرين اللذيـن نسعـى للايقاع بينهما احيانا سطحى، كاختلاف سكان درب او درب آخر، وسكان قرية وقرية مجاورة، والا فالعرش المغربى تداولته ثلاث دول من هذا العنصر . وثلاث دول من العنصر الآخر ، ومن الجانبين يوجد علماء وادباء وفنانون ... وأولى من هذا ، انه اذ جد الجد، وتعرض الوطن لغزو أو محنه، وجدتهم عندئذ جحافل وراء جحافل على اتم استعداد ... ثقوا اننى ضد مشروعكم الخطير ، ولا يسمح لى ضميرى الفرنسـى بالمشاركة فى هذه المغامرة ». وسمح للمسيو (ف) بمغادرة المغرب عندما بقى متمسكا برأيه.

كل هذا مر – فى لحظات – بخاطـر المسيو (مالان) وهو ينتظر الكلمة الاخيرة من (السى موحا) وعندما لمس منه تصميما على ما يريد، قـام حانقـا مرتعد الاطراف، وأفهم ضيفه انه انهى المقابلة. وبدوره قام (موحا) وفى نفسه نار الغضب مشتعلة، نقمة على هذا الرومى الذى قضى منه بغيابه، ثم هاهو يرمى به كما ترمى القشور... تيقن ان العشرة طيلة هذه السنين كانت مصطنعة، وغير نابعة من القلب.

ومن تلك اللحظة، أخذ (موحا) يستعد للحج، وتلقى منه الاقارب والاصحاب هذه الرغبة بفرح عارم، وعبروا عن ابتهاجهم بالزغاريد والاهازيج، وتغطت ساحة المهرجان بسحائب الغبار، أثارتهـا حوافـر الخيول المتسابقة، وقطعت سكونها طلقات البارود الراعدة.

وأحب مسيو (مالان) – وقد انقطعت عنه أخبار السى موحا – أن يتتبع الاحوال عن كثب، يوم خروج الباخرة من مرسى الدار البيضاء، وهناك رأى راى العين كل حاج يأتى، وسط أفراد عائلتـه نظيفـا نورانيا مهيبا جليلا، كأنه أحد الملائكة الاطهار، وشاهد على الخصوص (السى موحا) فى حالة لم يعهد فيها : نور على نور، ابتسامة مشرقة، ووجه زال عنه شحوبه، وسرى فيه الدم، فاحمر وانطلق مستبشرا... كانت الايدى تتخطفه تبركا، ايدى المعارف وأيدى الغرباء، وهو لا يستنكف عن تبادل العناق مع كل واحد، ومع كل من طلب منه صالح الدعاء .

الله اكبر ... كانت مفتاح مسيرة الفتح والعبور

ابناء الاقليم الصحراوى يرفعون الرايات والاعلام

لم يعجبه هذا كله، فشعر بالغيظ الملتهب، وأطلق زفرة حرى، اتبعها بعبارة سب مقذعة وتخفيفا على نفسه من هذه المناظر التي تؤذيه عمد الى النظارتين السوداوين فغطى بهما عينيه، وقامت في نفسه أمنية هي ان تفقد شركة (باكي) هذه الباخرة، ولا يصل (موحا) ورفاقه الكثيرون الى تحقيق المراد.

لكن (موحا) مضى في رحلته البحرية ؛ وهي عبارة عن عالم مستقل عن عالم الناس المليء بالهموم والمشاكل والمشاغل... فليس بين سكان الباخرة الراحلين سوى المودة والصفاء والتساند والوفاء العميق، ومع ذلك الكثير مما يملاء الفؤاد ويشرحه : من مجالس علم، وحلقات ذكر ومواعظ صلوات، وخلوات ابتهال، سواء في جوف الليل الدامس، أو تحت نور الشمس الساطع الى ان وصل الركب .

وهناك في الديار المقدسة، رغم الحر الشديد واللفحات المحرقة، انطلق (السي موحا) يؤدي الاركان والواجبات، ويحرص على استيفاء السنن والمستحبات، سائلا أهل الذكر عما لا يعلم ملازما أهل الفضل هناك وما أكثرهم.

وفي وسط هذا الخضم البشرى العظيم، قامت الخواطر في نفس الحاج موحا ؛ وهو يرى هذا العجب العجاب: أمم من السودان والفرس والصين، ومن بلاد الترك والهند والسينغال وأفواج من بلاد أخرى لا يعرفها. اجناس بيضاء وسوداء وصفراء.. ولغات ولهجات ليس لها حصر، انما الألسن كلها تحسن النطق بقول (الله اكبر ولا الاه الا الله ؛ محمد رسول الله) وتتجه كلها نحو صعيد واحد، وتطوف كلها حول بيت واحد.. الكل متحد، الكل مومن، الكل أمام الرب سواء، لا ينظر الى صورهم، ولا الى ألوانهم، ولكن الى مافي قلوبهم... كل هذا فتح عين الحاج موحا على حقائق كانت غائبة عنه. وهنا أخذت الذكريات تحز في نفسه وبدأ عقله الفطري يعقد مقارنة :

«كل هؤلاء الناس اتحدوا، رغم اختلاف بلدانهم وسلاطينهم وأحوال معايشهم، سبحان الله ! كيف لا نتحد نحن أبناء البلد الواحد، الذي لا توجد بين مناطقه فواصل ولا حواجز ــ كيف لا نتحد ؟ وديننا، ومذهبنا واحد، وعرشنا واحد، وجنسيتنا واحدة، لا نعرف الا بها حيثما كنا ؟ أتراني كنت غلطان الى هذا الحد ؟ ...» وتمنى لو تطوى الايام، ليعود الى أرض الوطن فيتقلق عن آرائه السابقة، ويعلن عن توبته منها

لكن الاخبار جاءت مع الافواج الاخيرة من الحجاج قلقة للخاطر، مثيرة للشجون... لقد قامت المظاهرات، واعتصم الناس بالمساجد ؛ وامعنوا في الدعاء الى الله أن يرفع البلاء عن العباد.

حاول الحاج موحا ان يتقرب من بني قومه، ويسالهم عن الاحوال، ولكنه خاف أن يقال له : «ان المرسوم الخاص بالتفريق بين العرب والبربر قد صدر ؛ وان صدوره كان السبب في قيام المظاهرات ببعض المدن الحضرية والقرى الاطلسية، وكان السبب في حبس الناس بالسجون وتعذيبهم في المعتقلات خاف أن يكون الامر كما توهم، فيحس عندئذ احساسا خطيرا بالذنب العظيم، ومن أجل ذلك توارى وتخفى، وتجاهل من يعرفهم، غير أن أحدهم وهو من سكان قبيلة مجاورة لقبيلته، وعارف بعلاقته مع (المسيو مالان) ؛ وعارف بمشروع هذا الروسي الخبيث ... جاءه واخذ يؤنبه بحرارة المومن فكاد يبكيه :

«الا تخاف الله يا موحا، لقد كنت السبب في دفع ذلك الكافر الى الاضرار بوطنك، وببني قومك، وتسببت في نكبة عدد من العائلات. أنت هنا تحج سعيدا مسرورا، وهناك في الوطن العزيز ــ اناس ينزل بهم البلاء في السجون والمعتقلات، ان لم يكونوا ذهبوا ضحية القتل والسفك لعلك تعرف ان قانون التفريق بين العرب والبربر قد صدر، غير أنك لم تكن تظن ــ ولاشك ــ ان المسألة ستصل الى حد المساس بالدين الاسلامي، هاهم الآن يفصلون بيننا في المحاكم، وغدا يفرقون بيننا في الدين، هل هذا معقول ؟ المغاربة كلهم متمسكون بدينهم، كانوا مسلمين، وسيبقون مسلمين رغم أنف الاعداء كلهم، ومهما كانت قوتهم، فبارك الله في الرجال بالحواضر والبوادي الذين قاوموا هذا المشروع الشيطاني، كل عاقل محب لوطنه، الا ونهض يقاوم هذا المنكر الفظيع . ان دموع المفجوعين في آبائهم وابنائهم في طوقك . . تب الى الله، تب الى الله، في جوار بيته ؛ فلربما يتوب عليك، ان معصيتك كبرى ياموحا.. تأمل.

ــ ما اسمي انا بالذات ؟

ــ مولاي الماحي اوعزا..

ــ مولاي ،كلمة لا يحملها الا الاشراف من نسل النبي محمد عليه السلام، فها انت ترى انني عربي في الاصل، ولكن لا اعرف ان لي اهلا او اقارب بين

العرب سكان الحواضر، ولا اشك ان بين اهل الحواضر اطلسيين اقحاحا يعيشون في ظلال الحاضرة ووفق اساليب معيشتها ولا يعرفون شيئا عن اصولهم الاولى. فهمتني يا موحا ولا شك. هداك الله. ارفع كفك، وادع الله ان يشتت شمل الروميين. كما ارادوا ان يشتتوا شملنا.

– آمين يا مولاي الماحي ، آمين.

وسالت الدموع غزيرة من عيني الحاج موحا ، واستجابت لهما عينا مولاي الماحي. وعندئذ اخذ كل منهما برقبة الآخر معانقا بحرارة.

دموع المسيو (مالان) كانت ايضا تنسكب في كاتدرائية مدينة الرباط. لقد كان جاثيا امام الاسقف يتوسل ان يتوسط لدى المسؤولين في الاقامة العامة الفرنسية ، وان لم يكن فلدى المسؤولين في باريز ليبقوا عليه ساكنا في المغرب، ولو في غير المنصب الذي يعمل فيه، ورغم الحاح (المسيو مالان) فقد تمسك الراهب بطبيعته الرهبانية التي لا تعطي شيئا ولا تدفع الى اليأس في نفس الوقت، ولم يقتنع حتى بما قال الزائر الحيران من انه كان يخدم الملة النصرانية ، بتنظيم وتنسيق وتقنين حركة فصل العرب عن البربر. ان الراهب يعرف ان للكنيسة حدودا يجب ان تلتزم بها ، تجنبا لتداخل السلطات والا جاء غدا موظف مدني او عسكري وألزم الكنيسة بالمغرب باتخاذ موقف تتضايق منه.

لمس المسيو (مالان) علامات الحياد المؤلم في وجه الاسقف فخرج، وقلبه يغلي كالمرجل من شدة الغيظ، وهناك في الساحة العامرة بالحركة والنشاط والتي يسطع في جنباتها نور وضاح، تغذيه شمس مايو الساطعة الدافئة ، وتلطفه بين الحين والحين هبات نسيم رقيق، من نوع ذلك النسيم الذي تعرف به مدن الشاطىء الاطلسي، خصوصا مدينة الرباط ، العاصمة الفيحاء ، خطرت له فكرة ، ود معها لو يذهب الى مكتب المقيم العام ، الحاكم الفرنسي المطلق اليد (المسيو لوسيان سان) ويثير معه ما في صدره من الشؤون والشجون ، ويراجعان معا نفسيهما، في الخطط التي كانا يرسمانها، ويبنيان معها القصور فوق الرمال.. لكن المسيو (لوسيان سان) نفسه يوجد في مأزق ، وينتظر اوامر نقله من المغرب ، من جراء فشل سياسته البربرية بالمغرب، وما عزل المساعدين الا تمهيدا لعزل الرئيس بالذات

وجد نفسه في شارع (دار المخزن)، وتحت باب مقهى السفراء بالذات ؛ دخلها وانزوى في ركن متخذا كرسيا مريحا في الجملة، مصنوع من اعواد الخيزران ومد يده الى جيبه فاصطدمت بكناش (جواز السفر) الذي طلب منه ان يجدده ليكون على اهبة السفر في كل وقت. تجنب لمس الكناش ، وقبض على الغليون وهياه بشيء من الاضطراب، وأخذ يخطط للايام المقبلة :

«الفيلا سأرجعها الى مالكها ، والاثاث الاوربي سأحمله معي ، اما المقتنيات المغربية الملعونة فلابد من احراقها بأسرها ، شيء يحز في النفس هو انني لن التقي بالخبيثة (يزة) والملعون (موحا) ، فلو التقيت بهما لاشفيت ما بنفسي من حقد عليهما، بعد ان خدعاني ، وضرباني من الخلف ، لن استطيع قتلهما ، ولكني استطيع اتهامهما بالسرقة وأودعهما السجن ، بمساعدة احد الاصدقاء.

والتفت يتطلع من خلال الزجاج الملمع ، فرأى صاحب الحانة يقف متعاليا ، متدلي البطن ، منتفخ الصدر ، احمر الوجه ، لكانه حاكم واسع السلطة ، يضاحك هذا ، ويهتف باسم ذاك ، وينحني على اذن الجالسة امامه ويسر اليها كلمات غزل، لا شك انها سخيفة رديئة ناقصة ادب .. وهمس لنفسه :

– المثل هذا الدنيء كنت اجهد نفسي وأنفق مالي ؟ هاهو هانيء البال ، مطمئن النفس ، مستقر اما انا فمطالب بالخروج من البلاد.. يا لي من شقي.

الربـــاط : محمد بن أحمد اشماعو

الملك الصالح في المدينة الصالحة

للأستاذ عبد السلام الحضري

جاء في احدى وصايا الملك الراحل محمد الخامس قدس الله روحه لولده جلالة الحسن الثاني نصره الله وهو يومئذ ولي العهد «يا بني» «تذكر ان جدك الحسن الاول كان عرشه على ظهر فرسه، لكثرة تنقله في البلاد، ومشيه في مناكبها، متفقدا للرعية، سامعا للشكاة، مستأصلا لجرائم البغى والفساد».

وهو كذلك، فمن تلك التنقلات التى قام بها اثناء حياته مابين عامى 1247 ـ 1311 هـ. الرحلة الخامسة عشرة في مجموع تسع عشرة رحلة تفقدية زار اثناءها مختلف نواحى المغرب، حتى قضى نحبه رحمه الله في اخراها بناحية تادلة عام 1319هـ. بدار ولد الزيدوح.

خرج من مدينة فاس يوم الاثنين 17 شوال عام 1306 قاصدا بلاد الحياينة بصنهاجة، فبنى زروال، فبنى مستارة، وبهذه القبيلة اقام (سنة عيد الاضحى)

ثم قصد قبيلة بنى احمد، فاغزاوة، فالاخماس، فباب تازة، فمدينة شفشاون، فبنى حسان، فضريح الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، فبنى حزمار فتطوان، دخلها يوم الاربعاء فاتح محرم عام 1307 واقام بها نحو خمسة عشر يوما، قابل فيها اهلها وتفقد احوالها.

ثم قصد طنجة وتلقاه بها الاسطول البحرى الانجليزى الذى قدم من جبل طارق لتحيته واظهار عواطف بريطانيا نحوه، ثم قصد اصيلا، بالقصر الكبير، فالعرائش، ثم قصد مكناس، وفاس، فدخلها في ربيع الاول عام 1307 بقصد التوجه الى مدينة مراكش.

عمله في هذه الرحلة، وفي كل رحلة قبلها

اظهار قوة الدولة ـ القضاء على الثوار ـ اطفاء نار الفتن ، البحث عن المظلومين ، تفقد احوال الرعية ، تنظيم شؤون الدفاع عن المغرب ، ترميم الحصون والقلاع ، انشاء بعض المراسى ، تولية الولاة والعمال ، البحث عن المعادن ، اظهار نفوذه في الدولة للخصوم والاجانب ، نشر التوعية بين الناس .. الـخ

وقبل ان يصل الملك الى مدينة شفشاون ، وجه عددا كبيرا من الجيش ليختبر الحالة في البلاد ويمهد السبيل للدخول اليها. فوجد اهل البلد في فرح وسرور ، ينتظرون قدوم سيد البلاد بفارغ الصبر، للتملى بطلعته والاستمداد من بركته وهيبته وعندما وصل الى الوادى الكبير، المعروف «بوادى سيف لو» خرج لملاقاته عدد كبير من الناس، فيهم العلماء والاعيان والاشراف، وفي مقدمتهم الولى الصالح المشهور، مولاى على شقور العلمى، ورجعوا معه الى المدينة. ومولاى على شقور هذا كثيرا ما كان يرسل اليه الملك من فاس.

فلما وصل فرسه الى ضريح «سيدى المحجوب البقال» اسفل مصلى العيدين وقف على قائمتيه الاخيرتين ، وهو يرغى ويزبد، ويصهل ويتحنحح،

ويحول رأسه ذات اليمين وذات الشمال، كأنه يود الرجوع به عن ذلك المكان ، فنادى الملك مولى الحسن صديقه السيد على شقور الذى خرج لملاقاته وقال له : مولاي علي ما هذا ؟ فاجابه هذا الاخير .. ادخلوها بسلام آمنين ان شاء الله.. فحينئذ ترجل الملك وسط الجماهير الى ان وصل تجاه ضريح مولاى على بن راشد مؤسس المدينة وبانيها بعد ابن عمه ابى جمعة ، وخلع نعليه، وتبعه الناس فى ذلك، وقال : هذا ضريح مجاهد كبير ، وولى شهير، ينبغى ان يحترم. وفعلا فقد تولى شؤون الدفاع عن المغرب زمن احتلال البرتغال لشواطىء المغربية اثناء القرن الخامس عشر للميلاد.

وبعد ما زار الضريح ، واجتمع بالعلماء والاعيان والاشراف فيه، سألهم عن احوالهم ومعيشتهم، وأمرهم بالتمسك بالدين والوحدة، ونشر العلم ، والاخذ باطراف الحضارة العصرية.

ثم خرج وامتطى جواده ، واراد الدخول الى المدينة من باب العين الذى هناك، فابى جواده من ذلك، وامتنع كما فعل قبل. واذا برجل مجذوب كان حاضرا ـ وقتئذ ـ امسك بعنان الفرس ، وقال له : تقدم على بركة الله فدخل وانقاد. ثم بحثوا عن المجذوب الذى انقاد له الفرس الجموح، فلم يعثروا له على أثر ، وكأنه كان مكلفا بهذه المهمة فقط.

ثم قصد الملك وطاء الحمام فى جمهور عظيم ؛ قيل انه لم يشاهد مثله حتى عندما دخل الفاتحون الاسبان اليها عام 1339هـ ـ 1920م فتوجه الى القصبة التى شيدها ابن راشد ما بين عامى 876 ـ 917 هـ، وزار داره التى كان يسكنها باهله ، وهى لا زالت قائمة الى الآن.

ودعاه مولاى على شقور الى بيته، فقدم له هدية متواضعة ؛ من ضمنها فاكهة الخروب . فصار الناس يؤولون ذلك بما سيصيب البلاد من بعد.

ثم توجه الى راس الماء ، وعندما خرج من باب العنصر وقف فرسه مرة اخرى، فقال الملك : «ان بهذه المدينة سكانا من الاولياء والصالحين لايريدون الشهرة ولا الظهور ؛ وانما يريدون الانزواء والخمول، ولله فى خلقه شؤون» ثم عقد العزم على مغادرة البلاد حينا. بعد ان ترجل مرة اخرى، ووصل الى منبع الماء وتناول منه شيئا ، وأثنى على عذوبته وبرودته. ووقف بمكان هناك صار يدعى بعد : «بروضة مولاى الحسن».

وهذا المكان لا زال قائما مشهورا اذ بنى عليه بيت صغير، ونصبت به رخامة بيضاء، كتب عليها تاريخ حلوله بشفشاون وهو عام 307هـ ـ 1889م. وكان هذا الموضع مقصودا للزيارة والتبرك به منذ ذلك العهد. وهو المكان الذى وقف به ايضا فقيد العروبة والاسلام : محمد الخامس قدس الله روحه وكذلك ولده جلالة الحسن الثاني نصره الله وايده ، بعدما احرز المغرب على استقلاله، وذلك عام 1377هـ 1957م، وعام 1379هـ ـ 1959م بما قدما لزيارة شفشاون وتفقد احوالها وتنظيمها. وكذلك سنة 1962م.

وهكذا بقيت هذه المدينة منذ اسست مأوى العلم والصلاح والفضيلة . قال شاعرها الخيرانى فى قصيدته المشهورة :

بناها على التقوى على بن راشد
بتاريخ « وعظ » بين شم الشواهق

واشار بوعظ الى تاريخ تاسيسها وهو عام 876هـ.

شفشاون — **عبد السلام الحضرى**

مرحبا بعيد العرش

للأستاذ عبد الفتاح إمام

اقتضت حكمة الله تعالى ـ ان يمتاز بعض الأزمنة بميزات تخلدها دائما ، فكلما دار الفلك دورته ـ وظلت تلك الأزمنة الممتازة قام الناس يتوجونها بأفراحهم ، ويستقبلونها بابتهاجاتهم ، ويهيئون لأنفسهم وذويهم ما استطاعوا من مظاهر السرور ...

وجرت عادة الأمم والشعوب أن تجعل من بعض أيامها اعيادا ومواسم ، تستعيد فيها ذكريات امجادها ، وتحتفل بملوكها ، والنابهين من ابنائها ، تشيد بمآثرهم في خدمة أوطانهم ، وما حققوه لأممهم من عظائم ـ اضاءت لهم السبل الى المجد والعزة والسعادة ، واشرقت الأيام بما أحدثوه من بطولات ستظل وضاءة ، ولا تزيدها الأيام الا جدة واشراقا ....

وهذه البطولات التي قام بها الملوك او النابهون من أفراد الأمة خلقت آثارا ـ تتصل بحياة الأمة ورفاهيتها ، وهي سنة طبيعية للشعب الذي يعرف تاريخه ، وتدرجه في سبيل الرقي والتقدم ، ثم يحرص على بقائه ، وبقاء المثل العليا التي هي عنوان رقي الشعوب وحضارتها ....

والأعياد معالم للأمم ، ومنارات لأيامها ، وعلامات على طريقها ، وليست أيام زينة ولهو ، ولكنها تجديد للأمجاد ، وتذكرة للبطولات ، وصفحة جديدة مشرقة في تاريخ الأمم ....

وقدر الله سبحانه أن يكون عيد العرش في مستهل عيد الربيع ، فكأنما راد الله تعالى للأرض ، أن تتزين لاستقبال هذا العيد ، فتتجلى فيها مظاهر البهجة ، وآيات البشر والسرور ، وتنكشف السحب، وتتبدد الغيوم ، فهو يوم ابتسمت فيه الآمال ، واشرقت في سمائه الأماني ، فصفقت له القلوب فرحا وطربا ، وامتلأت الصدور سرورا وبشرا ....

وفي شهر مارس من كل عام يحتفل الشعب المغربي بعيد العرش ، وهو اليوم الذي تربع فيه مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره ـ على عرش أجداده الميامين ... وكأنما كان الربيع مع هذا العيد على ميعاد ، حيث يتلاقى جمال الكون مع عيد العرش السعيد ....

نعم : اشرق هذا العيد على الشعب المغربي بالسعادة ففي كل قلب فرحة ، وعلى كل ثغر بسمة ، وقد لبست المدن المغربية أبهى حللها ، وتحلت بأبهج مظاهرها من الزينة ، حتى ظهرت كل مدينة ـ كتحفة فنية أبدعتها يد رسام ...

في هذا اليوم السعيد تموج المدن بوفود الشعب تفد زمرا وجماعات من كل فج ، يغمرهم الفرح ، ويطفح على وجوههم البشر والحبور ، يهنيء بعضهم بعضا بهذا العيد الميمون ...

وقد يتفضل جلالة الملك حفظه الله ـ فيتحف شعبه الكريم بنصائحه القيمة ، ويقف الناس جماعات جماعات عند كل مذياع ليستمعوا الى الخطاب الملكي الكريم ـ بقلوب واعية ، وآذان مصغية ، فاذا دقت ساعة الالقاء هرعوا ـ وكانما على رؤوسهم الطير ....
وحق للشعب ان يملأ الدنيا سرورا وابتهاجا ، فان جلالة الملك حفظه الله قد اعطته الأماني انطباعها وانقيادها ، واهدت الدنيا لعصره مواسمها واعيادها ،، لقد خلق في هذا الشعب روحا فياضة ايقظت الهمم ، والهمت الشعور ، فوثبت الامة المغربية ، وثبة تقدمية ، كان من آثارها ـ ان انشئت المصانع ، واسست المعامل ، وشملت النهضة مرافق الحياة في كل اقليم ، فانتعشت الصناعة ، وازدهرت الفلاحة ، وعم الرخاء ، وتحركت الايدي المتعطلة ، واثمرت هذه الجهود خيرا وفيرا ، وعيشا هنيئا ....

وهكذا تبنى الحضارات ، وتقام المنشآت ، وبهذه الوسائل ترقى الدولة ، وتطيب الحياة ، ويعمها الخير من كل جانب ، وتتبوأ بين الأمم مكانا عليا ....

ولقد توجت تلك النهضات الحميدة ، والأعمال المجيدة ، في العام المنصرم ، بالمسيرة الخضراء ، التي كانت رحلة ميمونة غراء ، وصفحة مشرقة جديدة بيضاء ـ في تاريخ المغرب ، كتبها القائد الأكبر ، والملك المظفر ، مولانا امير المؤمنين ، ايده الله بالعز والتمكين ، تجديدا للأمجاد ، واحياء لبطولة الأجداد ، فكانت زحفا مقدسا لتمكين الأخوة ، وتوفيق عرى المحبة ، وليلتئم الصدع ، ويجتمع الشمل ....

لقد لبى الشعب نداء جلالة الملك ، وتدفقت الوفود من اقصى الشمال واعلى الجنوب ، تعبر عن شعور وولاء ، واخلاص ووفاء وهم يحملون في صدورهم رسائل الشوق والحنين ، الى اخوانهم الصحراويين ، وأيدي السعد قد ذللت لهم الطرق ـ بل طوتها وحققت وعود الآمال ـ بل انجزتها ....

وكان شعارهم : لبيك يا امير المؤمنين ـ نحن لها ـ انها ارضنا ، وفيها اخواننا ، وانا لأبناء الأبطال الفاتحين ، واحفاد الأشبال المجاهدين ، وسندخل الصحراء ـ ان شاء الله آمنين مستبشرين ....

ولقد شاركت الدول عربية واجنبية في هذه المسيرة التي تعتبر آية من آيات الله في هذا العصر ـ التي تعتمد فيه الدول على الأسلحة الفتاكة في حل مشاكلها ....

حقا انها بطولة لفتت انظار المشرقيين والمغربيين ، واصبحت معجزة الدهر ، مفخرة يتناقلها الناس جيلا بعد جيل ، فهي قصة للناشئين ، ودرس للرؤساء ، والقادة ، والسياسيين ....

لقد اولى جلالة الملك الموفق ـ من النظر الثاقب ، والفكر الصائب ، ما جعله ينظر الى الأمور بعين الاهتمام ، فقد اخذ من الماضي عبره للحاضر ، وسلك طريق الراشدين ، فشارك الشعب في مهام شئونه ، حتى اصبح من الشعب بمثابة القلب من الجسد ، والروح من البدن ، وصاروا يعيشون في ظل ملكه سعداء آمنين ، يرون الفلاح في طاعته ، والفوز في الانضواء تحت لوائه ، والسير على سننه وهديه ، واذا كان الربان ماهرا سلك بالسفينة طرق النجاة ، وجنبها التعثر والانزلاق ....

واينما حللت تجد نهضة وثابة ، وحركة خلاقة ، وذلك بفضل القيادة الحكيمة ، والتوجيهات الملكية الرشيدة ، وانك لترى الناس يلهجون بالثناء المستطاب على جلالته ، حيث آتت توجيهاته القيمة ثمارها ، وانتجت آراؤه السديدة آثارها ، وشملت النهضة شئون المملكة ، ودب النشاط ، وانتعشت الحياة ، واقبل الناس على الانتاج كل في حقله ، بصدور ملؤها البشر ، والأمل بمستقبل كله سعادة وازدهار ...

ولقد اكرم الله تعالى الشعب المغربي ، فجعل ملوكه من ذرية آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختارهم من نسل سيدنا ومولانا الامام الحسن السبط ـ ابن البطل الوصي سيدنا علي كرم الله وجهه ـ وابن السيدة فاطمة الزهراء البتول عليها سلام الله وبركاته ـ وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام على المنبر : ما بال أقوام يقولون ـ ان رحم رسول الله لا تنفع ، يوم القيامة ـ بل ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ...

وروى احمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من احبني واحب هذين ـ الحسن والحسين ـ واباهما وامهما كان معي في درجتي في الجنة ، قال الله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ...

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

علـى حـــدود الصحـــراء ...

جلسة عمل في مدينة العيون تحت ادارة الاستاذ ادريس البصري كاتب الدولة في الداخلية
والسيد خط... رئيس الجماعة

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن انزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وروى الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال فيهما : اللهم انى احبهما فاحبهما وابغض من ابغضهما ....

ومن هذا يتعين على كل مسلم ان يحب ذرية آل البيت ، فانهم بضعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم المطهرون في الدنيا والآخرة ، حيث اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ، قال تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، ويؤخذ من هذه الأحاديث وجوب محبة اهل البيت ، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ ، قال الامام الشافعي رضى الله عنه

هم القوم من اصفافهم الود مخلصا
تمسك في اخراه بالسبب الأقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقبا
محاسنهم تحكى وآياتهم تروى

موالاتهم فرض وحبهم هدى
وطاعتهم ود ــ وودهم تقوى

فمرحى مرحى بعيد العرش العلوى الذى نحتفل به من قلوبنا ، ونحيي الجالس على عرش آبائه المطهرين ، ونفتديه بارواحنا ، فقد سهر لاسعادنا ، وعمل على رقينا ونهوضنا ، ويطيب له أن يقتحم الصعاب ، مطمئن البال باسما ، ويستعذب كل شيء في سبيل اسعاد شعبه ، ويجد في ذلك روحا وريحانا ...

ومن خطب العلياء لم يغلها مهر ، وان ركب في سبيلها الأخطاء ، وبلغ به الشطط مبلغه ....

ومن تأصلت فيه الهمة ، لا يقف عند مجد موروث عن الآباء والجدود ، حتى يبنى امجادا ومفاخر فوق ما بنى السابقون :

لسنا وان احسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

حيا الله مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ، لقد نهض بنا نهوضا طالت به اعناقنا ، وارتفعت رؤوسنا ، وعلت اقدارنا ، وتسابقنا الى العلاء مع الدول السامية ...

ولا عجب : فان هذا الشبل من ذلك الأسد؛ اذا هو غرس والده البطل العظيم ، الذي ملأ صيته البوادي والحواضر ، وسارت امجاده وافضاله سير الكواكب ، وخلد له التاريخ من صفحات المجد والبطولة ما يعي به الحصر والعد ....

وان الشعب المغربى لا ينسى تلك الوثبات التقدمية ، والتضحيات الغالية ــ التى حمل أعباءها بطل الجهاد ، ومحرر البلاد من الاستعباد ، مولانا جلالة الملك محمد الخامس أسكنه الله فسيح جنته ، وجزاه خير ما يجازى به المجاهدين والمصلحين ....

وان احتفال الشعب بعيد العرش لتعبير صادق عن احساساته ، وشعوره بعظمة مليكه المفدى ، فهو يجدد الثقة بمليكه فرحا مستبشرا بهذا العيد المجيد ولسان حاله ينشد ويردد :

ايا راكبا نحو الرباط معرجا
يقصر به العليا والوية خضر

تحمل الى ذاك الرحاب تحية
يتوجها الاخلاص والحمد والشكر

اطال الله تعالى عمر مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى فى عز وسؤدد ، ورضوان من الله ورسوله ، وجعل ايامه اعيادا ، وحفظه ذخرا لشعبه الوفى الكريم ، وحصنا للاسلام والمسلمين ، واقر عينه بولى عهده الأمير المحبوب سيدى محمد ، وشقيقه الأمير السعيد ، مولاى رشيد ، وافراد الأسرة الملكية الشريفة ....

كما نسأله سبحانه وتعالى ان يوفق وزراءه وأعوانه الى الخير الشامل العميم ، ورحم الله تعالى جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنة منقبله ومثواه ، آمين والحمد لله رب العالمين .

الرباط : عبد الفتاح امام



قل للمليك الأشهب　　عظمت شأن المغرب
وحملت نفسا حرة　　وسحقت كيد الأجنبي
في يوم عيد اليعربي

* * *

الشعب يهدي روحه　　والحر يحمي أرضه
والشرق يرفع رأسه　　في يوم نصر المغرب

* * *

الحق نادى أهله　　والمجد يبني صرحه
والقلب يكشف سره　　حب المليك الأنجب

* * *

عادت ليالي عرسنا　　والأرض تدعو سعدنا
والله يحفظ عرشنا　　عند انتصار الأهيب

* * *

صحراء قد عدت معي　　خابت أماني المدعي
يا أرض هبي واسمعي　　صوت الجليل الأرحب

افنــي حياتــي جاهـــــدا   والعـزم يفـدي الحاقـــدا
والعقـــل يبغــي ساعـــدا   سعيـا لدحـر الغاصـــب

* * *

تحريــر ارضــي عـــزة   اعيــت عــدوا هـــزة
لا تتقـــــي يا حـــرة   سمعـــا لتجـو مطـــرب

* * *

يا قائـــدا متــامحـــا   فيــه تدعـــى مفلحـــا
ولســت تغــدو رابحـــا   نحـو الطريــق الأصـــوب

* * *

ربـح المليــك الطـاهـــرة   للشعــب تمــي طافـــرة
عظمــت بعيــن ساهــــرة   للــه فـــوز الصيهـــب

* * *

دار علاهـــا فارتقـــى   واعطـى فاوهـب واتقــى
فجــر جـديــد اشـــرق   كــان انتصــار الاوهـــب

* * *

الحــر يكفيـــه الـفـــدى   والعــرش قــد اســدى يــدا
لا تسالــن عــن الصـــدى   دنيـــا تفـــي للاطيـــب

* * *

حلــم المليــك الاعـظـــم   ينــدى بقلـــب اجهـــم
والحــب للمتقلـــم   يحيـــا لشعـــب كـــالأب

البيضـــاء : شهاب حنبكلي

لزومية (أقواس) المسيرة

للشاعر غربي محمد

بعشرة ابيات فقط ، سوف اكتفي   وأترك شعري فى المسيره سائرا

انا الصاد ، ما لي عن حرائي (1) تحول   عرفت به ربي ولم ابق حائرا

ثلاث عظات ، (فالعيون) قريرة   بهن ، جرت من دمع بشر بشائرا

سلام ولا حرب ، تحقق وهى لم   تحقق ، وامسى وهي لم تمس ، ثائرا !!

سلام يثور اليوم ، لا الحرب ؛ فاعجبوا !!   يثور ليحيي فى الشعوب الضمائرا

واكمل الاستقلال عشرين حجة   سني الرشد ، او رشد السنين سوائرا

فمن يزن الاخلاق فى كل دولة   يجد حلمنا ، كالبحر ، طم جزائرا !

جزائر فى هوج الرياح مدحتها   فهل من (جزاء) هكذا ، باختفاء (را) ؛

وهل حذف جيم بعدها ، فنسير فى   مساحتنا ، هذا لذلك زائرا

نعود كما كنا صفاء مودة   ونلغي ظرفا شتت الشمل جائرا

شفشاون : غربي محمد

---

(1) بدخول الصاد على حراء تقرأ : صحراء



للشاعر عبد الفتاح إمام

فى ساحتيك اقام المجد والخطر ... وفى ركابك سار النصر والظفر

يا ايها الحسن الميمون طالعه ... ومن به غرر الأيام تفتخر

احييت من سنن الأمجاد ما افتخرت ... به المحافل والاخبار والسير

فمن يدانيك فى فضل وفى شرف ... وقد بلغت مقاما دونه القمر

وللملوك معال طالما انكدرت ... لكن مجدك نجم ليس ينكدر

انت المليك الذى تسعى لسدته ... كل الأمائل فى شوق وتبتدر

وترسل الراى فى الجلى تسدده ... كأنه السهم اذ يرمى به القدر

ان الأناة شعار الحازمين اذا ... حاطوا به الراى فى تدبيرهم ظفروا

* * *

سلوا مسيرة فتح من عزيمته ... لما استعان بنصر الله فانتصروا

مسيرة توج القرآن هامتها ... والله وفق لا حصن ولا وزر

والناس فى فرح والكون فى عجب ... والأرض تزخر لا هول ولا خطر

مسيرة جمعت من كل طائفة ... من الممالك منها البيض والسمر

كأنهم زمر الحج وافدة ... الى المناسك لا وهن ولا خور

من كل مملكة وفد يمثلها ... شم العرانين لا شكوى ولا ضجر

تدفقوا : زمرا فى اثرها زمر ... تحمى جموعهم الآيات والسور

لبوا النداء وساروا فى مسيرتنا ... سير الحجيج غداة النفر اذ نفروا

لله درهم من فتية نجب ... قد حققوا فوق مانرجو وننتظر



أعضاء الحكومة يتقدمون المسيرة ...

والله يعلم صدق المخلصين لـــه … يعز من جاهدوا فيه ومـن نصروا
شكرا وحمدا وتقديـرا لسعيهـــم … شكرا تجدده الآصـال والبكـــر
هذا هو المجد لا مال ولا نشــب … مجد به تعمر الأجيال والعصـــر
وتلك معجـــزة التاريـخ باقيـــة … تفنى الليالي ويبقى ذكرهـا العطر
حلوا بطرفاية واليمـن يسبقهـــم … كأنهـــم سحـب بالمـــاء تنهمر
ولا تسل عن مقام بالعـراء لهـم … تحت الخيام ولا مـــاء ولا شجـر
فذاك امر قــد اهتز الزمان لـــه … فخرا وتاهت به العلياء والخطـــر
قد دبر الملك الموهوب خطتهـــم … واحكم الـراي لا كـد ولا كـدر
هذا المليك الذي فاضت مكارمه … ومد للمجـد باعا مالــه قصـــر
من جده المصطفى فاق الورى حسبا … يوم الفخار اذا ما الناس قد فخروا
نور النبوة بـــاد فـــي شمائله … وللصبـــاح ظهـور ليس يستتر
العلم حليتــه والحـزم عدتـــه … يزينه اثنان : صدق العزم والنظـر
وهو المؤيد فى قول وفى عمـــل … وهو المرجى اذا ما مسنا الخطـــر
آل الرسول وخير الخلق قاطبـــة … طابت اصولهم والفـــرع والثمر
هم انجم الله فى الدنيا اذا طلعوا … وحجة الله فى الأخرى اذا نشروا
هم زينة الناس هم نور الوجود هم … روح الحياة هم ريحانها العطـــر
لا تعجبن : فما بالغت فى كلمى … الدين من بيتهم قدنا لــه البشـــر

* * *

الله يوم ارتحلنا للعيـون ضحـــى … والركب فى فرح يسعى ويبتـــدر
تكاد تهتف بالبشـــرى جوانبهـــا … وبالسلام . يحيي التـرب والمدر
قد حقق العزم والاقدام ما عجزت … عنه الجحافل والهندية البتـــر
نصر من الله لم تركـــن وسائلــه … للطائرات ـ ولا قـوس ولا وتـــر
انا سجدنا سجود الشكر حين بدت … ارض العيون ولاح النصر والظفـر
عادت مـسيرتنـــا باليمـن ظافـرة … كأنهم احرموا بالحـــج واعتمروا
فالحمد لله نال الشعب غايتـــــه … وبات روض الأماني زانه الثمـــر
والحمد لله اضحى الشمل ملتئمـــا … فليشهد الدهر والتاريخ والسيـــر
دام المليك بعون اللـــه منتصـــرا … يحفه النـور والاقبـــال والظفـر
والله يبقي ولي العهـــد مدخـــرا … يزهو بـــه الملك والآمال تزدهر

الرباط : عبد الفتاح امام

فهـرس العدد الســادس

صفحة		
1	الذكـرى المجيـدة	لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ الداى ولد سيدي بابا
5	المغرب المتطور ، في ظلال الوحدة والتحرر تقويم ميداني لسياسة الحسن الثاني	للأستاذ عبد الله كنون
11	تحية للعرش الذي ابتدع المسيرة الخضراء وانتزع الحواجز وفتح أبواب الصحراء	للأستاذ الرحالي الفاروق
19	الحسن الثاني وثقافة الاسلام بين أقطاره	للأستاذ محمد الطنجي
24	شجـرة الحب والحكمـة	للأستاذ عبد العلي الوزاني
33	في عيد العرش العلوي المجيد ، وعلى هدى النبوة	للأستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر
42	نشيـد العـرش	للأستاذ الشاعر عبد اللطيف خالص
48	المسيـرة الخضـراء	للأستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي
53	ملحمـة العشريـن	للأستاذ الشاعر مفدي زكريـاء
57	الشخصيـة المغربيـة الاسلاميـة	للأستاذ حسن السائح
66	سيكلوجيـة المسيرة الخضـراء	للدكتور عبد الله العمراني
74	المدرسة القرآنية بالصحراء المغربية في العصر العلوي	للأستاذ سعيد اعـراب
81	ارتباط الحضارة المغربية بالصحراء	للدكتور ابراهيم حركـات
88	الصحـراء المغربيـة عبر التاريـخ	للأستاذ محمد حجـي
95	على ضـوء المعطيـات المغربيـة والعالميـة : تأملات تحليلية لمضمون وظرفية المسيـرة الخضـراء	للأستاذ المهدي البرجالي
106	اهتمام العرش العلوي المغربي بشؤون القضاء ورجاله	للأستاذ محمد التاودي بنسودة
111	في ظـلال المسيـرة الحسنيـة الخضـراء : ضرورة التحرك داخل مجال ملائم وبوسائل مناسبـة	للأستاذ أبو عدنان عبد القادر البوشيخي
122	قبل المسيرة الخضراء : نجوى الصحـراء	للأستاذ الشاعر المدني الحمـراوي
125	مسيرتنا الى الصحراء خضـرا	للأستاذ الشاعر محمد بن علي العلوي
128	صيحـة الملـك المفـدى	للأستاذ الشاعر محمد الكبير العلـوي
131	تقويم الحركة الوطنية المغربية من عام اعلان الحماية الى عـام المسيـرة الخضراء	للأستاذ محمد العربـي الشـاوش
145	مؤرخـو الشرفـاء	تأليف ليفي بروفنصال ، تعريب : الأستاذ عبد القـادر الخـلادي
156	المسيـرة الخضـراء	للأستاذ الشاعر عبد القادر المقـدم

صفحة

162	المراكز التربوية الجهوية من مظاهر السياسة التعليمية بالبلاد	للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
169	الخلافة من اجل النعم التي يحسد عليها المغرب	للاستاذ عبد الرحمن العمراني الادريسي
176	ذكرى عيد العرش : بعد عشرين عاما من الاستقلال	للاستاذ الحاج أحمد معنينو
184	ولنا اليوم فرحة	للاستاذ الحاج عبد السلام الحضري
187	مسيرة فتح أيد الله سيرها	الاستاذ محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ
189	النصر لاح	للشاعر أحمد الخياط
191	المسيرة الخضراء الحسنية تقوي السيادة المغربية على جميع المستويات	الدكتور التهامي الراجي الهاشمي
195	الاستمرار والمسيرة	للشاعر محمد بن محمد العلمي
204	عصرنا بين العلم والتكنولوجيا والاخلاق النفعية	الاستاذ عبد الله اكديرة
209	من عمق الدعوة	الاستاذ محمد ابراهيم بخات
213	الحسن الثاني رمز الامة ومحقق الوحدة	الاستاذ عثمان بن خضراء
219	اقصوصة مغربية : الشرارة المباركة	الاستاذ محمد احمد اشماعو
225	الملك الصالح في المدينة الصالحة	الاستاذ عبد السلام الحضري
227	مرحبا بعيد العرش	الاستاذ عبد الفتاح امام
231	يوم النصر	الشاعر شهاب حنبكلي
233	لزومية ((أقواس)) المسيرة	للشاعر عربي محمد
234	من وحي المسيرة	للشاعر عبد الفتاح امام

